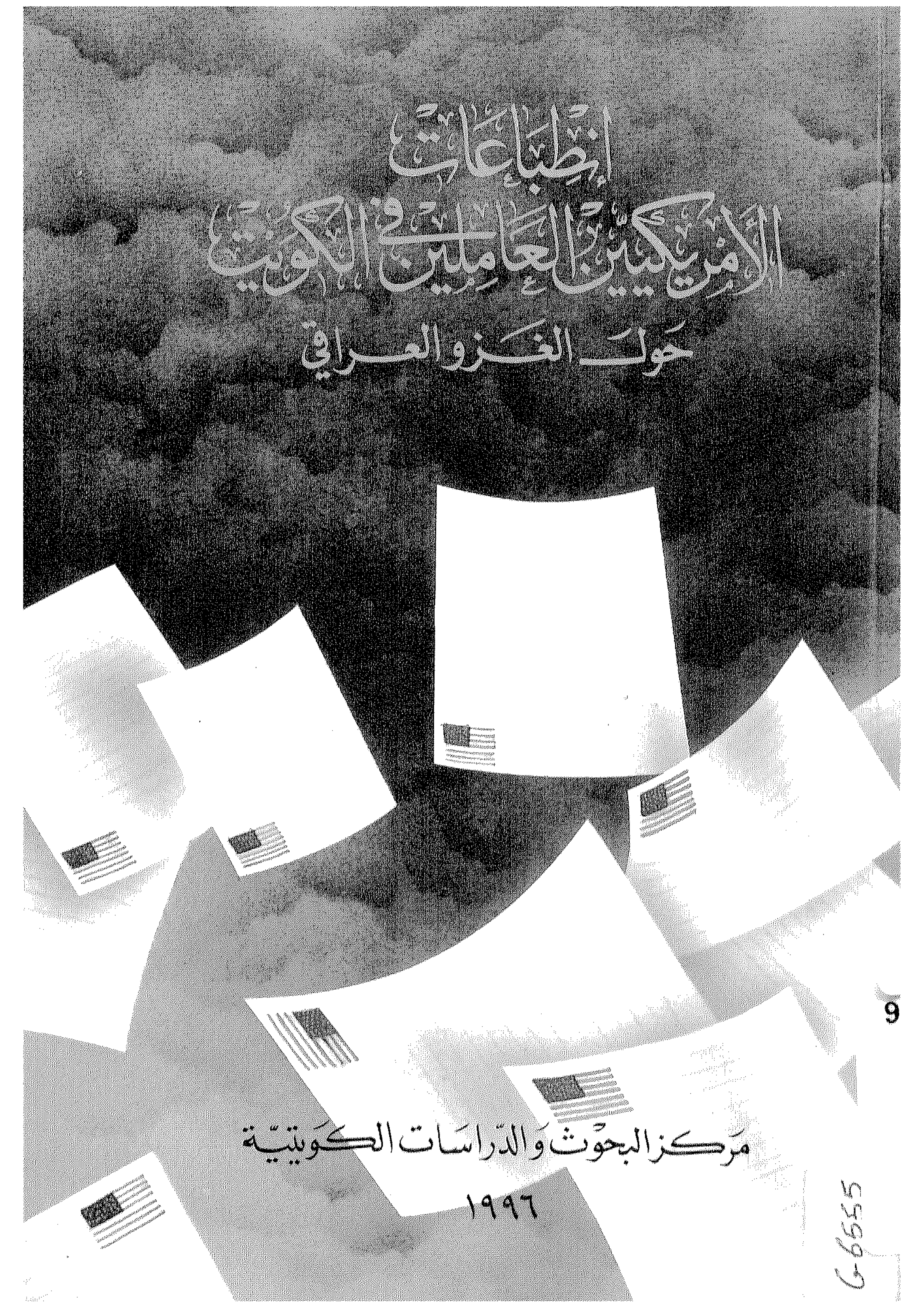

انطباعات
الأمريكيين العاملين في الكويت
حول الغزو العراقي
9
مركز البحوث والدراسات الكويتية
١٩٩٦

انطباعات الأمريكيين العاملين في الكويت

حول الغزو العراقي

مركز البحوث والدراسات الكويتية

الطبعة الأولى ١٩٩٦ ص.ب: ٦٥١٣١ المنصورية

الرمز البريدي: ٣٥٦٥٢ ت: ٣/ ٢٥٧٤٠٨١ - فاكس: ٢٥٧٤٠٧٨



مركز البحوث والدراسات الكويتية

١٩٩٦

نشر هذا الكتاب عام ١٩٩٤ في واشنطن
باللغة الإنجليزية بتحرير الدكتور ريتشارد ستيفنز
(المجموع الدولية للتعليم والاتصالات)
(International Education and Communications Group)
أما الترجمة العربية فقد أعدها مركز البحوث والدراسات الكويتي بالتعاون مع
المؤسسة المذكورة

تصـــديـر

هذه شهادة حية لمجموعة من المواطنين الأمريكيين الذين كانوا يعملون بالكويت إبان وقوع العدوان العراقي عليها في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م. قامت مؤسسة أمريكية بنشرها في الولايات المتحدة وفي هذه الشهادات يحكي هؤلاء الأمريكيون ذكرياتهم وانطباعاتهم من خلال التجربة الخاصة التي مر بها كل منهم خلال فترة الاحتلال التي قضاها مطاردا أو محاصرا داخل الكويت أو رهينة في يد العدو الذي أعلن على الملأ أنه يتخذ هؤلاء الأجانب درعا يحتمي وراءه فيما عرف بقضية «الدروع البشرية».

وهذه الشهادة التي أوردها أصحابها بكل تجرد وموضوعية تقدم دليلا صادقا لا يقبل النقض على الجرائم التي ارتكبها النظام العراقي في حق الكويت وشعبها والمقيمين على أرضها، وهي تضاف إلى شهادات أخرى عديدة لجرائم أخرى كشفت عنها وثائقه التي خلفها في الكويت بعد إنسحاب قواته.

ويحوي هذا الكتاب بالاضافة إلى شهادات المواطنين الأميركيين مجموعة تقارير أعدها مكتب قاضي الأحكام بالقيادة العامة للجيش الأمريكي حول جرائم الحرب العراقية كشف فيها من خلال ما جمعه من الوثائق العراقية والمقابلات التي أجريت مع الأسرى العراقيين والمدنيين الذين تعرضوا للتعذيب في الكويت أو خلال اعتقالهم في العراق عن

مراكز التعذيب التي أقامها النظام العراقي في الكويت، وأنواع هذا التعذيب وأدواته ومن تعرضوا له من النساء والأطفال والشيوخ وغيرهم وسجل قيام قوات العدوان العراقي بعمليات احتجاز الرهائن والإعدام للمدنيين وتلويث مياه الخليج وإشعال آبار البترول وزرع الألغام وسرقة وتدمير وإحراق المتاجر والمنازل والمكتبات والمؤسسات الثقافية وهي وقائع ضمنها ١٢٢٦ ملفا عن هذه الجرائم، وقد استطاع قاضي الأحكام الأمريكي حصر أسماء (٥٠٠) خمسمائة عراقي من الذين ارتكبوا هذه الجرائم ولكن لم يتم القبض على أي منهم من بين ٦٩,٨٢٢ جنديا عراقيا من أسرى الحرب تم استجوابهم نظرا لأن قلة من هؤلاء الجنود أعطوا أسماءهم ورتبهم الحقيقية خوفا من مساءلتهم كمجرمي حرب.

إن جرائم الحرب العراقية التي قامت بها قوات العدوان العراقي ضد أبناء الكويت والمقيمين بها لهي صفحة سوداء في تاريخ الإنسانية في القرن العشرين تكشف الوثائق كل يوم عن جديد منها ولايزال الكثير منها غير منشور ولهذا فان حجم هذه المعاناة وبشاعتها وقسوتها لم يصل إلى أسماع الكثيرين.

ومركز البحوث والدراسات الكويتية إذ يقدم هذه الشهادات في طبعتها العربية فإنه يضيف بذلك أدلة جديدة لانتهاكات هذا النظام لحقوق الإنسان وارتكابه جرائم حرب تضاف إلى سجل إدانته الحافل في هذا الجانب الذي يتنادى كل شرفاء العالم وأحراره بالدعوة إلى محاسبة مسئوليه أمام محاكم العدل الدولية.

والمطالبة بمحاكمة مجرمي الحرب العراقيين هي أيضا حماية لشعب العراق الذي ماتزال أبشع جرائم انتهاك حقوق الإنسان ترتكب بحقه

حتى اليوم على نحو يصل إلى قطع الآذان بموجب قرار رسمي حكومي وهي جرائم بشعة يندى لها جبين البشر.

ويتوجه مركز البحوث والدراسات الكويتية ببالغ الشكر والتقدير إلى الناشر والمجموعة الدولية للتعليم والاتصالات بالولايات المتحدة الأميركية على سماحها بترجمة هذا الكتاب ونشره.

رئيس المركز

أ. د. عبدالله يوسف الغنيم

لقد كان قرار صدام حسين بغزو الكويت في الساعات الأولى من صباح الثاني من أغسطس ٩٠ مفاجأة كبرى لجميع الأمريكيين المقيمين بالكويت ولأبناء الكويت أنفسهم، ولم يكن أحد مستعدا لمواجهة هذا الغزو المباغت. فالأمريكيون في الكويت يقومون منذ سنوات عديدة بكثير من الأعمال المهنية فمنهم المهندسون، والمدرسون وأساتذة الجامعة والباحثون ، وبعضهم يعمل مستشارا لدى حكومة الكويت وآخرون يقومون بالعمل في وظائف هامة في البنوك.

وحياة الأمريكيين في الكويت مثلها مثل بقية الموظفين الآخرين الذين يعملون في أماكن تفيد من خبراتهم حياة سارة وعائدها المادي مرتفع جدا ولذلك كانوا حريصين على تجديد عقودهم، وكان المناخ العام في الكويت منفتحا ووسائل الاتصال مع العالم الخارجي ميسرة، ولم تكن هناك قيود على المقيمين في هذا الوطن. . ولتوافر سبل الحياة وانتشار الأمن وندرة تعاطي المخدرات فإن الكويت بالمقارنة مع كثير من الدول الأخرى، تعدّ جنة الله في الأرض وواحة الأمان لكل حر في هذه البقعة من العالم.

وفي الكويت خلال شهر أغسطس من كل عام يكون الجو شديد الحرارة، وترتفع نسبة الرطوبة، مما يدفع كثيرا من الكويتيين والمقيمين إلى السفر إلى الخارج لقضاء إجازاتهم السنوية، وهكذا ـ ففي الثاني من أغسطس حين قام العراقيون بغزوهم للكويت ـ كانت أعداد السكان قليلة، وكان عدد الأمريكيين المقيمين في الكويت محدودا نسبيا، وكان الجميع على علم بالقلاقل والدعايات التي قام بها العراقيون حول نقطتين مهمتين: البترول والحدود، وظن الجميع وقتها أن هذه الدعايات العراقية

واحدة من شطحات صدام حسين، وفي الساعات الأولى من ٢ أغسطس ١٩٩٠ دوَّت أصــوات القنابل والمجنزرات والدبابات وإطلاق النار وعـمت الدهشـة جـميع الأمـريكيين، وفي مـثل هذه الحـالات بدأ الأمريكيون بالطبع بالاتصال بالسفارة الأمريكية طلبا للإرشاد والتوجيه، وبدورها طلبت إليهم السفارة اللجوء إليها للحماية إذا شاءوا. . وكانت السفـارة نفسهـا تحاول تقويم الهجوم العراقي ومعرفة مدى تقدمه وأهدافه. . وقد لجأ بعضهم إلى السفارة الأمريكية أما الباقون فقد أغفلوا توجيهات السفارة وقرروا مواجهة الغزو والدفاع عن أنفسهم واعتمد هؤلاء على خبرتهم ومعرفتهم التامة بكل مكان في الكويت بالإضافة إلى صـداقـاتهـم مع بعض الكويتـيين الذين قـدمـوا ـ فـعـلا ـ لهم كل عـون ومساعدة.

وقـد قـرر عـدد من الأمـريكيين الهـرب عن طريق السـعـودية ونجح بعضهم أما الباقـون الذين وقعـوا في قبضـة القـوات العـراقيـة فقـد تم احتجازهـم في قواعد عسكرية عـراقية وأطلق عليهم مسمى «الدروع البشرية».

ومرت الأسابيع والأشهر، وفي أثناء ذلك خطط هؤلاء الأمريكيون المختبئون في الكويت للهرب ووضعوا خطة بعد خطة واكتشفوا أن لديهم قدرات كامنة وهبتهم الشجاعة للقيام بتنفيذ ها ولكنها توقفت. بعد أن وصل لهؤلاء الأمريكيين المختبئين تقارير عدة وأخبار عن بشاعة العراقيين ووحشيتهم، وكانت هذه الأخبـار تصلهم بطرق شتى، ولما كانوا لا يجرؤون على المخاطرة بمغادرة أماكنهم فقد كانوا مثلهم في ذلك مثل غيرهم من أبناء العالم أجمع، لم يصلهم إلا النزر اليسير عن وحشية العراقيين في تعاملهم مع الكويتيين الذين رفضوا التعاون معهم أو الذين

عملوا مع المقاومة، وكلما ازدادت فاعلية المقاومة الكويتية ازدادات وحشية العراقيين وعنفهم ـ ولم تظهر كل الكوارث التي أنزلها العراقيون بالكويتيين وبشاعة جرائمهم للعالم إلا بعد طرد العراق من الكويت حيث تكاملت أبعاد الصورة.

وتبين التقارير المقدمة من جيش الولايات المتحدة طابع الغزو العراقي وممارساته خلال احتلاله للكويت، وجرائم الحرب التي ارتكبوها والمعاناة والإرهاب اللذين تحملهما الكويتيون على أيدي العراقيين إضافة إلى ما عاناه هؤلاء الأمريكيون المدنيون أنفسهم حيث قدموا صورا حية لما رأوه وواجهوه.

وفي هذا الكتيب تقارير وصور توضح النهج الذي سار عليه الاحتلال العراقي، كما يحتوي أيضا على خرائط تدحض ادعاء العراق بأن الكويت جزء منها (ظهرت العراق كدولة في عام ١٩٢٢).

إن الأمثلة والذكريات التي يحتوي عليها هذا الكتيب، لم يتم جمعها بناء على معايير معينة، بل هي مجرد ذكريات كتبها أمريكيون ممن كانوا شهود عيان خلال فترة الغزو العراقي للكويت، ولقد قامت المجموعة الدولية للتعليم والاتصالات بالاتصال بهؤلاء الأمريكيين ودعوتهم للإدلاء بأقوالهم حول هذه الفترة. ولأن هؤلاء الأفراد كانوا مقيمين في أماكن عدة فيمكن أن نقول إن توزيعهم الجغرافي قد أعطى صورة واضحة لما كان يحدث في عدة أماكن بالكويت كما أنهم أيضا يمثلون عدة قطاعات في الولايات المتحدة، وبالتالي كانت انطباعاتهم ذات مضامين مختلفة عن الأوضاع في الكويت.

وتوضح موضوعات هذا الكتيب نقطتين أساسيتين:

* المأساة التي عاناها شعب الكويت على أيدي الغزاة .

* شجاعة الأمريكيين أمام المواقف وقدرتهم على التكيّف مع الحياة المختلفة في أثناء الغزو العراقي للكويت .

كما تظهر بجلاء فشل صدام حسين في مجالات عدة :

* فلم يستطع صدام حسين أن يجد كويتيا واحدا يتعاون معه .

* ولم ينجح في القضاء على ولاء الكويتيين الراسخ لبلدهم وتكاتف بعضهم مع بعض .

* كما فشل أيضا في إرهاب الأمريكيين الذين يقدسون الحرية .

إن عزيمة الأمريكيين على مواجهة الغزاة العراقيين ، كل بطريقته وأسلوبه ، وعدم الانحناء لهم ولإرهابهم يشكل منعطفا مهما في تاريخ الغزو العراقي للكويت الذي لن يطويه النسيان .

ريتشارد ر . ستيفنز

الناشر

مقدمة السفير الأمريكي في الكويت في أثناء الغزو

و. ناثنيال هول

تلقت السفارة في الساعة الثالثة من صباح الثاني من أغسطس تقريرا من أحد الرسميين الكويتيين يفيد أن القوات العراقية عبرت حدود الكويت وقد قمت في حينه بإبلاغ وزارة الخارجية بفحوى التقرير الذي يوضح أن اختراق الحدود لم يكن عميقا وأن العراق استولت فقط على بعض المواقع الحدودية، وبعد فترة من الوقت بدأ صوت إطلاق الرصاص واضحاً في أجزاء متعددة من المدينة، وتعرضت السفارة للحصار العراقي الذي استمر مائة يوم وعشرة ومنعت عنها خدمات الماء والكهرباء ولكننا استطعنا مواجهة هذا الحصار حتى رحلنا عن السفارة في ١٣ ديسمبر ١٩٩٠.

وفي الأيام الأولى للغزو العراقي للكويت وفي ذروة الغضب العارمة التي عمت الجميع لم أكن أتوقع هذا الثبات والجلد الذي أبداه الكويتيون والمقيمون في مواجهة هذا الغزو الذي يقوده رجل غادر مثل صدام حسين. كما أن العراقيين أيضا لم يتوقعوا مثل هذا الصمود، ولم يكن مفهوما لدى القيادة العراقية وجيشها الوحشي أن الدبلوماسيين سوف يتحدّون القيادة العليا العراقية وسيتجاهلون الأوامر الصادرة منها، كما لم يتخيل العراقيون أن الشعب الكويتي ستكون لديه القوة والوسيلة للحياة وللمقاومة. ولكن، والحق يقال، هذا ماحدث فلم يخضع أحد للغزاة العراقيين.. وهذه هي القصة الحقيقية للأحداث في فترة «درع الصحراء».

لقد أصبح واضحا للعيان أن الأزمة لن تحل بسرعة، واعتبرت بغداد

الجاليات الأجنبية رهائن وأعلنت أنه لن يسمح لهم بالرحيل من هذه المنطقة التي اعتبرها العراق منطقة حرب، وأن هؤلاء الأجانب يمثلون حكوماتهم التي اتخذت موقفا معاديا تجاه العراق. ونتيجة للمظاهرات التي قام الكويتيون بها للتعبير عن معارضتهم للغزو العراقي والمطالبة باستقلال وطنهم وحريته، رأت السفارات الأجنبية في الكويت هي الأخرى أن عليها واجبا نحو هذا البلد يتجلى في مقاومة الإرهاب العراقي، ورفع الأعلام فوق السفارات للتعبير عن المعارضة الدولية لممارسات العراق غير القانونية. ولم يكن تركنا لسفارتنا في الكويت خياراً مطروحا أمامنا في هذه الظروف.

إن القصة الحقيقية بتفاصيلها للكفاح الذي قامت به السفارة من أجل البقاء في الكويت تحتاج إلى سرد كامل، لقد كنا ثمانية أفراد بين رجال ونساء وقد قاومنا الحصار بناء على أوامر من واشنطن لأطول فترة ممكنة، ولم يكن لدي شك بأن زملائي ـ ولهم سجل حافل إذ شاركوا في كثير من الأزمات في الشرق الأوسط ـ سوف يبلون بلاء حسنا في هذا المضمار، بالإضافة إلى ذلك فقد لجأ إلى السفارة عدد من الأمريكيين المدنيين الذين كانوا يعملون في الكويت بعد أن غادروا الفنادق التي كانوا يقيمون بها. وأصبح لدينا في السفارة مجموعة متنوعة من الأفراد تغلب عليهم روح المرح والذكاء وشاركنا جميعا في العمل: القيام بحراسة السفارة لمدة ٢٤ ساعة يوميا، الرد على الهاتف طوال اليوم لتقديم العون والإرشاد لبعض الأمريكيين الذين رفضوا مغادرة الأماكن التي اختبئوا فيها، المشاركة في بعض الأعمال الفنية والهندسية داخل السفارة لمواجهة ظروف المناخ القاسية في هذا الوقت من العام، واستطعنا إقامة حمام سباحة متواضع. وإلى هذه المجموعة التي أطلقت عليها «معسكر

الكويت» يرجع الفضل في مواجهة الحصار الذي فرضته علينا قوات النظام العراقي، وعشنا أطول فترة حصار ممكن، إذ ظللنا تحت الحصار لفترة تزيد على مائة وعشرة أيام، وكانت أطول فترة حصار واجهتها السفارات الأمريكية تلك التي حدثت في بكين لمدة خمسة وخمسين يوما

وحانت فرصة رحيل جميع الأمريكيين من الكويت في أوائل ديسمبر وغادر الجميع وسط مشاعر متباينة، وقد تلقيت التعليمات بذلك من وزارة الخارجية حيث طلبت إلى جميع العاملين بالسفارة مغادرتها، وفي داخلي كنت أتمنى البقاء في الكويت حتى لحظة تحريرها. وكثيرا ما نقلت هذا الإحساس لولديّ: «سأظل في الكويت حتى أشاهد استسلام العراق»، وقد قمنا بجميع إجراءات الرحيل الأخيرة، ورفعنا على السفارة أكبر علم أمريكي موجود لدينا، وأخيرا أغلقنا أبواب السفارة، ولأول مرة منذ عام ١٩٥١ تخلو الكويت من الدبلوماسيين الأمريكيين.



أحد الشوارع التي خربتها القوات العراقية في السوق القديم بمدينة الكويت

وضعت حكومة الكويت في عام ١٩٨٨ خطة طموحة تسمى «برنامج السنوات الخمس عشرة». وتهدف هذه الخطة إلى تحويل مناطق صحراوية معينة إلى مناطق حضرية ومن فوائد هذا المشروع أيضا تخفيض درجات الحرارة، وتحسين نسبة الرطوبة في الجو، وتجميل الكويت، وزيادة أماكن التسلية والسياحة في الدولة. وأوكلت مهام هذا المشروع إلى الهيئة العامة للزراعة التي تعاقدت مع معهد الكويت للأبحاث العلمية الذي قام بوضع خطتين: واحدة قصيرة المدى، والأخرى طويلة المدى لتخضير الدولة.

وقد تعاقد المعهد مع فريق من المهندسين من ذوي الخبرة في مجال هندسة تجميل البيئة وتحسين مظهرها وإضافة عناصر جديدة تضيف للبيئة القاسية لمسات جمالية وترفيهية تجتذب السكان.

وقد عملت بهذا المشروع مهندس تنسيق وبدأ العمل بخطى سريعة.. وقمنا بالتفاوض مع العراق لجلب المياه بكافة أنواعها من شط العرب.

وفي أثناء العمل، وصلت إلى مسامعنا المناوشات والخلافات حول الحدود وآبار البترول في الحقول الشمالية وشاهدنا كل ذلك في التلفاز وقرأنا عنه في الصحف لعدة شهور. وأخيرا أفادت التقارير أن العراق حشد مئات الألوف من جنوده على الحدود الشمالية مع الكويت بالقرب من العبدلي، وكانت كل هذه الموضوعات مثار جدل ونقاش بيننا نحن الأمريكيين في الكويت، وبالأخص الحشود العراقية على حدود الكويت

الشمالية. وكان الرأي السائد وقتها أن احتمال الغزو ضئيل جدا. واتصلنا بالسفارة الأمريكية لتقويم هذه الأوضاع ولكنها طمأنتنا وأفادتنا أن الأمور تسير بشكل عادي، كما قرأنا عن اجتماعات بين الكويت والعراق تحت رعاية عدد من الدول العربية. وفجأة في الصباح الباكر من يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ اخترق الجيش العراقي الحدود الكويتية.

عادة كنت أستيقظ من نومي الساعة الخامسة صباحا وأقوم بالمشي على ساحل الخليج في السالمية، وفي حوالي الساعة ٧ صباحا في هذا اليوم اتصل كل من ف. أرنست بريسكج المستشار الأول بمؤسسة كسر (KISR) وأحد العاملين في السفارة الأمريكية بنا في المنزل وعرفنا منهما أن العراق قام بغزو الكويت وعلينا إعداد حقائبنا استعدادا للرحيل في هذا اليوم.

ولكن ذلك لم يحدث، فقد أيقظت زوجتي وأخبرتها بالغزو العراقي وصعدنا إلى الطابق العاشر في البناية التي كنا نقيم فيها، ونظرنا إلى القطاع الشمالي من مدينة الكويت واستطعنا مشاهدة وسماع الطائرات السمتية والطائرات النفاثة وهي تقذف المواقع المختلفة بالقنابل والصواريخ، وشاهدنا كذلك أعمدة الدخان وهي تتصاعد من الأماكن التي تم ضربها بالصواريخ.

وعدنا إلى شقتنا وطلبنا السفارة على الهاتف، ولكن الخطوط كانت مشغولة، وأخيرا استطعنا الاتصال بها ولكن السفارة طلبت منا ألا نزعجهم باتصالاتنا الهاتفية حيث إن وراءها من المهام الكثير وأقفلت الخط التليفوني، واستطعنا بعد ذلك مشاهدة أرتال الدبابات العراقية وهي تقترب من البناية التي نسكن بها الواقعة على ساحل الخليج. لقد كان مايحدث أمراً يفوق التصديق وكان كل شيء حولنا غير طبيعي، فقد ملأت الدبابات والعربات المصفحة الطريق كما شاهدنا العربات التي

تحمل المدافع المضادة للطائرات والتي اصطفت على ساحل الخليج وكان يفصل بين كل آلية وأخرى مايقارب مائة متر، ولم يدر المارة في شارع الخليج مايدور حولهم، ولم يغادر أحد مكانه إلا في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، وكان المنظر غريبا فقد كانت سيارات الأفراد تدور حول الدبابات والعربات المصفحة حتى تواصل سيرها، وكان الطريق يعج بالأصوات: أصوات جنازير الدبابات، وأبواق السيارات. . . وكان من ينظر إلى هذا المنظر يعتقد أن الدبابات العراقية جزء من المرور ولم ينتبه سائقو السيارات أن الدبابات كان يمكنها سحقهم في أي وقت.

أصبح الهاتف الآن عنصرا من أهم العناصر في حياتنا، وبوساطته أصبحنا نتصل بأصدقائنا ونتبادل الحديث والأخبار، كما كنا نطلب المساعدات من بعضنا، وعن طريق الهاتف عرفت أن جيش الغزاة قد احتل المباني العامة بما فيها مبنى معهد الكويت للأبحاث العلمية ولم يسمح لنا بالعودة إلى العمل، وأصبحنا الآن نقضي أوقاتنا في القراءة والحديث بالهاتف والبحث عن الطعام. وعلى الرغم من ذلك كان هناك شعور بالاضطراب والإثارة المشوبين بالحذر.

بعد فترة من الغزو أحسست لأول مرة في حياتي بالملل، وكانت طلقات الرصاص التي تطلق بالليل وأحيانا تصيب المبنى الذي أسكنه مخيفة جدا، وكانت المشكلة الدائمة والمزعجة التي تواجهنا هي نقاط التفتيش العراقية المنتشرة في الشوارع وكيفية المرور منها، وفي إحدى نقاط التفتيش تمت مصادرة ساعتي، وخاتم الخطوبة الخاص بزوجتي، وسوارا ذهبيا كنت قد أهديته لها في أحد أعياد زواجنا، وقد قام بالاستيلاء على هذه الأشياء ضابط عراقي كبير برتبة عقيد.

أقام العراقيون موقعا عسكريا بالقرب من البناية التي أسكنها، وشيئا

فشيئا ازداد عدد الجنود العراقيين في منطقتنا، ولما كان الجو حاراً في أغسطس فقد استعمل هؤلاء الجنود حمام السباحة ودورات المياه الواقعة في المبنى، وكان هدوء زوجتي وسيطرتها على أعصابها مثار إعجابي - ولقد خدمتُ في الجيش الأمريكي في أثناء الحرب الكورية وأعرف مساوئ الحروب، أما الأمر بالنسبة لزوجتي فقد كان مختلفا، فلم تكن لديها أية خبرة بالأوضاع السائدة في أثناء الحروب. وكان كل شيء جديدا بالنسية لها. وكنا ننظر معاً عبر نافذة حجرة نومنا ونراقب العقد المتصل الحلقات من طلقات الرصاص وهو يلمع تحت ضوء الشمس نهارا أو في ضوء القمر ليلا متدليا من فوهة مدفع الدبابة، نعم هذه الرصاصات تحمل الموت ولكن منظرها كان بديعا.

قمت برحلة إلى مبنى معهد الكويت للأبحاث العلمية في محاولة للحصول على أوراقي الخاصة من هناك مثل شهادتي الدراسية، عقد الزواج، مجموعة الشرائح النباتية التي كنت أجري عليها أبحاثي ووثائق الأبحاث التي كنت أدونها، لم يسمح الجنود العراقيون لي بالدخول إلى المبنى، وكان أصدقائي الكويتيون قد نصحوني بالخروج من الكويت بأسرع مايمكن حيث إن الشائعات تنتشر الآن مرددة أن العراقيين سيقومون بإلقاء القبض على جميع الأجانب في الكويت، وعند عودتي إلي المنزل توقفت عند إحدى محلات البقالة لشراء لوازم للبيت، وهنا أمرني أحد الضباط العراقيين بمغادرة سيارتي المرسيدس وأن أسلمه مفاتيحها - ولم أصدق ذلك - نعم حدث ذلك من قبل لبعض أصدقائي، ولكني كنت مندهشا ومذهولا وقد أخبرني أحد الكويتيين أن سيارته المرسيدس قد تم الاستيلاء عليها أيضا بهذه الطريقة نفسها. إلا أنه وجدها بعد عدة أيام في أحد مواقف السيارات وقد استطاع تشغيلها بالمفتاح

الاحتياطي الذي كان يحمله، وفي أثناء قيادته لها أحس أنها تسير ببطء ولا تستجيب للضغط عليها لتزيد معدل سرعتها ولما فتح الصندوق الخلفي للسيارة للبحث عن سبب هذا البطء كانت المفاجأة المذهلة أن وجده مملوءاً بسبائك من الذهب، ومما زاد الأمور سوءاً أن الصورة لم تكن واضحة، فلم يكن أحد يدري ماذا سيحدث في اللحظات القادمة؟ وكيف سينتهي هذا الاحتلال؟، وكانت الأصوات التي نسمعها هي أصوات المذيعين في كل من محطة إذاعة لندن (بي بي سي) ومحطة صوت أمريكا، وكلها أصوات لم تكن نعرفها أما في التليفزيون فلم نكن نطالع إلا وجه صدام حسين.

وتغيرت الأوضاع في الكويت، فالقاذورات ملأت الشوارع ولم يكن هناك أحد يجمعها، واضطر الناس في جميع أنحاء المدينة لإشعال النيران فيها للخلاص منها، ولم تكن هناك دوريات شرطة تجوب الشوارع فاختفى الأمن وانتشر السلب والنهب في بعض أحياء المدينة، وأحرق اللصوص بعض المباني بعد سرقتها ونهبها فانتشر الدخان في المدينة مما أدى إلى تلوث الجو، وحتى الآن كانت بعض الخدمات كالكهرباء والماء وشبكة الصرف الصحي والهواتف تقوم بأداء وظائفها ولكن شبكة الاتصالات التليفونية الخارجية قطعت بعد الثاني من أغسطس ١٩٩٠.

وطوال شهر أغسطس بدا وكأن كل شيء قد توقف، وعلمنا أن العراق أعلنت ضم الكويت إليها نهائيا، وسميت المقاطعة التاسعة عشرة وظهر في التلفاز رجل يرتدي الزي الكويتي ليعلن أنه المحافظ الجديد للمقاطعة، ورحل الحرس الجمهوري الذي قام باحتلال الكويت واستبدل بفرق عراقية أقل كفاءة وأقل عدة وعتادا، ومن خلال

الأحاديث التي تبادلها جيراننا العرب مع بعض الجنود العراقيين قالوا إنهم لا يعلمون الأسباب التي جاءت بهم إلى الكويت، ومن الواضح أن القيادة العراقية قد اختلقت عدة مبررات لهذا الغزو، فقد قيل لهم إنهم ذاهبون لنجدة ونصرة بعض الأخوة العرب ومساعدتهم للقيام بثورة شعبية مع إخوانهم الكويتيين، وبدا الارتباك وسوء الفهم واضحا لدى بعض الجنود الذين قاموا بحفر الخنادق وإقامة التحصينات، وفي ذلك الوقت بدأت في الكويت سلسلة من أعمال النهب والسلب المنظمة فقد وصلت من العراق عربات النقل الفارغة لتعود إليها محملة بالبضائع والأدوات المنزلية وأثاث المكاتب وكل شيء ذي قيمة حتى القوارب الراسية في النوادي البحرية اختفت هي الأخرى.

وتوقفت خدمات البنوك وكنت محظوظا إذ قمت بسحب بعض الأموال من حسابي قبل يومين من الغزو. وقد زارني السيد/ نزار ملا حسين نائب المدير العام لمعهد الكويت وكان بصحبته صديق كويتي وأسديا إليّ النصح بعدم مغادرة المنزل حتى لو كان الأمر لشراء الطعام، وقالا إنهما سيقومان بتزويدي بالمواد الغذائية كلما أمكن ذلك.

وبحسب معلوماتي لم يتعرض أي فرد أمريكي أو أجنبي للاعتداء على حياته، إلا أنني أحسست بالقلق حول مصير أصدقائي الكويتيين، فمنذ الغزو العراقي الذي وقع في الصيف بلغ جملة من كانوا في الخارج أو من رحلوا عن الكويت حوالي ٢٥٠ ألف شخص. ولكني علمت أن أحد معارفي الكويتيين قد قتل أمام أسرته، والكويتيون شعب رقيق بطبعه وقد عملت في الشرق الأوسط مدة طويلة وقد أحببت العمل في هذا البلد مع هؤلاء الناس المهذبين، ولذلك فقد شعرت بالأسى والألم للأساليب الوحشية التي اتبعها العراقيون للنيل من هؤلاء الناس وإنه لأمر محزن حقا أن يصبح شعب بأسره رهينة في يد عدو لا يرحم.

وطالب العراقيون في أحد بياناتهم من جميع الأجانب تسليم أنفسهم، ولكن أحداً منا لم يستجب لهذا الطلب، ولعبت المقاومة الكويتية دورا بارزا في إزعاج الجيش العراقي، وسمعنا قصة المرأة الكويتية التي قادت إحدى السيارات المحملة بالمتفجرات واصطدمت بسيارة عراقية محملة بالجنود فقتلتهم جميعا. . وضربت هذه السيدة الكويتية مثلا للفداء والتضحية، كما وضعت سيارة ملغومة بالقرب من مدخل فندق إنترناشونال حيث عقد اجتماع للضباط العراقيين فقتلت عددا منهم.

وفي نهاية شهر أغسطس ازداد عدد الجنود العراقيين الداخلين والخارجين من البناية التي نسكن بها، فأيقنت أنه لا مفر من اكتشافنا. وكان العراقيون يبحثون عن جميع الأجانب في الكويت، فهم يدخلون كل البنايات ويسألون حراسها عن وجود الأجانب، وقد قاموا بتهديد بعض الحراس مما ألقى الرعب في قلوبهم واضطروا إلى إبلاغهم ببعض الأماكن التي يختفي فيها الأجانب، وقد أخبرني واحد من أصدقائي الكويتيين أن العراقيين جاءوا إلى بيته وسألوه عن زوجته الأمريكية بالاسم ومن حسن حظه أنها كانت في الولايات المتحدة لزيارة والديها.

وأحسست من كثرة تردد الجنود العراقيين على البناية التي أسكن بها ودخولهم إليها وخروجهم منها أن أيامنا ـ أنا وزوجتي ـ قاربت النهاية ولذلك اتصلت هاتفيا بأحد أصدقائي الكويتيين طالبا منه أن يساعدنا على الرحيل من البناية ومحاولة الاختفاء في مكان آخر، وقد وافق على القيام بهذه المغامرة في الوقت الذي أعلنت العراق عقوبة الإعدام لكل من يحاول إخفاء الأجانب أو مساعدتهم على الهرب بالإضافة إلى تدمير منزله وتشريد أسرته ـ ولكن صديقي الكويتي اضطر للخروج من

الكويت ومن ثَمَّ أحسست بالخوف وطلبت من صديق فلسطيني أن يساعدنا علي الهرب فوافق على أن يدبر لنا مكانا آمنا ، وكنا نعتقد أن هذه المغادرة مؤقتة ولذلك فقد أخذنا حاجاتنا الضرورية فقط وتركنا معظم متاعنا في البيت، وللأسف عند عودتي مرة أخرى وجدت أنه قد نهب عن آخره.

ورحلنا إلى فيلا أحد الأصدقاء وزوجته الطبيبة وقد رتبوا لنا البقاء مع أحد المستشارين الأمريكيين في الشؤون العسكرية د. كلم هول والصحفية اليوغسلافية جادرانكا بورتر. وكان الطعام مشكلة المشكلات التي تواجهنا طوال الأشهر الأربعة التالية وكنا دائما نتطلع إلى طلب المزيد وقد طلبنا من جادرانكا الذهاب إلى بيتنا في مجمع المرجان لإحضار بعض المتطلبات من هناك ولرعاية القطط التي تركناها في الشقة وبعد عودتها أفادت أن الأمور ليست علي مايرام بالقرب من شقتنا.

وأقرر هنا أنني لم أدخل شقتي في مجمع المرجان مرة أخرى ولم أعد إليها إلا بعد التحرير في سبتمبر ١٩٩١ فوجدتها قد نهبت تماما وانتزع منها كل شيء: الأجهزة والأثاث وكل ممتلكاتنا حتى السجادة كما انتزعت أدوات الحمام من مكانها.

وفي أثناء اختفائنا في هذه الفيلا لم نكن نستطيع الخروج نهارا وكانت تسليتنا الوحيدة إلى جانب الحديث مع ساكني الفيلا السابق ذكرهم، المكالمات الهاتفية مع أصدقائنا وزملائنا في الكويت، وكانت المكالمة لا تزيد على دقيقتين حيث علمنا أن الهواتف مراقبة من قبل العراقيين.

وتوالت الأيام بصورة روتينية حتي عيرت مارجريت تاتشر صدام حسين متهمة إياه بالجبن إذ يحتمي وراء النساء والأطفال متخذا منهم

رهائن لتهديد الغرب. وقد آتت كلمات مارجريت تاتشر ثمارها، إذ أعلن العراق أن لجميع النساء الأجانب والأطفال الحرية الكاملة في مغادرة العراق، وقامت السفارة الأمريكية في الكويت بدورها الكامل في إجلاء النساء والأطفال الأجانب من الكويت، ونظمت رحلات جوية لترحيلهم. وفي ١٢ سبتمبر ٩٠ قام أحد الأصدقاء الفلسطينيين بتوصيل زوجتي إلى نقطة تجميع المسافرين إلى الخارج بالقرب من مركز (سيف واي) - الذي تم إحراقه وتدميره - ولوحت لزوجتي البالغة من العمر ثلاثين عاما مودعا حيث كانت ذاهبة إلى الحرية، وقد علمت بوصولها سالمة بعد وقت قصير.

وطوال بقائنا في الفيلا، جلست «جادرانكا» إلى الحاسوب لتكتب ذكرياتها عن هذه الأيام، وفي أحد الأيام اتصل بنا شخص يدعى «صالح» وسأل عن د. «كلم» وطلب مقابلته في المنزل في اليوم التالي. وقد قضينا الأمسية في تقويم هذه المكالمة الهاتفية. وقد وصلت الإثارة إلى مداها بعد ظهر يوم الرابع عشر من سبتمبر: ففي أثناء نظري من نافذة الفيلا من الطابق الثاني وقفت أمام الباب الخارجي ثلاث سيارات عسكرية محملة بالجنود من ذوي القبعات الحمراء، وأحاطوا بالفيلا، وأخبرت (كلم) و(جادرانكا) بوصول الجنود، وقد سمعنا أصواتهم وهم يتحدثون إلى جيراننا العرب في الطابق الأول، وهؤلاء الجيران مهندسون فلسطينيون وعمال بترول، وسمعنا أقدام الجنود على الدرج ثم دق الجرس، وطبقا لنصيحة الأصدقاء كان علينا ألا نرد على جرس الباب - لأن العراقيين في بعض الأحيان يقومون «بحملات تفتيش روتينية» ويبدو أن هذه لم تكن حملة تفتيش، إذ كان الجنود على علم تام بمن في داخل الشقة فقد قاموا باقتحام الباب الرئيسي للشقة ووجدنا

أنفسنا وجها لوجه أمام اثنى عشر جنديا يحملون مدافع رشاشة صوبوها إلينا ودخل وراءهم ضابط برتبة نقيب يحمل مسدسا وأخيرا ولج إلى الشقة شخص يلبس دشداشة (أعتقد أنه كان من المخابرات). نعم لقد كان الموقف تراجيديا.

وأخيرا وقع المحظور، حيث طلب منا النقيب أن نعد حقائبنا بسرعة ونرافقهم إلى الخارج، وقد لكمني أحد الجنود فوق العين اليسرى مباشرة وكُسرت نظارتي. ونزلنا إلى الأسفل حيث كان يقف في انتظارنا أصدقاؤنا العرب خارج أبواب شققهم، ورأيت «محمد» ـ الشخص الذي أوصل زوجتي إلى المطار ـ وابتسم لي ابتسامة واهنة ـ ومن المعلومات التي استقيتها من «محمد» هذا، والذي يعمل بالبترول أن العراقيين قد أجبروه هو وبعض العمال الآخرين على وضع المتفجرات في آبار البترول وفي معمل التكرير، ولم أستطع أن أفكر أو أتصور هذه الكارثة التي ستحدث لو تم تفجير آبار البترول هذه، وقد حدثت فعلا.

حملتنا السيارات العراقية في طرق دائرية، وأخذت تتوقف أمام بعض الفيلات، ويقوم الجنود العراقيون باقتحامها، ولكن لم يحصلوا على أية «فرائس» أخرى، وقابلتنا في الطريق نقاط تفتيش كثيرة ولذلك سار الموكب سيرا بطيئا. . وقد وضع العراقيون كتلاً من الأسمنت المسلح في الطرقات بحيث تجعل السير في خط مستقيم مستحيلا.

ولأول مرة منذ الغزو العراقي أرى الدمار الذي حل بالكويت، ولم أجد الأمور بالسوء الذي توقعته، على الرغم من وجود كثير من السيارات المدنية والعسكرية المحترقة والمحطمة على جانبي الطريق، وأخيرا وصلنا إلى الطريق الدائري السادس في اتجاه الغرب ومررنا بقصر بيان وشاهدت الدمار الذي حل بالمحيط الذي يقع فيه القصر، وانتهى بنا

المطاف في إحدى البنايات بالطابق السفلي لموقف السيارات، ونظرت حولي لأرى أية إشارة أو علامة لإحدى القذائف التي أطلقت على هذا المبنى، وخرجنا من السيارة ووقفنا في طابور، ولم يكن لدي أدنى شك في أنهم سوف يقومون بإطلاق الرصاص علينا، ولكن بعد لحظة طلب إلينا العودة لركوب السيارة، ونقلنا إلى أحد أقسام الشرطة حيث قام أحد الضباط برتبة عقيد باستجوابنا وكان يتحدث الإنجليزية بطلاقة، ومن مخفر الشرطة نقلنا إلى فندق حياة ريجنسي، وهو واحد من أفضل فنادق الكويت، إلا أن أرض الفندق كانت مهملة وكذلك حوض السباحة الذي كان مليئا بالقاذورات وقد أخبرت الشرطة «جادرانكا» بأنها حرة في الذهاب حيث تشاء، وقد أحسست و«كلم» بالراحة لذلك وكان وداعنا لها مؤلما.

مضت ثلاثة أيام، استطاع العراقيون خلالها اصطياد المزيد من الأجانب وذهبوا بنا إلى بغداد حيث جعلونا «دروعا بشرية»، وكانت الرحلة إلى بغداد طويلة وفي أثناء الطريق استطعت مشاهدة مظاهر الفقر في الريف العراقي، ورأيت الدمار الذي حل بمدينة البصرة - ثاني أكبر المدن العراقية - نتيجة لحرب السنوات الثماني بين العراق وإيران.

وبحلول الليل وصلنا إلى بغداد ونزلنا في أحد الفنادق وفي لوبي الفندق قابلنا ممثل السفارة الأمريكية وكان شخصا عصبيا حاد المزاج ونظر إلينا وقال: «إن هؤلاء الذين يأتون إلينا من الكويت مصابون بجنون العظمة». وهنا سألته: «ماذا تتوقع منا؟ نحن هنا في حالة حرب» ولا أدري حتى الآن العلاقة بين ما قال وما قلت. وبعد ثلاث أيام من وصولنا نقل «كلم» إلى أحد المواقع الاستراتيجية، أما أنا فركبت في حافلة كبيرة مع أفراد أخرين من جنسيات مختلفة وفي أثناء الطريق ومن خلال

رصدي للنجوم في السماء استطعت أن أعرف أننا متجهون إلى «الموصل» ـ ثالث أكبر المدن العراقية ـ وقد مررنا بعلامات تدل على أننا بالقرب من «حوض الثرثار» الذي يقع شمالا أما في الجهة اليمنى فكانت مدينة سامراء القديمة ـ وقد أخبرني بعض المهندسين الألمان أن هذه المنطقة قد بني بها أحد المجمعات الضخمة لصنع أسلحة الحرب البيولوجية/ الكيماوية ـ وانحرفت الحافلة عن الطريق الرئيسي وسارت في طريق مليء بالحصى ووقفت أخيرا أمام مجموعة من المباني ذات الطابق الواحد، واستقبلنا واحد من أكثر الرجال دمامة في العالم، السيد/ طفار، ولكن ظهر فيما بعد أن مخاوفي من هذا الرجل كانت في غير محلها ـ كان مظهره غير مخبره ـ ضخم كالدب ولكنه كان مضحكا ومسليا.

دخلنا إلى مبنى قديم لم يستعمل منذ مدة طويلة تقدر بثمان أو تسع سنوات وجلسنا وحاولت الانسجام مع المكان، وقلت نعم «إن غدا يوم جديد» وقمنا بكل ما نستطيع لإصلاح وتجميل المكان ثم طفنا بالمكان وذهبنا إلى مبنى جديد من «الأبنية الجاهزة» وهو من أفضل ما رأته عيناي هناك، وكان هذا المبنى هو مقر الرئاسة لهذا المعسكر.

لم تكن لنا أية صلة بالعالم الخارجي إلا عن طريق الراديو. فكنا نستمع إلى إذاعة لندن وصوت أمريكا، أما التليفزيون فلم نكن نشاهد إلا تليفزيون بغداد، وقد أحضر الحراس لنا ڤيديو وزودونا ببعض الأفلام من وقت لآخر ـ ومن المدهش حقا أن أحضروا لنا ذات مرة شريطا لإحدى حفلات «مادونا» ولم أكن أعرف من هي هذه المغنية الراقصة ولكن زملائي في الاعتقال كانوا يعرفونها، وفي الفترات التي كانت تعرض فيها شرائط الفيديو كان عدد الحاضرين يتضاعف، كنا عشرين درعا

بشريا بالإضافة إلى المعتقلين الآخرين والحراس وكان ينضم إلينا بعض البدو القادمين من الصحراء العراقية.

استطعنا الحصول على الجريدة العراقية التي تصدرها وزارة الإعلام باللغة الإنجليزية «بغداد أوبزيرفر» وبالطبع فإن هذه الجريدة كانت تناصر العراق والفلسطينيين ضد الأمريكيين بوجه خاص والغرب بوجه عام، وقرأنا تصريحا لياسر عرفات:

«إذا تدخلت أمريكا ضد العراق فإننا سنقتل كل الرهائن الأمريكيين». وقد سبب لنا هذا التصريح قلقا عميقا، وكنت أفكر في أسرتي وفي المستقبل، وكنا على ثقة كاملة أن سياسة الولايات المتحدة لن تضع في اعتبارها حفنة من الأسرى، وأن وجودنا لن يردع الولايات المتحدة والدول الغربية عن غزو العراق على عكس ما توقعه صدام حسين.

واستطرادا لما سبق، أود أن أسوق مثلا حول اختلاط الواقع بالخيال: فبعد قراءة تصريح ياسر عرفات في جريدة «العراق أوبزيرفر» كنت أتجول في الصباح الباكر ورأيت منظرا توقف له قلبي وأحسست بالذعر.. رأيت عددا من الحفر تشبه القبور تم حفرها حديثا، وبعد فترة استطعت فيها السيطرة على أعصابي سألت رئيس الحرس عن ماهية هذه الحفر فقال إنها تسمى خندق الثعلب «Fox holes» وتم حفر الكثير من هذه الخنادق حول المكان كله، وسيلجأ إليها الحراس بمدافعهم الرشاشة المضادة للطائرات للدفاع عن المكان ضد أي هجوم جوي.. وذكرتني هذه الخنادق بما حدث في كوريا منذ ثمانية وثلاثين عاما.. إنه حقا أمر مثير للذعر.

في عيد الشكر عام ١٩٩٠، قررت العراق تقديم الوجبات لنا، ولم

يكن العراقيون على وعي بمعنى عيد الشكر، ولكنهم كانوا على علم بأن هذا العيد مهم للأمريكيين ولا أعلم من أين جلب العراقيون الديكة الرومية، على أية حال فقد حصلنا على وجبة رائعة بكل ما يلزمها من: البيرة ـ النبيذ والويسكي، وقد جاءوا بـ «كلم» من أحد المعسكرات المجاورة. وكانت أول مرة يرى فيها أحدنا الآخر منذ إلقاء القبض علينا، ولما كنت أقدم الرهائن فقد طلب مني إلقاء كلمة بمناسبة عيد الشكر.

كانت الإذاعة البريطانية وصوت أمريكا يذيعان برنامجا مرتين في اليوم يسمى «رسائل المستمعين» وفيه يتم إذاعة رسائل قصيرة مسجلة من قبل الأسر التي وقع عوائلها رهائن لدى العراقيين. وقد استمعت إلى رسالة بصوت زوجتي، وعلمت منها أنها وصلت بأمان إلى الوطن، كما استمعت إلى رسائل من بناتي ومن أولاد عمي في لندن ومن أفراد آخرين، لقد كانت هذه الرسائل المسجلة إحدى وسائل الاتصال مع أفراد الأسرة، وقد سمحوا لنا بكتابة الرسائل إلا أنها لم تصل إلى الوطن إلا بعد فترة طويلة، فقد تسلمتها بنفسي بعد أن أطلق سراحي وعدت إلى الوطن.

وفي أوائل نوفمبر ١٩٩٠، سمح لنا بإجراء مكالمات هاتفية للخارج، وأخيرا استطعت التحدث مع زوجتي وبناتي وأبلغتهم أنني بحالة جيدة. ولم أكن أعلم في ذلك الوقت أن زوجتي تبذل جهودها لإطلاق سراحي من الأسر، فقد قامت زوجتي وابن عمي المقيم في لندن والسناتور الأمريكي «هاري ريد» عن ولاية نيفادا بمحاولات لإطلاق سراحي منها عدد من الرسائل المطولة قامت بنشرها الصحف في لاس فيجاس ورينو، ولم أعلم بكل ذلك إلا بعد إطلاق سراحي.

لقد كنت في الحبس الانفرادي أشعر بالوحدة، أشعر بأنني شخص لا

قيمة له، مهمل، لست على بال أحد . . وقد زال كل ذلك عني بعد أن أصبحت حراً وعرفت المحاولات التي قامت بها أسرتي لإطلاق سراحي ومنها أن زوجتي جاءت مع وفد إلى بغداد لمقابلة صدام حسين تطلب الإفراج عني ـ كما سيرد فيما بعد.

كنا نشاهد الأخبار في تليفزيون بغداد كل ليلة: أولا نرى برنامجا طويلا بالعربية، ثم بالفارسية ثم الفرنسية وأخيرا باللغة الإنجليزية، وكان صدام حسين العنصر الرئيسي في كل الأنباء. . وفي إحدى المرات ـ قبل الغزو العراقي للكويت ـ شاهدت وزوجتي صدام حسين وزوجته يمشيان على الجليد لمدة ساعتين، (وكانت الموسيقى تعزف لحنا للموسيقار باخ برندنبرج كخلفية للصورة).

وكنا نحن الرهائن إلى جانب الأخبار نشاهد المقابلات التي تجرى بين صدام حسين وشخصيات مهمة مثل: إدوارد هيث، جيسي جاكسون، رمزي كلارك . . . إلخ. وكلها كانت زيارات يقوم بها هؤلاء الأفراد الذين كانوا يشغلون مناصب مهمة في دولهم من أجل إغراء صدام حسين بإطلاق سراح الرهائن، وفي الأسبوع الأخير من نوفمبر، زار محمد علي كلاي بطل الملاكمة الشهير بغداد وقد أجرى مقابلة مع صدام حسين الذي أظهر استجابة لرغبات الآخرين. وفي نهاية المقابلة وقف صدام حسين وصافح محمد علي بحرارة وقال:

«يامحمد علي، لا أستطيع أن أتركك تذهب إلى وطنك خالي الوفاض، أرى أن تصطحب معك بعضا من أصدقائك الأمريكيين».

وهنا قلت للجالس بجانبي: «من هم هؤلاء السعداء الذين سيطلق سراحهم؟». في الساعة الرابعة مساء الثامن والعشرين من نوفمبر جاءني

أحد رجال الحرس وأخبرني أنني سأعود إلى وطني وجاء بعده قائد الحرس وطلب مني الاستعداد لمغادرة المكان. وبعدها بربع ساعة جاءت سيارة ونقلتني إلى بغداد لأغادر العراق بصحبة محمد علي كلاي، وقد وصلت إلى أحد الفنادق في بغداد وتناولت البيرة.

طلبت زوجتي هاتفيا لأخبرها بهذا الخبر ولدهشتي - كما قلت سابقا - أبلغتني أنها في طريقها إلى بغداد مع مجموعة تسمي نفسها «الرجوع إلى الوطن»، وهي مكونة من زوجات أمريكيات تلقين وعداً من سفير العراق في واشنطن بأنهن إذا سافرن إلى بغداد فسوف يعدن منها وفي صحبة كل زوجة زوجها.

وهكذا كانت زوجتي تبذل مافي وسعها طوال الوقت لمحاولة إطلاق سراحي وعدت إلى الوطن بعد ثلاثة أيام.

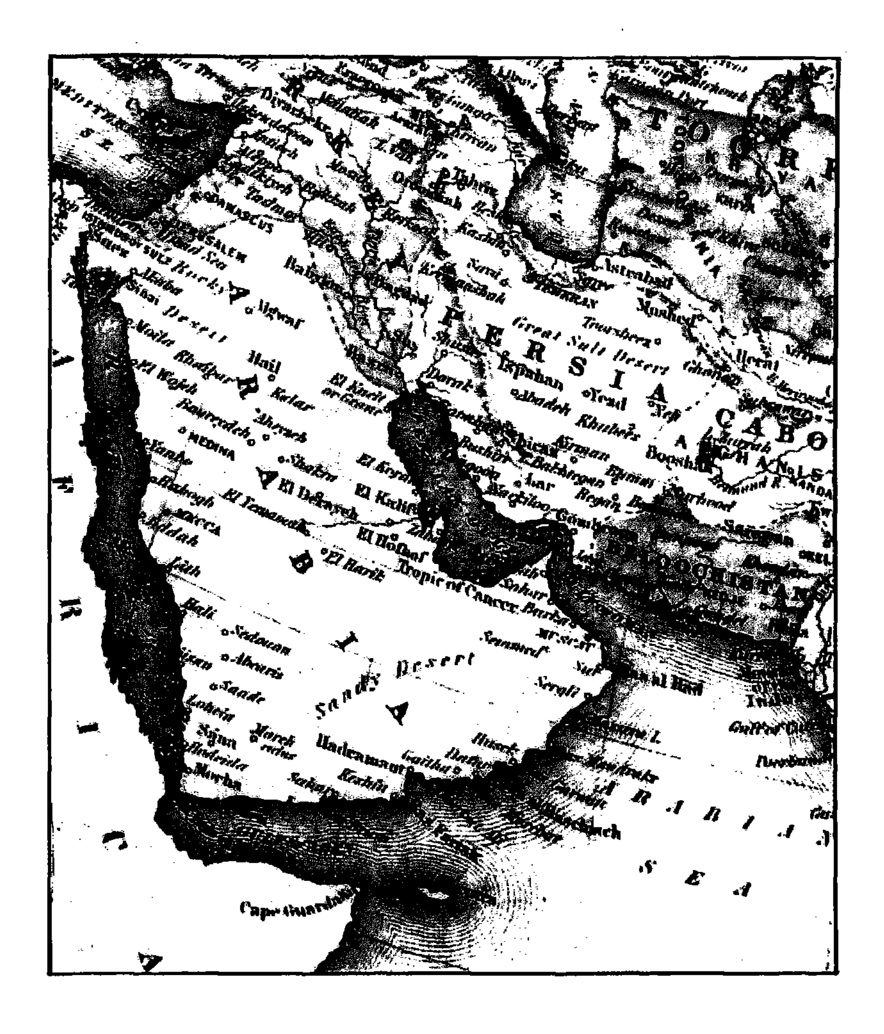
لا أستطيع أن أوضح الظروف التي جعلت اسمي يدرج في قائمة الرهائن الذين سمح لهم بمغادرة العراق مع محمد علي حتى قابلت أحد الإخوة الأصدقاء «عباس جعفري».

قابلت عباس جعفري لأول مرة عام ١٩٤٨ عندما كنت طالبا في الكلية وكان عباس وأخ إيراني آخر هو أردشير زاهدي قد جمعتنا صداقة امتدت لسنوات عديدة، وقد تقلد عباس مناصب رئيسة في شركة البترول الإيرانية. أما أردشير زاهدي فقد كان شخصية مرموقة في حكومة الشاه السابقة. ولما قامت الثورة الإيرانية كان أردشير زاهدي سفيرا لإيران في الولايات المتحدة. وهو الآن يعيش في مونتريه في سويسرا يكتب مذكراته. وقد أخبرت زوجتي «عباس» أنها ذاهبة إلى العراق «لإطلاق سراح جورج» ولكن عباس أخبرها أنها تقوم بعمل

خطر وأنني لن أرضى عن قيامها بهذا العمل، وفعلا لو عرفت ذلك لكنت قد نهيتها عن القيام بهذه الزيارة، ولما رفضت زوجتي الانصياع لرغبته، اتصل عباس بأردشير زاهدي وطلب منه المساعدة.. وهنا اتصل أردشير بالملك حسين في الأردن ووافق الملك حسين على التدخل والقيام بالمساعدة، وهكذا وافق صدام حسين ووضع اسمي في قائمة الرهائن الذين سيطلق سراحهم. واشترط ألا أقوم بتوجيه أي نقد للعراق بعد إطلاق سراحي(*).

وقد اتصل أردشير زاهدي بأخ لصدام حسين كان يعمل دبلوماسيا في جنيف فوعده بالمساعدة في إطلاق سراحي.. وهكذا أطلق سراحي وغادرت بصحبة محمد علي.

*) واضح أن هناك قدرا من الالتزام في هذه الشهادة بهذا الوعد.



تظهر هذه الخريطة في أطلس كولتون (أطلس طبيعي سياسي) حيث تبدو الكويت (كتبت خطأ ELKneit) وتحت هذه الكلمة كتبت باسم القرين Grane ـ والخريطة تحمل رقم ٢٧ في الأطلس وقد طبع في نيويورك عام ١٨٥٦ وهو محفوظ في مكتبة الجمعية الجغرافية المصرية.

تود . ل . دافيس

إلينوى

كنت أظن أنني شخص صلب العود فلقد مر بي الكثير فلا شيء مما في الشرق الأوسط يمكن أن ينال من نفسي، وقد تبينت أني كنت على خطأ، فلقد عشت في الكويت خمسة عشر عاما وفي إيران لمدة عامين وأعتقد أنني مررت بكل الظروف التي صاحبت الأزمة ولمدة ثماني سنوات استغرقتها الحرب الإيرانية العراقية، وشاهدت صنوفا من أساليب تلك الحرب: القصف الجوي، وحرب الصواريخ، وهدير الدبابات إلى آخره. . .

ولدت زوجتي «مارلين» في الكويت وتوقفت عن زيارة وطنها لبنان حتى تتجنب مخاطر الحرب الأهلية هناك، ولكثرة أعمالي في الكويت لم أستطع الحصول على إجازة لمرافقتها إلى هناك. وفي طهران كنت أعمل في الجامعة، والتي كانت مركزا رئيسا من مراكز المعارضة لشاه إيران، وبالتالي أصبحت هدفا رئيسا من الأهداف التي أنزل بها عقابه وإرهابه.

وفي ليبيا، تعرضت للاحتجاز أنا ووالدي فلسوء حظنا هبطت بنا الطائرة في بني غازي ولم نستطع مواصلة السفر إلى القاهرة. فقد منعت القاهرة دخول جميع الطائرات القادمة من المجال الجوي الليبي نظرا لتوتر العلاقات السياسية بين البلدين ومُنعنا من مغادرة المطار وتركنا في الطائرة التي هبطت على مدرج المطار في الصحراء الليبية وتوقفت محركاتها وبالتالي توقفت جميع أجهزة التكييف في الطائرة ـ وحدث ذلك في شهر أغسطس ـ وقد نالنا من التهديدات ما نالنا بسبب جنسيتنا الأمريكية.

ورغم كل ما سبق، فلم أكن مستعدا لمواجهة ماحدث في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، ولا أتذكر أن أحداً طلب إلينا، نحن المواطنين الأمريكيين أن نكون على أهبة الاستعداد لأي طارئ، وقد أحسسنا أن حشد بضع مئات من الألوف من الجنود العراقيين على الحدود الكويتية ليس إلا نوعا من تبديل الأماكن يجريها العراق في صفوف قواته المسلحة، ولم يهتم أي فرد بالتهديدات الموجهة من العراق، واعتقدنا أن الأمر لن يكون أكثر من الاستيلاء على جزء من الأراضي الحدودية، وأن الولايات المتحدة ستقوم بإرسال سفينة أو سيفنتين حربيتين لزيارة الكويت وليس ذلك بالشيء الجديد.

ومع ذلك فإن هاجس الغزو العراقي للكويت ظل يؤرقني كل ليلة وخاصة عند مشاهدة التلفاز والاستماع إلى كلمات صدام حسين التي كان يكررها كل ليلة: «إن مشاكل العراق سببها الرئيس كل من الكويت والإمارات العربية المتحدة». وكان من الواضح أن الإمارات العربية تقع على الناحية الجنوبية من آبار السعودية.

هل كان صدام حسين يقصد من كلماته هذه اختبار ردود الفعل الدولية؟ نعم، لم تكن هناك أية ردة فعل لعبارات صدام حسين ولم أسمع حتى ذلك اليوم أي تعليق أو تحليل حول ما قاله صدام حسين ضد الإمارات، ولا حتى في أثناء الاستعدادات لحملة عاصفة الصحراء.

وفي أثناء الاجتماع الذي عقد في السفارة الأمريكية بالكويت قبل الغزو مباشرة، طُلب إلينا أن نكون على أهبة الاستعداد، وأن لدينا الفرصة من الآن أن نغادر الكويت إذا رغبنا في ذلك.

واستيقظنا يوم الخميس صباحا واستعد كل منا للذهاب إلى عمله

وقبل أن تتحرك بنا السيارة أدركنا أن شيئا ما قد حدث ، فقد ترامى إلى مسامعنا هدير الدبابات ، وفي هذه اللحظات بالذات ، كان عدد من أصدقائنا في عداد الموتى أو يتعرضون للقصف من قبل القوات العراقية في شمال المدينة ، وعندما أجريت مكالمة هاتفية للبنك الذي أعمل به علمت أن القوات العراقية قد أخذت طريقها إلى البنك المركزي .

وفي الساعات الأولى للغزو ، اعتقدنا أن هذه ليست إلا مجرد غارة قام بها صدام حسين لمعاقبة الكويت بسبب التهم التي وجهها إليها ، إذ سيقوم العراقيون بسرقة عدة أشياء ويعودون من حيث أتوا . . إلى الحدود التي يحددها صدام حسين ، وساعتها سوف نحس كلنا بالسعادة والفرحة عندما نرى صدام أوجنوده يغادرون الكويت وينتهي الإزعاج الذي قام به .

ولكن كثافة الحشد العسكري وهدير المدافع واستمرار القصف قطع الشك باليقين ، ولم يعد لدينا أدنى شك أن صداما لم يكن يسعى لاختراق سريع فقط ، ومع وجود قتال متقطع في الشوارع المجاورة لنا قامت مدافع الدبابات بإطلاق قذائفها على المباني الحكومية لتدميرها وتسويتها بالأرض ، وكنا نسكن بالقرب من قصر «بيان» الذي بني في وقت قريب لاستضافة المؤتمر الإسلامي ، وأصبح بعد المؤتمر مقرا للحكم في الكويت ، ونظرا لأن الطابق السفلي من هذا المبنى قد استعمل للإرسال التليفزيوني [١] فقد أصبح هدفا من الأهداف التي تعرضت لكل أنواع القصف المباشر من قبل العراقيين ، واستمر ذلك القصف طوال اليوم .

---

(١) لعله يقصد أن قاعة المؤتمرات بقصر بيان كانت مجهزة بإمكانيات البث المباشر في أثناء انعقاد المؤتمرات المهمة بها .

ومما زاد الطين بلة وأثار رعبنا، أن ولداي: «ديلان ٥ سنوات، إيثان ٣ سنوات» كانا معنا في المسكن. فقمت بوضع فرشات الأسرّة على النوافذ لتمنع الزجاج المتطاير من شدة القصف وقضينا طوال الوقت في الحمام. الذي كان به نافذة تهوية ضيقة.. ولم يكن لدي ما أقوله للأطفال لأوضح لهم هذه الحماقات التي ارتكبها العراقيون.

وكانت الشائعات تنتشر بسرعة، ولم يقدم لنا صوت أمريكا شيئا أو أخبارا يمكن الاعتماد عليها، ولكن لحسن الحظ كان الاستماع إلى الإذاعة البريطانية مدعاة للهدوء وراحة البال. وكان كثير من رؤساء الأقسام في السفارة مسافرين إلى الخارج أما الباقون الذين كانوا في الكويت فلم يعدوا الإعداد الجيد لمواجهة مثل هذه الحالات من الأزمات التي تحدث في الشرق الأوسط، وقد كان قلة من هؤلاء لديهم خبرة بمواجهة مثل هذه المواقف ولما كانت لي خبرتي واتصالاتي في الشؤون العربية والإيرانية، فقد قدمت إرشاداتي ومساعداتي في هذين المجالين. إلا أننا في الأيام الأولى للغزو لم نكن على وعي كامل بأهداف الغزو العراقي للكويت، وكانت كل الأخبار التي تصل إلينا مجهولة المصدر وغير موثوق بها.

وبعد أن أحكم العراقيون قبضتهم على الكويت، ادعوا أنهم جاءوا إلى الكويت بناء على الدعوة التي وجهها إليهم بعض الكويتيين الأحرار، ولكن هذا الادعاء ظهر زيفه حيث رفض الكويتيون التعاون معهم وظهر شخص في التلفاز ادعى أنه بطل وطني وأنه الأمير الجديد، ومن المضحك حقا أنه لم يعرف كيف يرتدي الزي الكويتي، وفي اليوم التالي اختفى هذا الشخص تماما.

وكانت الخطوة التالية لدى العراقيين أن يجبروا الناس على العودة إلى

العمل حتى يظهروا للعالم رضى الناس عن الأوضاع الجديدة، ولكن كان هناك تحد عام كامل بالرغم من كل الإجراءات والأساليب الوحشية التي قام بها العراقيون وهنا ظهر حنق صدام حسين وغضبه.

والمثل يقول: «إذا رفض الناس التعاون معك فلابد أن تعدل القوانين» حتى لا يكون اللعب من قبل طرف واحد، لأن قانون اللعب الأساسي يحتم أن يكون هناك فريقان، وأعلنت العراق ضم الكويت، وبدأ حصار الأجانب وفتحت الحدود حتى يخرج الكويتيون لإجبارهم على الرحيل عن الكويت.

وكان الكويتيون يجتمعون فوق أسطح منازلهم بالليل يرفعون أصواتهم بالتكبير إلى عنان السماء على أمل أن تلتقط الأقمار الصناعية الأمريكية صرخاتهم، وكانوا يطلبون من الله الرحمة والمساعدة ولكن العراقيين لم يتركوهم وشأنهم، فأخذوا يصوبون إليهم مدافعهم ليرغموهم على ترك أسطح منازلهم، وكان منظر الدعاء والصلوات الليلية مثيرا للشفقة[1].

وواصل العراقيون البحث عن الأجانب في الأماكن المجاورة لنا فغادرنا المنزل في الساعة السادسة صباح اليوم التالي، ووصلنا إلى أحد البيوت التي نعرف أنها بعيدة عن المراقبة وأن وجودنا بها هو حصن الأمان، وذلك نظراً لأن معظم سكان هذه المنطقة من الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين، وكان هذا آخر مكان يقوم العراقيون بالتفتيش

(١) المترجم: تؤكد هذه الرواية عن تحدي أهل الكويت للنظام العراقي من خلال التكبير من فوق أسطح المنازل الوثيقة العراقية الصادرة عن قائد شرطة الاحتلال العراقي بالكويت في ٢٨/ ١٠ والتي يأمر فيها «بفتح النار على سطوح المنازل التي تقوم بالتكبير ويكون ذلك بكافة الأسلحة».

عن الأجانب فيه. وعلمت أن منزلنا الذي (غادرناه أنا وزوجتي) قد تم نهبه بالكامل، وقد استولى العراقيون على كل ما نملكه ومنها لعب الأطفال وهدايا الزفاف وملابسنا الداخلية وكل شيء.. كل شيء!

وأحسسنا بالأمان في هذه الشقة التي تقع في أحد الأدوار الأرضية ونحن محاطون بالأصدقاء العرب، ولكن سوء الحظ لازمنا، فقد قامت المقاومة الكويتية بتفجير سيارة عراقية على بعد ١٠٠ متر من الشقة التي نقيم بها واستمرت عملية التفجير، وما تبعها من حرائق لمدة ربع ساعة وسط دوي يصم الأذان.

وبعد هذه الحادثة قررنا الفرار من الكويت إلى الحدود الأردنية ورغبة منا في إخفاء أطفالنا فقد ألبسناهم زيا عربيا كاملا. وكنا في صحبة مجموعة من الفلسطينيين واللبنانيين الذين قرروا مغادرة الكويت. لقد كان التفكير في عبور الصحراء العراقية والمرور عبر الطرق المكتظة بالعربات العسكرية، والوصول إلى الحدود الأردنية - حيث يتزاحم ملايين اللاجئين - حدثا مرعبا حقا ولكن الموقف في الكويت قد أصبح غير محتمل.

ولكن رحمة الله كانت أقرب، ففي اليوم التالي أعلن صدام السماح للنساء والأطفال الأجانب بمغادرة الكويت. لقد كان منظر الوداع لزوجتي وأطفالي مؤثرا ويستحق أن يكتب في كتاب بمفرده.

عشت في حجرة مظلمة حوالي أربعة أشهر، أعتمد على الطعام الذي كان يوفره لي الأصدقاء، وكان يمكنني استعمال حمام، ولحسن الحظ كان عندي مذياع يعمل على الموجة القصيرة، وكنت أدعو الله أن أستمع إلى رسالة من زوجتي حتى أطمئن على وصولها إلى الوطن، وحاولت الاستماع يوميا إلى الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وفي إحدى المرات

استمعت إلى صوت زوجتي . . كانت عشر ثوان ولكنها كانت نعمة من السماء . . وأود أن أسجل هنا أن خدمات صوت أمريكا لم تكن جيدة على الإطلاق .

عشت في قلق دائم : وكان القلق يسيطر عليّ ، فهؤلاء الأفراد الذين استضافوني في بيتهم كانت حياتهم في خطر فلو حدث أن اكتشف العراقيون المخبأ الذي لجأت إليه ، فسيتم إعدام هذه الأسرة عن بكرة أبيها في التو واللحظة . وقد جاء العراقيون وقاموا بتفتيش الشقة واختبأت تحت السرير وكان صدور أية عطسة أو حركة مني معناها صدور الحكم بإعدام هذه الأسرة ، ولا أدري حتى الآن كيف واجهت هذه الأسرة العسكر العراقيين وكيف تحملوا هذا التوتر الذي واجههم .

وفي الأيام الأخيرة التي ناقش فيها كل من مجلس الشيوخ الأمريكي ومجلس الأمن استعمال القوة لطرد العراق من الكويت ـ انتشرت الشائعات حول اقتراب موعد الإفراج عنا ـ لقد كانت مسألة الرهائن الذين احتجزهم صدام حسين في العراق ذات أثر سلبي ونقطة سوداء في تاريخ العراق ، وللأسف الشديد فإن الزيارات التي قام بعض الأفراد للعراق ومقابلة صدام حسين لإطلاق سراح مجموعة من الرهائن ، قد أهدت لصدام شيئا يسعى لامتلاكه : لقد تشبه بالملوك وتملكته العظمة وبدا منفوخا وارتدى لباس الاحترام في جميع تليفزيونات العالم . . إن هؤلاء الأفراد كانوا أكبر أعدائنا .

ولحسن الحظ ، تغلبت الحكمة والتعقل على بعض العراقيين وشعروا أن إطلاق سراح الأجانب قد يكون له تأثيره ويهدئ من العداء ضد العراق . وهكذا صدر الأمر بإطلاق سراح جميع الأجانب وتم السماح لهم بمغادرة العراق . وعن طريق الإذاعة استمعنا إلى التعليمات للمغادرة

إلى المطار للرحيل. ولكن المشكلة التي واجهتني كيفية الخروج دون أن يكتشف أمر هذه الأسرة التي آويت إليها حتى لا تتعرض للخطر.

كان منظر الكويت لا يمكن تصوره بعد خمسة أشهر من الغزو والرعب والدمار، شاهدت التدمير الذي قام به الغزاة كان شيئا سيئا حقا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك نية مبيتة لتدمير هذا البلد وقد نقلنا إلى قاعدة تقع في الشمال مما أتاح لنا الفرصة لمشاهدة الجزء الشمالي من الوطن.

ومهما عملت استوديوهات هوليوود من كوادر سينمائية فلن تستطيع أبدا أن تصور مثل هذا الدمار الذي حل بالكويت. لقد كان دماراً منظما وضعت له آلية ليشمل الكويت كلها. وكان أحدث الأفلام التي شاهدتها منظر الممثل «جيسن روباردس» وهو يسير بين بقايا حطام مدينة خربت بالسلاح النووي وكنت أظن أن هذه المناظر السينمائية فوق الخيال أو من نسج الخيال حتى شاهدت بعيني ماحدث للكويت نتيجة للغزو.

ريتا . م . هج
كلورادو

عملتُ بالكويت مستشارة لمكتبة الجامعة ـ وذهبتُ إلى الولايات المتحدة لقضاء إجازتي الصيفية التي انتهت في أواخر شهر يوليو ١٩٩٠ وأخذت أعد العدة للعودة إلى الكويت بالرغم من التحذيرات التي تلقيتها من أصدقائي حول الحشود العراقية التي تجمعت على حدود الكويت، ولم ألق بالا إلى اللغو الذي صدر من أصدقائي الذين اشتطوا كثيرا وطالبوني بعدم العودة إلى الكويت. وسخرت كثيرا من فكرة أن يقوم صدام حسين بغزو الكويت وأوضحت لأصدقائي أنني أعمل في الكويت الآن منذ عشر سنوات وكانت مسألة الحدود طوال هذه المدة مثار جدل ونقاش بين الدولتين وما هذه المشكلة التي تحدث الآن إلا واحدة منها، ودون تردد حزمت حقائبي وقفلت عائدة إلى الكويت في السابع والعشرين من يوليو ١٩٩٠ .

وفي صباح الثاني من أغسطس استيقظت على رنين الهاتف الساعة السابعة صباحا لتخبرني إحدى صديقاتي بأن العراق قامت بغزو الكويت، وظننت للوهلة الأولى أن صديقتي غير جادة وأنها تلقي بالنكات في هذا الصباح ولكنني في ذلك الحين بدأت أسمع صوت إطلاق النار وأصوات الانفجارات مما أكد لي جدية الحديث، وفي الحال قمت بتخزين المياه ووجدت أن ما لدي من طعام يكفيني لمدة ثلاثة أسابيع كما أجريت عدة اتصالات مع باقي الأصدقاء لمعرفة مزيد من الأخبار حول مصداقية الغزو وحاولت الاتصال مع أسرتي في الولايات المتحدة. وفي هذه الساعة المبكرة من الصباح سارعت إلى شرفة شقتي التي تقع في الطابق السادس بشارع حمد المبارك بمنطقة السالمية، إلا أنني لم أستطع مشاهدة أية دليل على مايحدث على بعد عدة أميال.

وفي الساعة العاشرة صباحا تقريبا شاهدت دخانا أسود واستمعت إلى صوت إطلاق النار باتجاه قصر الأمير، وبعد ساعات قليلة تواتر إليّ القصف من جميع الجهات واقترب مني كما لو كان على بعد بنايتين من شقتي، ولشدة دهشتي رأيت الشارع خاليا من السيارات إلا من سيارة واحدة ـ سيارة مياه ـ يقوم سائقها بري الأشجار والورود الكائنة بالطريق، شيء لا يصدقه العقل في هذا اليوم المليء بالمفاجآت.

حاولت إعداد حقيبة بكل حاجاتي الضرورية، واكتشفت أن جواز سفري موجود في إدارة الجامعة وأخيرا وضعت في الحقيبة الأوراق الضرورية التي أهتم بها مثل دفتر العناوين، صوري التذكارية، الحُليّ، والملابس. وفكرت في التوجه إلى السعودية ولكن بطارية السيارة كانت متوقفة عن العمل، ولم تكن لدي الرغبة أو الشجاعة للقيام بمحاولة الهرب، وحاولت تسجيل أفكاري فوجدت دفترا قديما كنت أقوم بتسجيل يومياتي فيه ولدهشتي وجدت به ـ وكان ذلك بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٨٧ ـ مناقشة جرت بيني وبين بعض الأصدقاء حول مخاطر الحياة في الكويت في ذلك الوقت خاصة بالنسبة للأمريكيين.

ومرت الأيام الأولى سراعا، وأمضيت الوقت في التحدث مع زملائي على الهاتف، الاستماع إلى الإذاعة البريطانية وصوت أمريكا لالتقاط أحدث الأخبار، القراءة، لعب الورق (الكوتشينة) بمفردي (لعبة السولتير)، كتابة أفكاري والأحداث التي أواجهها في دفتر اليوميات، الانتقال من نافذة إلى أخرى على أمل أن أشاهد شيئا ما. . وفي السادس من أغسطس، دعاني أحد الأصدقاء العرب على الغداء وأخبرني أو على الأصح أقنعني أن الجو آمن في الخارج، ويمكنني الخروج وقد وافقته دون تردد، وغادرت شقتي ـ ولم أكن أدري أنني لن أراها مرة أخرى هي وكل

متعلقاتي - وفي منزله الكائن في الجابرية شاهدت تقارير الـ سي إن إن (CNN) التي تفيد أن العراقيين يقومون بالقبض على جميع الجنسيات الأمريكية والغربية وهكذا قررت عدم العودة إلى شقتي.

كان المنزل الذي أقمت فيه بالجابرية يقع وسط مجموعة من «الڤيلات» يسكن فيها الموظفون الذين يعملون في معهد الكويت للأبحاث العلمية (كسر KISR) وقد عملت في مكتبة هذا المركز في الفترة من ۱۹۷۷ وحتى ۱۹۸٤ مما أتاح لي التعرف على كثير من الأفراد الذين يسكنون هذا المجمع، ولما كنت الأمريكية الوحيدة في هذه المجموعة، كان الجميع يلجأون إليّ لتقويم أخبار الـ سي إن إن، ولذلك استمعت إلى تقارير هذه المحطة بشغف واهتمام، وإلى تعليقات وآراء الإخوة العرب الذين كانوا في المجمع. وحاولت ما أمكن الاتصال الدائم بالسفارة الأمريكية على أمل أن تقوم بترحيلنا من الكويت، ووضعنا عدة خطط للهرب عن طريق المملكة العربية السعودية.. ولكننا نحينا هذه الخطط جانبا إذ كنا نعتقد في ذلك الوقت أن المشكلة لن تستغرق مدة طويلة وأن العراقيين سيرحلون في غضون أيام. ولكننا كنا على خطأ، ففي كل صباح كان صدام حسين يتحفنا بأخبار جديدة.. وفي كل مساء نسمع أصوات إطلاق النار، وكان أخشى ما نخشاه أن يعرف العراقيون المكان الذي نختبئ فيه ويقومون بإلقاء القبض عليّ.

وفي السابع عشر من أغسطس ۱۹۹۰، أحضر لي الأصدقاء الذين كنت أعيش معهم رخصة قيادة كويتية مزورة وتغيرت فيها جنسيتي من أمريكية إلى مجرية.. وقد قام الأصدقاء بهذا الإجراء ضمانا لسلامتي.. إذ كانت الجنسية الأمريكية في هذا الوقت معرضة للخطر من قبل العراقيين وكما قلت سابقا كان العراقيون يقومون باعتقال

الأمريكيين وترحيلهم إلى بغداد. وبدأ الإخوة غير الكويتيين في المجموعة التي تعايشت معها الاستعداد للرحيل من الكويت إلى الأردن عبر العراق[1]. وخلال الأسابيع التي قضيتها في الجابرية صاحبت طفلين سافرت والدتهما إلى لندن وتركتهما في رعاية والدهما، وقد أحس الطفلان في بادئ الأمر بالقلق ولكنهما شعرا بالأمان بعد ذلك عندما علما بأنني لن أتركهما بمفردهما. وقد خطرت فكرة ببال الطفل ذي الست سنوات وأخبرني بأنه سيقوم بطلائي باللون الأخضر ولصق الريش على كل جسدي حتى نستطيع الهرب من العراقيين وسألني إن كنت أستطيع النباح وقد أخبرته أنني أستطيع النباح في وجه العراقيين، ولكن ذلك لن يكون الوسيلة التي تؤدي بنا إلى بر الأمان.

أعلن العراق في ٢٦/٨/ ٩٠ تحذيرا لكل عربي يساعد على إخفاء أي فرد أجنبي خاصة من دول الغرب، وأن عقوبة التستر على الأجنبي هي الإعدام، ولذلك فقد اعتقدت أن عليّ مغادرة هذا المكان حتى لا أجلب الضرر لهؤلاء العرب الذين أقيم بينهم ولم يكن من المعقول العودة إلى شقتي السابقة فلم يكن بها خدمات، ولحسن الحظ استطعت الانتقال للمعيشة مع أحد الأمريكيين الذين كانوا يعملون معي في مكتبة الجامعة، وفي هذا السكن الجديد الذي انتقلت إليه دون مشقة في منطقة الجابرية نفسها، افتقدت مشاهدة تقريرات الـ سي إن إن والمناقشات اليومية مع أصدقائي العرب ولكني أحسست بالسعادة لكثير من الأسباب: فقد تفاديت إنزال العقاب بهم من قبل القوات العراقية إذا ما تم انكشاف أمري، كما أن البيت الذي نزلت به كانت به كميات كبيرة من الأغذية بالإضافة إلى أنه يطل على طريق الدائري الرابع، وأمضيت الساعات

(١) المترجم: في تلك الفترة غادر كثير من الفلسطينيين الكويت عبر العراق فقد كانوا في مأمن عند مغادرتهم.

الطوال في مراقبة المرور وأحسست بالغيرة تجاه المزية التي يتمتع بها هؤلاء الأشخاص في الذهاب هنا وهناك .

وفي ٣٠ أغسطس ١٩٩٠ ، قرر العراق السماح للنساء والأطفال الأجانب بمغادرة البلاد وبدأت السفارة الأمريكية في وضع الترتيبات لنا لمغادرة الكويت ، وأصبح لدي الكثير من المشاعر المتباينة تجاه مغادرة الكويت ، وشعرت بالتردد خاصة وأنني سأترك زملائي الأمريكيين الذين شعرت نحوهم بالمسؤولية ، كما أن المشروع الذي بدأناه في الجامعة واستمر العمل فيه زهاء ثلاث سنوات لم ينته بعد ، ولكن كان لابد من الرحيل ، فقد أصبحت الحياة في الكويت متوقفة ، ورغبة في أن أظل في الكويت حتى اللحظة الأخيرة للمغادرة فقد طلبت من السفارة أن أكون آخر قائمة المغادرين وإعطاء أولوية السفر لأولئك اللواتي هن في حاجة إلى ذلك أو تستدعي أحوالهن الصحية مغادرة البلاد أو السيدات اللواتي لديهن كثير من الأطفال . . ولكن حانت النهاية وجاء دوري بالسفر في ٨ سبتمبر ١٩٩٠ .

وفي السادس من سبتمبر أي قبل رحيلي بيومين ، واجهتني مشكلتان :

المشكلة الأولى كانت الذهاب إلى شقتي في السالمية لإعداد حقائبي للسفر ـ ومن الجدير بالذكر أن أحد أصدقائي الإيرانيين أحضر لي جواز سفري من الجامعة وكان هو المشكلة الثانية ـ ولم أستطع أن أطلب من أحد أصدقائي العرب مساعدتي للوصول إلى المطار فإن ذلك سينزل به عقاب العراقيين . ولكن السفارة الأمريكية استطاعت حل هذه المشكلة وأرسلت لي أحد اللبنانيين الذي تطوع بتوصيلي إلى المطار . . وهذا اللبناني كان قد اعتاد مواجهة المخاطر وقضى مدة في بيروت حيث الحرب الأهلية

الدائرة هناك عودته على مواجهة المخاطر، وساعدني صديق آخر على جمع حاجياتي من الشقة كما أمليتها عليه عن طريق الهاتف، وقد سمحت لنا السلطات العراقية بحمل كل ما نريده . . ولكن جاءني هاتف من السفارة الأمريكية يخبرني بأن العراقيين عدلوا عن رأيهم وأنهم لن يسمحوا لنا إلا بحقيبة واحدة .

وفي الطريق إلى مطار الكويت، شاهدت لأول مرة بعضا من الدمار الذي حل بالبلاد خلال الأسابيع المنصرمة : كانت الطرق مليئة بالعربات المحترقة المهجورة، وشاهدت كثيرا منها سرقت إطارتها وآلاتها، كما شاهدت كثيرا من المباني الحكومية التي تم تدميرها وأخرى متفحمة .

ولم أشاهد أي أثر لقوات عسكرية عراقية حتى وصلت إلى المطار . وكان زملائي في رحلة العودة إلى الولايات المتحدة كلهن سيدات أمريكيات معهن أطفالهن ومعظمهن متزوجات من كويتيين، وانتظرنا في المطار تسع ساعات مليئة بالتوتر، واعتقد البعض منا أن العراقيين قد ينكثون بوعدهم، وتلغى الرحلة الجوية ويطلبون منا العودة إلى منازلنا . . ولم نكن على استعداد للعودة مرة أخرى إلى تلك المنازل التي رحلنا عنها فقد كان البعض مازال مختفيا فيها . . وأخيرا ركبنا طائرة عراقية حملتنا إلى بغداد . . وفي أثناء إقلاع الطائرة نظرت إلى الطريق الدائري الخامس . . مهجورا إلا من سيارة واحدة . . ولم أشعر بالسعادة لرحيلي عن الكويت بل كان الحزن يخيم عليّ، ملأ قلبي الحزن على هذا الوطن وشعبه والأصدقاء الذين تركتهم فيه والحياة التي عشتها فيه . وهبطت الطائرة بنا في مطار بغداد بعد ساعة من إقلاعها . . واستمعنا في دهشة بالغة إلى صوت المضيفة العراقية التي تشكرنا لاختيارنا السفر على شركة الخطوط العراقية وتطلب منا تكرار هذا الاختيار ! ! !

وعند وصولنا إلى بغداد ، تعرضت السيدات لحرب أعصاب أخرى فقد أعلن العراقيون أنه يمكن السماح للسيدات الأمريكيات بمغادرة العراق دون اصطحاب أطفالهن، فهؤلاء عليهم البقاء في العراق وبعد ثلاث ساعات مضنية من العذاب والألم سمح لنا جميعا نساء وأطفالا بالسفر جوا إلى عمان بالأردن. ولا يستطيع المرء أن يعبر عن مدى الراحة النفسية التي أحسسنا بها لدى وصولنا إلى مطار عمان بعيدا عن العراق. أخيرا بعد ستة أسابيع تقريبا استطعنا الخروج من مخالب صدام ولكن الكثير منا مازال بين براثنه مختفيا في الكويت أو محتجزا لدى صدام في العراق. وفي عمان ركبت طائرة غربية توجهت بنا إلى مطار فرانكفورت في ألمانيا، ثم طائرة أخرى إلى هاليفاكس في كندا (حيث أجريت لنا فحوص طبية) وأخيرا هبطنا في مطار تشارلستون بولاية كارولينا الجنوبية حيث أنشد شخص ما «حفظ الله أمريكا» وفي كل مرة أستمع إلى هذا النشيد أتذكر ماحدث في أغسطس ١٩٩٠ .

وعندما أفكر في الغزو، أتذكر «ربيعة» أفضل صديقاتي التي عملت معي لعدة سنوات في (KISR) (معهد الكويت للأبحاث العلمية).

وضعت «ربيعة» لافتة على مكتبها تقول: «ركب جدي الأكبر جملا، وركب جدي الثاني قطارا، ويسوق والدي الآن سيارة أما أنا فأقود الطائرة، ويأتي ابني بعد ذلك وسيركب جملا».

ولم تخبرني «ربيعة» أبدا عن المعنى الذي تدل عليه هذه اللافتة ولكنها تقصد أن الكويت التي نعيش فيها اليوم هي كويت الأحلام، والأحلام لا تستمر طويلا.

وعندما قابلت «ربيعة» عام ١٩٩١ بعد التحرير وذكّرتها باللافتة التي تضعها على مكتبها، ابتسمت وقالت: «لقد انتهى الحلم، ولكن إذا أراد الله فإننا سنحلم من جديد وتكون لدينا إرادة قوية».

ومن أجل الكويت أدعو الله أن تكون على صواب ويحقق الله حلمها.

يوجين أ. هوس
نيو مكسيكو

في صيف ١٩٩٠ وضعنا خطتنا لقضاء فصل الصيف مع ولدي وزوجته، وكانت خطتنا الذهاب إلى الكويت لمدة أسبوع نقضيه مع ولدنا دونالد وزوجته ماري ثم نغادر جميعا بعد أسبوع من وصولنا في ٧/٢٧ أي في السادس من أغسطس ١٩٩٠ إلى هولندا وإنجلترا واسكتلندا، ولكن هذه الخطة لم تنفذ على الإطلاق فقد كانت حلما قضى عليه صدام حسين.

قبل مغادرة منزلنا في «البوكيرك» بولاية نيومكسيكو بالولايات المتحدة قرأنا إحدى المقالات التي نشرتها جريدة محلية وعلمنا أن العراق قد حشدت أعدادا كبيرة من الجنود على الحدود مع الكويت وهاتفنا ولدنا «دون» في الكويت الذي طمأننا إلى أن الأمور تسير على مايرام وأنه لا داعي للانزعاج، كما أن الضباط العسكريين الكويتيين الذين يعملون معه في القاعدة العسكرية أفادوا بأنهم لا يتوقعون أي هجوم عراقي.. ومما زاد في بث روح الأمان لدينا بعد هذه المكالمة الهاتفية مع ولدنا «دون» في الكويت أن حكومة الولايات المتحدة لم تصدر أي تحذير لرعاياها حول السفر إلى الكويت ولم تحظره.. وهكذا غادرنا الولايات المتحدة إلى الكويت كما خططنا من قبل ووصلنا الكويت في السابع والعشرين من يوليو ١٩٩٠.

في صباح ٢ أغسطس ١٩٩٠، اتصل أحد الأشخاص بولدنا «دون» في المنزل وأفاده بأن الغزو العراقي للكويت قد تم فعلا، وفي ولاية «إيداهو» بالولايات المتحدة سمعت ابنتنا بأخبار الغزو واتصلت هاتفيا للاطمئنان ولكن المكالمة قطعت، وبعد فترة شاهدنا طائرات الهليوكوبتر

روسية الصنع وهي تضرب خزانات الوقود في القاعدة العسكرية وكانوا يطيرون على ارتفاع منخفض فوق المنزل وقد استطعنا تصويرهم بكاميرات الفيديو التي لدينا، وقمنا بعرض هذه الأفلام بعد ذلك أي بعد رجوعنا سالمين إلى أرض الوطن. . ولكن هذه قصة طويلة.

وفي المساء عادت الاتصالات الهاتفية الدولية واستطاعت ماريا زوجة ولدي (دون) الاتصال بأهلها في هولندا وابنها في تكساس وطلبت من ابنها الاتصال بجميع أفراد الأسرة وإخبارهم أننا بخير.

وفي أثناء الأيام الأولى أمضى «دون وماريا» معظم أوقاتهما في إعداد الطعام والمرور على الأصدقاء وعلى زملاء «دون» في العمل وتلبية طلباتهم والاطمئنان عليهم، وكان «دون» يتنقل بحرية في المدينة طوال الأسبوع الأول للغزو تقريبا، وانضمت للإقامة معنا اثنتان من الفتيات الفلبينيات اللتين كانتا تعملان في كنيسة ماريا، وكانتا تخشيان تدمير الكنيسة وقد مكثا معنا في المنزل حتى استطاعتا الحصول على أوراق السفر من السفارة الفلبينية وقد علمنا فيما بعد من إحداهن أنهما وصلن بسلام إلى بلدتهما.

عزز العراقيون قواتهم في الكويت وأصبح من الصعب التجول في المدينة وأقيمت نقاط التفتيش في كل مكان وخاصة في الطرق الرئيسة وفي التقاطعات، ومن نافذة منزلنا استطعنا مراقبة السيارات وهي تتوقف أمام نقاط التفتيش وكان الجنود العراقيون يقومون بتفتيشها والاستيلاء على الطعام الموجود بها. . . كان الجنود العراقيون في حالة جوع شامل فقد تركهم ضباطهم دون طعام أو ماء وطلبوا من جنودهم أن يبحثوا عن الطعام بأنفسهم وكان هؤلاء الجنود ينامون بالليل في عربات الشرطة المحطمة أمام تقاطع الطرق.

في التاسع من أغسطس ١٩٩٠، فرضت الأمم المتحدة العقوبات الاقتصادية على العراق، واعتقدنا جميعا أن هذه العقوبات ليست فعالة بالدرجة التي تجبر العراق على الانسحاب من الكويت، وفي هذه الفترة تردد على أسماعنا مايقوم به العراقيون من ممارسات وحشية ضد شعب الكويت.

وقد استطعنا الذهاب إلى السفارة الأمريكية واتصلنا بالعاملين هناك ووضح لنا أن الموقف خطير للغاية ورأينا ألا نخبر السفارة بالمكان الذي نقيم فيه خوفا من أن تقع هذه المعلومات في أيد غير صديقة!!

كانت حياتنا اليومية مليئة بالعمل الروتيني وكنا نراقب القوات العراقية بالنظارات المكبرة وهم ينقلون معداتهم عبر الطريق الدائري السادس وبدأ العراقيون في سلب الكويت ونهبها، ورأينا القوارب والسيارات وأثاث المنازل الفاخر ومعدات البناء تنقل إلى الشمال، وفي الليل قبل العشاء كانت تتشابك أيدينا ونقوم بالصلاة داعين لأنفسا ولأسرنا وللكويت وشعبها، وقمنا بزيارة جيراننا الكويتيين وقبلنا دعواتهم إلى ديوانيتهم وعرفنا كثيرا من المعلومات هناك عما يحدث في كثير من أنحاء الكويت، ونظمت المقاومة الشعبية واهتم الكويتيون بما يمكن أن تقوم به الولايات المتحدة والأمم المتحدة لمساعدتهم.

استطاعت زوجاتنا مغادرة الكويت في أول رحلة قامت من الكويت وتتبعنا وصولهم من خلال محطة البي بي سي والتليفزيون حتى وصولهم إلى تشارلستون وسعدنا لأنهم وصلوا الوطن سالمين ودعونا الله أن نلحق بهم ليلتئم الشمل من جديد.

راقبنا قوات الجيش العراقي يوميا وهي تقوم بحفر الخنادق عبر الشارع

وانتقل بعضهم إلى المنزل المجاور لنا بعد أن غادرته الأسرة الكويتية التي كانت تقيم فيه والتزمنا الهدوء تماما داخل مسكننا، وكنا نعد كل متطلباتنا بالنهار وكذلك إعداد الطعام. أما في الليل فكان الظلام الدامس يسود المنزل ولم نلجأ إلى إضاءة الأنوار الكهربائية خشية افتضاح أمرنا واستمر الجيران على صلة بنا وأمدونا بالطعام والمؤن يوميا، وقد هدد العراقيون كل من يقوم بمساعدة الأجانب الغربيين بالإعدام، لكن هؤلاء الجيران استمروا في مواصلة مساعدتهم لنا كل ليلة.. وكنا نرتدي الزي العربي كنوع من التنكر للخروج والتخلص من القمامة.

أقام معنا في المنزل ثلاثة رجال آخرون كان الأول رجلا بريطاني الجنسية رحلت زوجته وأولاده من الكويت، أما الآخران فكانا من جنسيتنا. وكان أحدهما يعمل مدرسا بإحدى مدارس الكويت أما زوجته التركية فقد غادرت مع أطفالها. أما الشخص الأخير فكان رفيق ابني «دون» في العمل وكان عزبا. وسارت الأمور سيرا حسنا فكنا كلنا على وفاق كامل رغم اختلاف السن والميول الخاصة لكل منا، وأصبحت وولدي «دون» نقوم بطهي الطعام أما الآخرون فقد تولوا تدبير شؤون المنزل الروتينية. واكتشفنا في أحد الأيام أن شخصا ا قد تسلل إلى المنزل من خلال نافذة المطبخ وسرق بعضا من الطعام والراديو وحقيبة والفيديو والنظارات المكبرة.. ومنذ هذه اللحظة أصبحنا لا ننام إلا ويكون واحد منا قائما بأعمال الحراسة. ومن المعتقد أن السارق لم يكمل نهب باقي الشقة بسبب قطة ابن ماريا وهي قطة شرسة إلى حد ما.

ويوما بعد يوم أصبحنا على يقين من أن الحل الوحيد لإجبار صدام حسين على الجلاء عن الكويت هو القوة عن طريق الأمم المتحدة، وقد اتصلنا برجال المقاومة الكويتية وساعدونا على توصيل بعض الأشرطة

(الكاسيت) التي قمنا بتسجيلها إلى أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي والرئيس الأمريكي بوش، واكتشفنا فيما بعد أن هذه الأشرطة تم تسليمها عن طريق التليفون الساتلايت والإذاعة. وقد رفضت زوجاتنا في الولايات المتحدة الإدلاء بالوسيلة التي أمكن بها إذاعة هذه الرسائل.

في ٢١ أكتوبر بدءا من الساعة الرابعة مساء بدأت القوات العراقية التفتيش من منزل إلى منزل بحثا عن الأجانب الغربيين. جاء العراقيون إلى منزلنا ولم نرد علي جرس الباب الخارجي وقد قام العراقيون باستجواب الجيران الذين أشاروا لهم نحو الاتجاه الآخر. وشكرا لجيراننا الأوفياء. وفي هذه الليلة كانت شهيتنا للطعام قليلة واكتشفنا بعد ذلك أن أسلاك الهواتف قد قطعت وأصبحنا منعزلين عن الخارج.

بعد هذه الحادثة بدأنا نتلقى الرسائل من الوطن عن طريق راديو صوت أمريكا كما حصلنا على بعض الرسائل عن طريق السفارة الأمريكية، وكم كنا نشعر بالسعادة لحصولنا على هذه الرسائل من الوطن، إنه حقا شيء رائع أن نكون على صلة بعائلاتنا وأصدقائنا. نعم لم نستطع التحدث إليهم ولكن يكفينا أن نعرف أنهم بخير.

وحلّ عيد ميلادي في التاسع من نوفمبر، وقد قام ولدي «دون» بإعداد «التورتة» كما أعد لي بطاقة معايدة صممها بواسطة الحاسوب، وقد امتلأ قلبي بالتقدير لكل ما قام به ولدي نحوي. وفي ذلك الوقت وصلتنا الأنباء أن الرئيس بوش قد دعا الكونجرس إلى دورة عاجلة يناقش فيها الإجراءات التي يجب اتخاذها ضد العراق ولكن يبدو أن شيئا مثل ذلك يتطلب وقتا أطول مما كنا نتصور، وسمعنا أن هناك مفاوضات تجري بين الأطراف المعنية وكنا في شوق بالغ لرؤية رجال البحرية وهم يمشون

مشيتهم العسكرية على الطريق الدائري الخامس وكنا نناقش هذا الموضوع بجدية ولكن لم يحدث شيء من ذلك حتى الآن.

وقبل عيد الشكر مباشرة، جاء لنا رجال المقاومة وطلبوا منا إعداد شريط لكي يحملوه إلي الرئيس بوش في أثناء زيارته للقوات الأمريكية المرابطة في السعودية، وقد قمنا بتلبية رغبتهم، وقامت المقاومة بتهريب الشريط إلى الخارج، وتمت إذاعته بالتليفزيون كما قامت بنشره معظم الصحف تقريبا في الولايات المتحدة وأخبرتني زوجتي في رسائلها التي تذاع من صوت أمريكا أنها استمعت إلى الشريط الذي قمت بتسجيله في أثناء تناول غداء عيد الشكر. وقد قام عدد كبير من مراسلي التليفزيون بزيارة بيتنا في الولايات المتحدة حتى امتلأ البيت عن آخره بهم، وقاموا بتصوير المنزل بآلات التصوير التي حملوها معهم كما جاء العديد من الأصدقاء وبعض من أفراد الأسرة للاحتفال بالعيد. وقد حاول أحد أصدقائنا الكويتيين هنا أن يوفر لنا «ديكا روميا» ولكنه استطاع أخيرا الحصول على بعض البط.. الذي سلقناه ودعوناه على الغداء. ولكنه طلب منا الانتظار حتي حلول الليل وفعلا نفذنا رغبته وتناولنا العشاء جميعا بالليل.. وكنا نستمتع بزياراته وصحبته ونأنس إليه.

في السابع من نوفمبر، اتصلت بنا السفارة وأبلغتنا أنها سترسل أسماءنا إلى بغداد للحصول على تأشيرة خروج من الكويت. لقد كان يوما سعيدا حقا، وجاءت إلينا إحدى السيدات من الكنيسة التي تعمل فيها «ماريا» زوجة ولدي «دون» وطالبتنا بإقامة الصلاة مع بعض من أعضاء الكنيسة احتفالا بهذه المناسبة وقد حدث. نعم، كانت أعصابنا لا تحتمل أصوات الجيتار والأغنيات التي أنشدوها ولكن كل شيء سار سيراً حسنا.

في الثامن من ديسمبر اتصلت السفارة وطلبت منا الذهاب إلى المطار في الساعة التاسعة صباح اليوم التالي، وكان علينا إعداد السيارة لتقلنا إلى المطار، واستعملت المنفاخ لتزويد إطارات السيارة بالهواء يدويا وقد رآنا أحد جيراننا الكويتيين فأرسل أحد العمال لديه للقيام بهذا الأمر، وفي اليوم التالي أخذنا أمتعتنا وتوجهنا إلى المطار بعد أن ودعنا جيراننا الكويتيين، وفي المطار أوقفنا الجنود العراقيون وأمرونا بالنزول من السيارة وركبنا (الباص) إلى داخل المطار، وقد قام الجنود العراقيون أيضا بمضايقة وإزعاج رجال السفارة الذين سمحوا لهم بالرحيل أيضا. وتوجه بنا الباص إلى قاعدة علي السالم الجوية حيث أمضى الجنود العراقيون معظم اليوم في تفتيش حقائبنا وأخيرا أقلعت بنا الطائرة إلى بغداد بعد أن تعرضنا لمزيد من مضايقات وتحرشات الجنود العراقيين. ووجدنا في بغداد عددا كبيرا من مراسلي وكالات الأنباء في انتظارنا وأرادوا إجراء الأحاديث معنا ولكننا امتنعنا عن ذلك وقلنا: «ليس الآن. نحن مازلنا في العراق. لنتقابل في فرانكفورت» واتصلت وكالات الأنباء بزوجاتنا في الوطن وعلمن أننا في الطريق إلى هناك وقد توجهت من فرانكفورت مع ولدي إلى البيت مباشرة أما الآخرون فقد ذهبوا إلى واشنطن دي سي.

رأينا وسمعنا الكثير في الكويت ولا أستطيع مهما كتبت أو قلت أن أصف الوضع هناك، كما أنني أرسل تحياتي وعرفاني بالجميل لكل هؤلاء الكويتيين الذين مدوا لنا يد العون في وقت هم أحوج مايكونون فيه إلى المساعدة، كما أخص بالذكر هذه المرأة الكويتية التي لاقت حتفها نتيجة للعذاب الذي أنزله بها العراقيون وكل جريمتها أنها حاولت تحرير وطنها ومساعدة بعض المحتجزين، ولا أملك إلا أن أقول لها: «نحبك يا أسرار».

جون وروبرتا هوجان
كاليفورنيا

استمتعنا بالحياة في الشرق الأوسط، فقد قضينا أربعة أعوام ونصف في المملكة العربية السعودية، وذهبنا بعدها للعمل في الكويت، ولم يكد ينقضي نصف عام على وصولنا هناك حتى قام العراق بغزو الكويت. ووقفنا نتبادل النظرات أنا وزوجي، ونحن في غاية الدهشة محاولين استيعاب الموقف: إنه شيء لا يصدق.

اتصل بي زوجي هاتفيا من مكتبه وسألني إن كنت قد استمعت إلى أية تقارير من صوت أمريكا أو البي بي سي وقال إنه سمع صوت انفجارات ضخمة ولا يعرف أحد مصدرها وطلب مني الاستماع إلى الأخبار والاتصال به مرة أخرى، وأعلنت إذاعة البي بي سي أنباء غزو الكويت ولما أخبرت زوجي بذلك عاد مسرعا إلى البيت.

في غضون الأيام التالية كان علينا أن نقوم بتخزين المواد الغذائية المطلوبة للبيت وقد شجعنا على ذلك صاحب البيت «صلاح» وعرض أن يشتري لنا أي طعام أو مواد أخرى نحتاج إليها. وفي الليل تعودنا على سماع دوي القنابل وأصوات المدافع المضادة للطائرات واعتادت أعصابنا على ذلك وكنا نشاهد القذائف وهي تجوب السماء ليلا. كان منظر القذائف المضيئة ليلا أخاذا لولا أنها كانت تجلب الموت والدمار، وفي الطريق المار أمام منزلنا تراصت الدبابات ولم يكن يفصل بين الدبابة والأخرى إلا مسافة قليلة لا تتعدى مائة قدم. وتوقفت إحدى الدبابات أمام بيتنا وكان مدفعها مصوبا علينا ودعونا الله ألا يستعملها العراقيون.

وفي اليوم التالي توقف الهاتف عن العمل ومن حسن الحظ أنني قمت مسبقا بإبلاغ ابنتي أن تلزم الحذر. وقد قامت بدورها بتنبيه باقي أفراد الأسرة في صباح يوم الغزو، ولعب الراديو دورا هاما في حياتنا في هذه الأيام فلم نكن نفترق عنه ليلا أو نهارا أملا في الاستماع إلى أخبار سارة من صوت أمريكا أو البي بي سي وكل ما كنا نشتاق إلى سماعه كلمة «الجلاء».

وفي اليوم الثاني للغزو العراقي للكويت شاهدنا مجموعة من الشباب يبلغ قوامها ٢٥٠ رجلا وامرأة يقومون بالتظاهر حاملين علما ضخما للكويت حوالي ٥ × ٦ أمتار وكانوا ينشدون أحد الأناشيد الحماسية واتجه الموكب إلى الجمعية التعاونية وفي منتصف الطريق أطلق عليهم العراقيون نيران أسلحتهم الرشاشة ولا نعلم عدد الجرحى والقتلي من هؤلاء.

لعب «صلاح» صاحب البيت دورا مهما في حياتنا في هذه الأيام، فقد زودنا بالطعام والأخبار وأبلغنا بما كان يحدث من سلب ونهب واغتصاب داخل المنطقة ومما زاد الطين بلة أن العراقيين نهبوا الجمعية التعاونية عن بكرة أبيها وأحرقوها مما جعل صلاح يذهب إلى جمعية أخرى في منطقة أبعد من السكن الذي نعيش فيه. كما أخبرنا صلاح أن عناصر المقاومة الكويتية هي التي تقوم بإطلاق النار ليلا وتفاجئ الجنود العراقيين في مواقعهم.

بدأ الهاتف يعمل من جديد، ومن العجيب أن هاتف صلاح مازال متوقفا عن العمل وكذلك هواتف معظم الجيران، وبدأ الشك يساورنا.

وفي اليوم التالي أعلنت العراق عقوبة الإعدام لكل من يتستر على الأمريكيين، ومن الأخبار التي فاجأتنا قرار صلاح مغادرة الكويت، ولذلك كان علينا البحث عن مكان آخر للاختفاء به ولكننا لم نكن على

استعداد للخروج إلى الشارع وهاتف جاك (زوجي) السفارة الأمريكية التي زودتنا بأرقام للهواتف للاتصال بها، ورد علينا شخص أمريكي من ولاية ميسوري يدعى «راندل وارن» وزودنا بالتعليمات حتى نستطيع الوصول إلى شقته حيث بها متسع لنا جميعا.

طلبت من صلاح المساعدة في إعداد حقائبنا وكان حقا شخصا كريما ولا أبالغ إن قلت إن حقائبنا كانت معدة منذ اليوم الأول للغزو ومن قراءاتي لقصص الحروب كنت أعلم أن حقيبة واحدة تكفي في هذه الظروف، ولذلك فقد أعددت حقيبة واحدة لكل منا - زوجي وأنا - تحويان الملابس والأشياء الضرورية كما حملت معي معظم المواد الغذائية والمجمدة التي كانت بالمطبخ وكان ذلك من أفضل المبادرات التي قمت بها كما أثبتت الأيام ذلك. وساعدنا صلاح في تحميل السيارة - وكنا نحس بالمعاناة التي يعيش فيها صلاح، فقد كان قلقا على زوجته وابنته خاصة في هذه الظروف التي ساد فيها عدم الأمن والأمان.

انطلقنا إلى الطريق الدائري وتلونا الصلاة طوال الطريق فلم نكن نعرف ما يخبئه لنا القدر، وكان المنظر غريبا عجيبا:

الطرق مزدحمة بالمركبات العسكرية من كل لون، الدبابات بضوضائها وأصواتها المزعجة تمزق الطرق السريعة الجميلة وتحيل رصفها إلى مجرد ركام، الدمار الذي ينتشر في كل مكان لا يصدقه إنسان: السيارات المدنية والباصات محترقة على جوانب الطرق وحتى الدبابات والمركبات العسكرية لم تسلم من الدمار، المباني التجارية والمنازل الخاصة نصفها مدمر والآخر لحقت به أضرار جسيمة - أكوام القمامة والنفايات منتشرة في كل مكان. حاول بعض الأفراد إشعال النار فيها للتخلص من الروائح العفنة وحتى لا تصبح النفايات مأوى للفئران واختفت من

الشوارع عربات جمع القمامة وعربات رش وكنس الشوارع، اختفت الكويت الجميلة النظيفة وبدت كويت أخرى لم نعرفها ولم نتعود ها. وطوال الطريق كنا في خوف من أن نتعرض للتفتيش ونضطر إلى إخراج الهويات. . فلو حدث ذلك لانتهى بنا المطاف إلى إحدى المواقع العراقية لننضم إلى مجموعة «الدروع البشرية» وحاولنا بقدر الإمكان طوال الطريق أن نتخلص من هذه الهواجس التي ألمت بنا.

عندما اتجهنا إلى طريق الدائري الرابع وجدناه مكتظا بالمئات من الجنود العراقيين وسيطر علينا شعور باليأس والأسى، جذبت الجاكيت إلى أعلى رأسي وغطيت بها شعري ثم وضعت يدي على وجهي بحيث تغطي الجزء الأسفل منه ومن حسن الحظ غادر الجنود المكان عند اقترابنا منهم، وفي نقطة التفتيش التالية تعطلت السيارة التي أمامنا وحاولنا تجاوزها، ومرة أخرى لم يتعرض لنا أحد، وواصلنا السير ونحن متقطعي الأنفاس وطوال الطريق كنا نمر بجوار مركبات عسكرية عراقية محملة بالجنود في طريقها إلى السعودية. وأخيرا وصلنا إلى شقة «راندل» والتي تقع في منتصف مبنى ضخم بعيد عن الدائري الرابع وطفنا المبنى للتأكد من العنوان وأوقف «جاك» السيارة ودلف إلى المبنى في الدور الرابع، ثم عاد بعد لحظات ومعه «راندل». وأحسست بالراحة لأول مرة بعد خروجنا من منزلنا، كما شاهدت عن بعد بعض الجنود العراقيين واقفين أمام أحد البنوك يبعدون الناس عنه.

أعطانا «راندل» حجرة نومه التي تحتوي سريرين واكتفى لنفسه بحجرة النوم ذات السرير الواحد أما حجرة النوم الثالثة والأخيرة فكان يحتفظ فيها بالحاسوب وأوراق العمل الخاصة به.

كانت الشركة التي يعمل بها راندل تمتلك مكاتب في الشقة التي تقع

أمام مسكنه، ومن هذه المكاتب كان راندل شاهد عيان على المذبحة التي حدثت صباح يوم الغزو، ولما انتهت الذخيرة من الكويتيين المدافعين عن الموقع قام الجنود العراقيون بقتل بعضهم وأسر البعض الآخر، وقال راندل إن الجثث انتشرت في كل مكان وأحس بالأسى واليأس من هول الحادثة.

كانت ثلاجة «راندل» ومطبخه في غاية النظافة فلم يكن بها أية مواد غذائية تذكر، ولذلك فقد كان إحضاري للمواد الغذائية المتوافرة في منزلي عملا عظيما، ولما كان يعيش بمفرده فقد كان يتناول معظم وجباته الغذائية في الخارج، ولذلك لم يلجأ إلى تخزين الطعام في البيت، وجاء أصدقاء «راندل» لزيارتنا ولإمدادنا بالمواد الغذائية إذا تطلب الأمر ذلك، وكان هؤلاء الأصدقاء من دول العالم الثالث وكان حضورهم إلى المنزل فيه خطر على حياتهم.

كان «راندل» يشغل الهاتف باستمرار ولا يستغني عنه وكان على صلة وثيقة بالسفارة الأمريكية وعدد كبير من المقيمين الأجانب، وبالتالي فكانت له مصادره السرية للحصول على المعلومات وعن طريقه علمنا بما يحدث في الخارج وبعدد الشقق التي اقتحمها العراقيون وبعدد الأمريكيين الذين وقعوا في أيديهم... إلخ

وانضمت إلينا في شقة راندل «جودي» وهي إحدى الصديقات الأمريكيات التي تعمل بالسفارة اليابانية كمساعدة إدارية لأنها تتحدث العربية بطلاقة فهي زوجة رجل سوري، وقد ساعدها على ذلك طول مدة إقامتها في الشرق الأوسط التي امتدت زهاء عشر سنوات، وكانت جودي قد احتجزت في السفارة اليابانية عندما حاصرها الجنود العراقيون نتيجة لأوامر صدام حسين، الذي أمر بحصار جميع السفارات في

الكويت، تلك التي لم تلتزم بالأوامر العراقية في تصفية أعمالها ومغادرة الكويت، واستطاعت هذه السيدة الصديقة الهرب من الحصار المفروض على السفارة التي تعمل بها، ولما ذهبت إلى بيتها وجدت أن أسرتها بكاملها قد غادرت إلى سوريا، ولهذا اضطرت للحضور إلى بيت راندل والحياة معنا ،وكان راندل مهذبا فقد تنازل لها عن حجرته وأقام في غرفة الحاسوب!!

كنا نمضي أيامنا في طهي الطعام وتناوبنا هذه العملية، ولم يكن لدينا الكثير من الكتب لنقرأها وعلى سبيل المثال قرأ زوجي جاك رواية «ألاسكا» لمؤلفها «جيمس ميتشنر» ثلاث مرات، وكان التليفزيون يعرض أفلاما وعروضا عراقية واستمعنا إلى خطب صدام حسين التي كان التليفزيون يذيعها طوال الوقت، آملين أن نسمع أخبارا مهمة وكالعادة لم يصدر عنه إلا خطب طنانة لا تفيدنا في شيء. شرائط الفيديو التي كان يمتلكها «راندل» كانت حول تعليم لعبة التنس ولم تفدنا هي الأخرى بشيء ولم تكن مصدر تسلية. وتناوبنا الذهاب إلى نافذة المطبخ لمراقبة الطريق بالنظارة المكبرة وكالعادة امتلأ الطريق باللوريات القادمة والذاهبة إلي البصرة: تأتي فارغة ثم ترجع محملة بأجهزة الحاسوب والأثاث وكل ما تستطيع سلبه ونهبه من الكويت. . لقد قام العراقيون بعملية نهب منظمة واستطاعوا إفراغ الكويت من كل ما يمكن نقله باللوريات.

في سبتمبر، تمكنا ـ جودي وأنا ـ مع مئات من السيدات والأطفال الأمريكيين من الإفلات من العراق، فقد أخبرتنا السفارة بأن نحضر إلى موقف الباصات الكائن أمام متجر «سيفواي» وكانت المشكلة التي واجهتنا هي كيفية الذهاب إلى هذا المكان. فمن الأخبار السيئة التي وصلتنا أن بعضا من البريطانيين قد اصطحبوا زوجاتهم وأطفالهم إلى

الباصات التي ستقلهم إلى المطار وبمجرد رحيل (الباصات) هجم العراقيون على الرجال البريطانيين واحتجزوهم كدروع بشرية. وهنا استعملنا سيارتين سيارة جاك تذهب بنا إلى المطار وراندل في السيارة الأخرى لاستعمالها وقت الحاجة.

وفي الطريق شاهدت مرة أخرى الدمار الذي حل بالكويت وكانت الأجواء والمشاهدات عنيفة لدرجة البكاء حتى متجر سيفواي نهب وحرق عن آخره ومررنا بأربع نقاط تفتيش ولم نتوقف لدى أية واحدة منها. وظل كل من راندل وجاك يذوقان مرارة الوحدة والاحتجاز في المنزل حتى شهر ديسمبر ١٩٩٠ عندما أعلنت العراق إطلاق سراح كل الأمريكيين الرجال.

كنا نحن الأربعة آخر من سكن هذا المبنى المجمع وبعد رحيلنا - أنا وجودي - جاء أحد أصدقاء راندل حاملا معه الطعام وأخبره أن الجنود العراقيين يقيمون الآن في شقق الدور الأرضي وبالتالي فقد خشي كل من جاك وراندل أن يقوما بطهي الطعام حتى لا تتسرب رائحة الطهي خارج الشقة. وتمت تغطية النوافذ بالستائر، ولم يرتدوا إلا الجوارب فقط حتى لا يسمع وقع أقدامهم وكثيرا ما جاء الجنود العراقيون يطرقون الباب ولكن أحدا داخل الشقة لم يرد عليهم.

وفي أثناء وجودي في منطقة الشرق الأوسط، أحببت أن أدوّن مذكراتي في معظم الأحيان، وبعد رحيلي أخبرني جاك أنه سيواصل العمل نفسه، وبعد شهرين من عودتي إلى الوطن تسلمت مظروفا ضخما بالبريد عليه خاتم الأردن واكتشفت أنها اليوميات التي أكملها جاك فقد قام أحد أصدقاء راندل بتهريبها إلى الأردن.

تعرض جاك وراندل لخطر إلقاء القبض عليهما مرتين. وفي كلتا المرتين جاءت عربات عسكرية محملة بالجنود وقاموا بمحاصرة المبنى وتم استجواب أحد الأفراد الذين كانوا في الطريق ثم غادر الجنود بعدها بالسرعة نفسها التي جاءوا بها، وفي المرة الثانية حاصروا المبنى مرة أخرى ولكن لسبب غير معلوم لم يقوموا بإجراءات التفتيش.

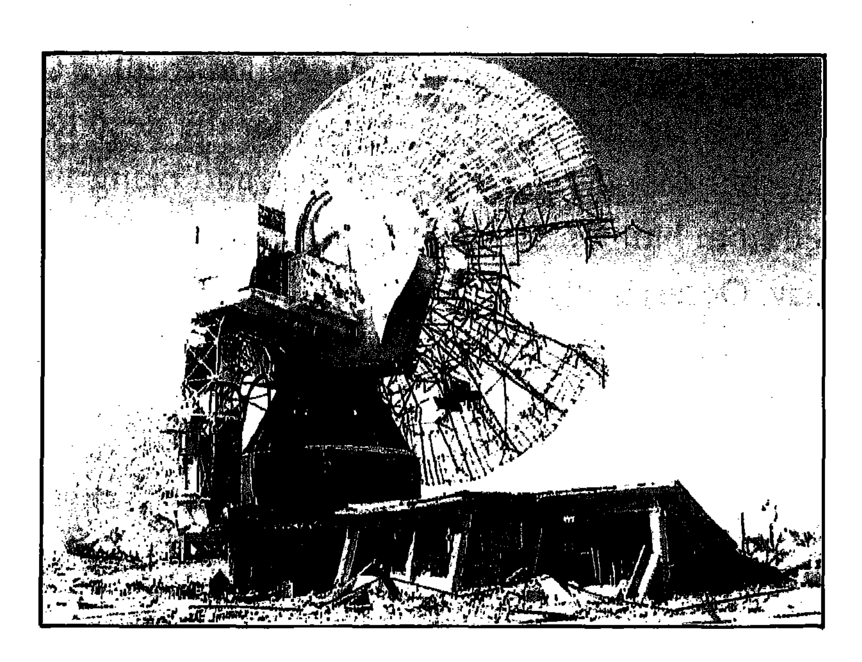
ناقش كل من جاك وراندل خطة للهرب وقد أزعجني ذلك كثيرا حيث إن البقاء داخل الشقة كان أكثر أمنا إلا أنني عرفت بعد ذلك أن العراقيين في محاولاتهم للقبض على الأجانب قاموا بنسف الشقق والمباني، وشعر جاك وراندل أن المسألة مسألة وقت وأنهم واقعون في أيدي العراقيين لا محالة وفكرا كثيرا في اللجوء إلى الطابق السفلي في أثناء عمليات القصف ولكنهم امتنعوا عن ذلك خشية أن يقوم العراقيون باستعمال الكيماويات وبالتالي فإن البقاء في الأدوار العليا يكون أكثر أمنا وأفضل.

وفي الليل تملكت الأحلام المزعجة جاك، وبالتالي كان نومه متقطعا أضف إلى كل ذلك الشعور الكامل بعدم النظافة - الحاجة إلى حلاقة اللحية، وقد تملكت جاك عادة أخرى هي قضم اللسان فكان يستيقظ من نومه مذعورا ومازال يعاني من هذه المشكلة حتى اليوم - ومن الأمور التي ضحكوا لها كثيرا عملية اختيار وجبات الطعام، ولم يكن أمامهم إلا ثلاثة خيارات: المعكرونة - والجبن - والأرز. وعاشوا في دوامة من اليأس وفيما يلي إحدى المقتطفات التي سجلها جاك في يومياته:

«تغيرت حياتي خلال الـ ١٢٩ يوما الماضية تغيراً جذريا، زوجتي بعيدة عني، افتقدت الشعور ببهجة الحياة، أقيم بين جدران أربعة كرهينة، وكان عليّ الاختفاء وأن أعيش مهددا، ففي كل لحظة كنت

أتوقع قدوم الجنود العراقيين لإلقاء القبض عليّ، لا يوجد لدي أي أمل في العودة إلى الوطن ومزاولة الحياة العادية مرة أخرى.

الآن بعد فترة احتجاز طويلة، سأعود إلى الوطن مرة أخرى وليس معي إلا حقيبتان. فالظروف قاسية ولابد لي من أن أترك ورائي كل شيء.. سأذهب إلى المجهول ولابد من مواجهة الحقيقة: فليس لدي نقود ولا وظيفة ولا مستقبل. إنني مثقل بالديون.. حسنا لقد جاء الله بنا إلى ذلك المكان ونترقب ما يختاره الله لنا في المستقبل».



محطة الأقمار الصناعية في أم العيش والدمار الذي أصابها

والتر ت. كروزمان

فلوريدا

حوالي الساعة السابعة صباحا في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ قمت من النوم على صوت كلبي الذي كان قابعا أمام نافذة شقتي في منطقة سلوى بمدينة الكويت. قـمت من النوم وشـاهدت ثلاث طائرات هليوكوبتر عراقية تحلق على ارتفاع منخفض وفي الحال ارتديت ملابسي وخرجت إلى الطريق لكي أتصل هاتفيا بقاعدة الدفاع الجوي حيث كنت أعمل مستشارا فنيا للمولدات التي تستعمل في نظام صواريخ الدفاع الجوي «هوك»، ولما لم يكن لدي هاتف في المنزل استخدمت هاتف البواب وانطلقت بعدها بسيارتي إلى شارع الخليج حتى وصلت إلى فندق ريجنسي بالاس ولاحظت الطوابير الطويلة من العربات العسكرية العراقية من حاملات الجنود والعربات المدرعة واقفة على طول الطريق من فندق ساس وحتى طريق الدائري الخامس.

توقفت في فندق ريجنسي بالاس وهاتفت قاعدة الدفاع الجوي وتحدثت مع الرائد فاضل والنقيب جاسم رؤسائي في القاعدة وطلبا مني الحضور بسرعة إلى القاعدة لحاجتهما إليّ. وطلبا مني أيضا البحث عن السادة «بيتي ميتشل»، «جاي سيجو»، «لويد كلبرستون» ودعوتهم للحضور إلى القاعدة الجوية. وكانوا يسكنون في جنوب منطقة الفروانية واضطررت للقيادة عبر الطوابير العراقية والمرور من بينها كلما أمكن ذلك. وعند وصولي إلى الفروانية كان الجنود العراقيون في كل مكان. وقد كان من الخطر الذهاب إلى منازلهم، ولذلك اتخذت طريقي مباشرة إلى القاعدة الجوية سالكا عدة طرق جانبية. فقد كانت القاعدة على بعد ٦ كيلومترات شرق الفروانية.

ووصلت القاعدة حوالي الساعة ٨ صباحا وشاهدت لدى وصولي عدة صواريخ هوك تنطلق إلى السماء من القاعدة «٣» المقامة في منطقة الأحمدي وتصيب طائرتي هليوكوبتر عراقيتين كانتا تطيران بالقرب من القاعدة وتسقطهما، وأخبرت الرائد فاضل والضباط الكويتيين الآخرين في القاعدة بما شاهدته في الطريق.

وكنا سعداء حتى الآن حيث إن القاعدة تقع بعيدا عن الطرق الرئيسة ولا يمكن رؤيتها بسهولة، وطلب مني الضباط مساعدة رجاله في عملهم لتقوية الدفاعات حول القاعدة حتى تكون جاهزة لصد أي هجوم. وقمنا بالعمل على مايرام، ولكن في حوالي الساعة العاشرة صباحا بدأ العراقيون في الهجوم على المطار الذي يقع على بعد نصف كيلومتر من قاعدتنا وكنا نعلم جميعا أن أي عمل نقوم به لحماية صواريخ هوك يعتبر انتحارا حيث لا يوجد لدينا إلا ٥٠ بندقية أوتوماتيكية وحوالي ١٠٠ إلى ١٥٠ جنديا وضابطا.

وطوال اليوم كنا نسمع أصوات القذائف وإطلاق النار من حولنا وفي انتظار اللحظات التي يتم فيها العراقيون اكتشاف موقعنا ثم يقومون بهجومهم. كانت الروح المعنوية للرجال عالية فقد كانوا راغبين في القتال حتى الموت في سبيل وطنهم وقادتهم. وكان ما يقلقهم مصير عائلاتهم في المدينة وأحسست أنني واحد من هؤلاء الجنود وأسرهم فقد عشت وعملت معهم طوال سبع سنوات، وفي هذا اليوم ظللت معهم ولم أفارقهم وكنت الأمريكي الوحيد الذي لم أختبئ أو ألجأ إلى السفارة الأمريكية وأخبرتهم أنني متعاقد مع الكويت وأنني هنا للمساعدة وتقديم العون، كما أنهم إخواني وأصدقائي وسأفعل ما أستطيع لمساعدتهم. . وتوالت الأخبار التي ترد إلى القاعدة تفيد بأن القواعد الأخرى حول

الكويت قد تساقطت في أيدي العراقيين وأن مصير إخواننا الجنود في هذه القواعد غير معروف.

في حوالي الساعة السادسة مساء أخبرنا آمر القاعدة بالتجمع في الثكنات لأسباب أمنية خاصة وأن الليل بدأ يسدل أستاره كما أن القاعدة أكبر من أن يتم الدفاع عنها بالأسلحة التي في متناول أيدينا. وهكذا بدأ الجميع الجنود والضباط والمدنيون والفنيون بالمشي أو بقيادة سياراتهم إلى منطقة التجمع في الثكنات وكنا مثل اللاجئين الهاربين من الغزاة، وطلب آمر القاعدة الطعام لنا حيث لم نكن قد تناولنا الطعام طوال اليوم وتناولنا الأرز والدجاج، وكانت هذه أحلى وأشهى وجبة تناولتها في حياتي.

صدرت الأوامر بالتعتيم بحلول الليل وجلسنا ساعات بكاملها في الظلام نتحدث بصوت منخفض وندخن السجاير القليلة التي لدينا. واستمعنا إلى الراديو الذي أفاد أن أحد أعضاء الأسرة الحاكمة قد قتل في معركة بطولية وصلى الجميع في اتجاه مكة (القبلة) وكنت معهم ودعوا الله أن يأتي الأمريكيون لينقذوا الكويت وشعبها.

في الساعة ٨ مساءً وصلت إلى أسماعنا أصوات العربات المدرعة وهي تسير في الطريق السريع على بعد مئات الياردات من القاعدة، وتوقعنا الهجوم في أية لحظة ولكن العراقيين كانوا في طريقهم إلى الحدود السعودية، ودعا ضباط القاعدة إلى اجتماع في العاشرة مساء وتقرر في الساعة الحادية عشرة مساء أن نغادر القاعدة لأن الدفاع عنها أمام الجحافل العراقية يعد انتحارا، وكان على الجنود والضباط ارتداء الملابس المدنية وحمل مايمكن من سلاح والذهاب إلى بيوتهم للدفاع عنها.

وهكذا في تمام الساعة الثانية عشرة مساء غادرنا القاعدة في عدة اتجاهات ومن خلال جميع البوابات متوجهين إلى بيوتنا وكنت آخر من غادر القاعدة وقد أصر العريف جمال الذي خدم معي طوال سبع سنوات أن يحرسني خلال الطوابير العراقية حتى أصل إلى بر الأمان .

غادرنا القاعدة من البوابة الخلفية وأطفأنا أنوار السيارة ووصلنا إلى طريق السفر السريع وكنا نسابق طوابير العربات العراقية المدرعة وناقلات الجنود حتى وصلنا منطقة صباح السالم وسرنا في الشوارع والدروب الفرعية ، وودع بعضنا بعضا وانطلق كل منا إلى المستقبل المجهول .

وصلت إلى شقتي في الساعة الثانية صباحا يوم الثالث من أغسطس وجلست في حجرة المعيشة أنصت إلى أصوات المدافع الرشاشة التي كانت تنطلق على فترات متقطعة وعلى مسافات بعيدة . كنت أنام في الصباح حتى الحادية عشرة وفجأة سيطر عليّ شعور غريب أدركت كنهه وتلفت حولي أحاول أن أدرك ماهيته . وأخيرا أدركت أن السكون يلف الكون حولي . ففي العادة كانت أصوات السيارات والعربات والأطفال تملأ الجو حول المبنى الذي أسكن فيه ، ولكن الآن كل شيء كان هادئا . صعدت إلى سطح المنزل ونظرت حولي فلم أجد شيئا يتحرك : الشارع خال تماما من أي نوع من الحركة . . لا سيارات ولا عربات ولا أفراد يجوبون الشارع كالعادة ، وبدا كأن القطر كله قد صدم مما حدث ، وكلنا في انتظار شخص ما أو شيء ما يوجهنا إلى ما نفعله! وصعدت مرة أخرى إلى سطح المنزل بعد الظهر ونظرت حولي وشاهدت إلى الجنوب من الطريق الدائري السادس العربات العسكرية تحمل الدبابات كما شاهدت العربات المحملة بالجنود تتجه جنوبا وأخرى تتجه صوب شواطئ الخليج وإلى الطرق المؤدية إلى المدينة وتحيط بالمناطق السكنية .

طوال هذا اليوم بدأت في ترتيب شقتي: ملأت جميع الأواني والبانيو بالماء، حصرت كميات الغذاء التي لديّ، كما كنت ملازما للراديو مستمعا إلى الـ بي بي سي وإلى الإذاعات الأجنبية التي يبثها العراق، وأذاع التلفزيون أنهم قد حققوا الانتصار، أما البحرين فكانت إذاعتها مقتضبة، ولم يكن أحد يدري من هي الدولة الضحية التالية التي سيقوم صدام بالهجوم عليها.

في اليوم الثالث من أيام الاحتلال العراقي للكويت، ظهر الحارس أحمد أخيرا، وكان الشخص الوحيد الذي أتحدث إليه أو أراه منذ أيام ثلاثة فقد كنت الشخص الوحيد الذي أسكن المبنى الآن، وكان السكان الآخرون يقضون العطلة الصيفية خارج البلاد كان أحمد في المدينة في الأيام السابقة حيث عمل فراشا في مخفر شرطة الصفاة وأخبرني عما ارتكبه العراقيون من قتل ونهب وحرق. أعطيت أحمد بعض النقود ليشتري أكبر قدر ممكن من الطعام، ولما جاءني بعض الأصدقاء وطلبوا مني اصطحابهم إلى السفارة الأمريكية رفضت ذلك فقد أردت أن أكون بمفردي ومسؤولا عن نفسي ورفضت تلقي الأوامر من أي فرد.

بعد مرور أسبوعين على الاحتلال، زارني صديقان أحدهما فلبيني والآخر كندي، وكانت هذه أول وآخر زيارة إلى منزلي حيث طلب العراقيون من جميع الأجانب الذهاب إلى فنادق معينة وتسجيل أسمائهم بها والإقامة فيها حتى إشعار آخر، ولكني قررت الإقامة في بيتي وعدم الخروج وزيادة في الحذر لم أستعمل الأنوار إطلاقا طوال الليل. وجاءت أخبار جديدة بأن العراقيين يفتشون منازل الأجانب ويقومون بنهبها.. وكنت حاليا في أمان طالما أن أحمد يحرس المبنى.

قررت ألا أقع رهينة في يد العراقيين وعلي أن أقوم بالاختباء بكل ما

أوتيت من حيلة، ووضعت عدة خطط للهرب وفكرت في عدة أماكن تصلح للاختفاء وبدأت في وضع المتاريس أمام المدخل الرئيسي للبناية وفكرت في الاختباء في خزان المياه الكائن على سطح المبنى وكان البديل الثاني للاختفاء الفراغ الخاص بفتحة التكييف المركزي وأبعادها ٣ قدم عرضا × ٣ قدم ارتفاعا × ٨ قدم طولا وثبت فيما بعد أن هذه الأخيرة أفضل مكان للاختفاء.

وقد أعددت هذه الفتحة للجوء إليها وقت الحاجة، فحركت غطاء السقف وأعددته بالطريقة التي أستطيع بها الدخول إلى فتحة التكييف وإغلاق الفتحة دون أن يكتشفني أحد، فإذا جاء العراقيون ونظروا إلى أعلى فلن يجدوا شيئا غير عادي.

في منتصف سبتمبر غادر الحارس الكويت إلى بلده، فقد كان خائفا نتيجة لعقوبة الإعدام التي ستحل بأي فرد يأوي أو يساعد على إخفاء أي فرد من دول الغرب، وهكذا عشت بمفردي إلا من كلبي الصغير الذي كان رفيقي في هذه المحنة وفي الشهر نفسه أقام العراقيون نقطة تفتيش على بعد منزلين من البناية التي أسكن بها، وقد قاموا بعملية نهب منظمة لجميع المنازل التي حولي وكان الدور على البناية التي أسكن بها.

قامت المقاومة الكويتية بضرب نقاط التفتيش وخاصة في الليل وكانوا يزدادون جرأة بعد كل عملية. وبعد كل هجوم، يذهب الجنود العراقيون إلى إحدى الأسر الكويتية ويقومون بإلقاء القبض على أحد أبنائها ثم يقتلونه علنا أمام أهله، وعندما كنت أصعد إلى سطح المنزل كنت أسمع توسلات النساء الكويتيات للإبقاء على حياة أولادهن. طلقات الرصاص وهي تطلق على الرجال الكويتيين ثم عويل النساء بعد ذلك.

طلب مني أصدقائي الذهاب إلى السفارة الأمريكية، ولكني اعتقدت أن بمقدوري الحفاظ على نفسي وكنت لا أثق في صدام حسين!

ما الذي يمنعه من القيام بإعدام كل الرهائن التي تحت يديه؟ أو يقوم بقتل هؤلاء الذين لجأوا إلى السفارات، وهكذا فضلت البقاء في شقتي.

وأخيرا يبدو أن الحظ قد تخلى عني، ففي ليلة السادس من أكتوبر الساعة السابعة مساءً وفي أثناء جلوسي بجانب النافذة سمعت توقف عربة عسكرية أمام البيت نظرت من وراء الستارة وشاهدت حوالي ١٠ إلى ١٥ جنديا عرقيا يحاصرون المبنى، وشعرت بالفزع والرعب فقد كانت شقتي في الدور الأرضي وأخذت في غلق جميع حجرات النوم، تسلقت ومعي كلبي إلى فتحة التكييف في السقف ثم أغلقت الفتحة ورائي. واستطعت أن أستمع إلى الجنود وهم يقتحمون غرف النوم. وأخيرا وصلوا إلى الغرفة التي اختفيت فيها وهنا تذكرت أنني لم أرفع السلم وأن الحبل الذي أغلق به فتحة التهوية مازال متدليا وبسرعة رفعت غطاء الفتحة وبقدر ما أستطيع من الهدوء أدخلت السلم معي داخل الفتحة. وفي اللحظة التي وضعت غطاء الفتحة في مكانه، دخل الجنود إلى الحجرة.

دخل الجنود ومعهم بنادقهم الأتوماتيكية، وقاموا بتفتيش حجرات الشقة. وشعرت أن الجنود كانوا يعلمون بوجودي داخل الشقة فقد تركت التلفاز مفتوحا، كما أنني قد أغلقت جميع الحجرات أضف إلى ذلك المتاريس التي وضعتها خلف باب الشقة.. نعم حطموا جميع الأبواب.. وطبعا لم يستطيعوا الوصول إليّ وفي الساعات التالية نهبوا كل ما في الشقة وبالطبع نهبوا الشقق الخمس الأخرى في البناية وكان معهم ضابط عراقي وشخص مدني آخر يرتدي حلة خضراء يقومان بإرشاد الجنود إلى ماينبغي سرقته!

أمضيت في هذا المكان ثلاثة وعشرين يوما، ومر الأسبوع الأول في منتهى القسوة، وكنا نغادر هذا المخبأ أنا وكلبي لقضاء الحاجة وللبحث عن الطعام، وكنا نأكل ما نستطيع أن نجده أو ما تركه العراقيون. وأكلنا المعكرونة الجافة وشربنا ماتبقى من التانج وعصير البرتقال.

وفي إحدى المرات بينما كنا خارج المخبأ نبحث عن الطعام ذخل العراقيون فجأة إلى شقتي واضطررت إلى الهرب والاختفاء تحت السرير في الشقة رقم ٥ وقد تكرر هذا الحدث عدة مرات. وطوال تلك الفترة استطعت الاتصال بزملائي الآخرين في مخابئهم كما استطعت الاتصال بالسفارة وكل ذلك بفضل الهاتف اللاسلكي الذي وجدته في أثناء بحثي عن الطعام وعن طريق هذا الهاتف وبمساعدة أحد الأصدقاء اتصلت بالمقاومة الكويتية. ويبدو أن الجنود العراقيين باعوا حق سلب المبنى لاثنتين من العاهرات العراقيات اللتين أجهزتا على ما تبقى من كل شيء في المبنى حتى أحواض الغسيل وسخانات المياه وقاعدة التواليت انتزعت من مكانها وتم سرقتها.

وفي حوالي الثلاثين من أكتوبر وضعت الترتيبات مع الكويتيين للانتقال إلى مكان آخر، وقد تمت العملية بأمان في أثناء غياب الجنود العراقيين ففي الوقت المحدد المتفق عليه جاءت سيارتان وكان أحد الرجال - ويدعى هاني - يقود إحدى السيارتين وقمت أنا بقيادة السيارة الأخرى واستغرقت العملية عشر دقائق ومررنا بنقاط التفتيش والدوريات العسكرية حتى وصلنا إلى البيت الذي سأقيم فيه، وقضيت هناك ٤٠ يوما حتى التاسع من ديسمبر ١٩٩٠. وزودني هاني وزملاؤه بالطعام والأخبار طوال هذه المدة.. وكان عملهم في منتهى الشجاعة والتضحية بالنفس.. فالقبض عليهم كان يعني التعذيب والإعدام والحق

أنني شخصيا مدين لهم بحياتي، وقد قام بعض الفلبينيين والكنديين والكويتيين بتوفير الطعام لي في هذه الأيام العصيبة.

وفي السابع من ديسمبر سمعت عن طريق الـ بي بي سي أن صدام سمح للأجانب بمغادرة العراق ويالها من فرحة وأصبحت شبكة الهواتف تدق في جميع أنحاء الكويت بيننا جميعا- نحن المختفين من بطش صدام حسين- وفي هذا اليوم خرجت لأول مرة ولم أكن خائفا من الوقوع في أيدي العراقيين، ولما مرت بجانبي سيارة محملة بالجنود العراقيين ابتسم كل منا للآخر ولو حنا بأيدينا.

وفي التاسع من ديسمبر سمح لنا بمغادرة الكويت عن طريق بغداد وتقابلنا في المطار وقبل الرحيل ذهبت إلى شقتي للحصول على بعض الأوراق المهمة المخبأة في فتحة التكييف- وياللهول! كانت الشقة دمارا كاملا.. انتزع منها كل شيء.. ولم يبق سوى بعض النباتات الميتة وعدة لوحات وبعض الأشياء الأخرى المحطمة فقد انتزع العراقيون كل شيء: دواليب المطبخ، سخانات المياه حتى الأسلاك تم انتزاعها من داخل الجدران، باختصار سلبوا كل شيء يمكن بيعه.

وفي صباح يوم الرحيل قام أحد الزملاء البريطانيين بمرافقتي إلى المطار.. وشاهدت في أثناء الطريق ماحدث طوال أربعة الأشهر التي قضيتها في التخفي، فهذا البلد الذي كان نظيفا ومنظما أصبح ركاما.. على جانبي الطرق تناثرت عشرات السيارات. إما محترقة أو منهوبة قد سرق معظم مابها، القاذورات والنفايات تملأ الطريق، المباني محترقة ودخانها يتصاعد إلى عنان السماء.. لقد تم اغتصاب الدولة بأكملها.

كانت دهشتي كبيرة للعدد الهائل من الأفراد الذين قابلتهم في المطار

فقد وجدت حوالي ١٥٠ شخصا هناك، كلهم كانوا مختبئين ولم يستطع العراقيون العثور عليهم.

وقامت السفارة بإعداد صندوق لشحن كلبي إلى الولايات المتحدة وأشرفت شخصيا على شحن كلبي وهو من سلالة بريطانية على الطائرة البوينج ٧٩٧ التي ستقلنا إلى بغداد.

وصلت بغداد حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر وبعد انتهاء إجراءات الجمارك والتفتيش أخذتنا طائرة أخرى ٧٤٧ إلى فرانكفورت وفي بغداد رفض العراقيون أن أقدم الماء للكلب ليشرب وقد حاولت ذلك مرتين، ولكن كان الرد «لا» قالوها بكل غرور وصلف.

غادرت الطائرة بغداد الساعة التاسعة مساءً ووصلت فرانكفورت الساعة الثانية صباحا وبعد الانتهاء من إجراءات الجمارك ذهبت لكي أشاهد كلبي ولكن لم أجده وجدت الصندوق مكسورا وفارغا، وأخبرني عمال التفريغ في فرانكفورت أن الصندوق كان بذلك الشكل عند شحنه من بغداد ـ لقد أضاع العراقيون كلبي الحبيب، صديقي ورفيقي في هذه الأيام الصعبة، ومازلت حزينا عليه حتى اليوم وفي الطائرة إلى أرض الوطن قدموا لنا همبرجر ماكدونالد وكان أحلى وألذّ ما أكلت في الأشهر الأربعة الماضية.

فيليب ليو

لويزيانا

في مارس ١٩٩٠ ، ذهبت إلى الكويت للعمل لدى معهد الكويت للأبحاث العلمية . وكان مجال تخصصي تحويل المياه المالحة إلى مياه عذبة صالحة للشرب ، ولذلك كانت الكويت هي المكان المثالي لمزاولة نشاطي . . فهي بلد ساحلي صحراوي في حاجة إلى المياه العذبة التي يمكن توافرها من تقطير مياه البحر . ويبدو أنني ذهبت إلى هناك في الوقت غير المناسب .

ففي الثاني من أغسطس ١٩٩٠ قامت العراق ، إحدى «الدول» المجاورة بغزو الكويت وخلال الليل استطاعت الدبابات والعربات العراقية احتلال مدينة الكويت . . وفي ذلك الوقت من الصيف كان نصف سكان الدولة خارج البلاد لقضاء إجازاتهم الصيفية ، أما أنا وجميع العاملين من دول الغرب فقد حاولت السلطات العراقية احتجازنا كرهائن . . ولكني قمت بالاختباء طوال الأشهر الأربعة التالية . . وبعدها عدت إلى الولايات المتحدة أحمل ذكرى هذه الأيام المريرة بعد أن فقدت كل ممتلكاتي وأبحاثي وأحلامي .

عرفت بنبأ الغزو العراقي عندما دق الهاتف في منزلي في الصباح الباكر وقال لي صديقي : «هل سمعت أصوات المدافع؟ لقد قام العراقيون باحتلال الكويت» . وفي الحال اتصلت بزوجتي في الولايات المتحدة وأخبرتها ألا تنزعج إذا ما قطعت الاتصالات التليفونية ، وبعد ذلك وخوفا من انقطاع التيار الكهربائي والماء ملأت البانيو بالمياه حتى تتوافر لدي كمية من مياه الشرب في هذا الجو القائظ الذي بلغت فيه درجة

الحرارة ٥٠° مئوية. وكان يحدوني الأمل بأن الموقف سيتحسن بسرعة وسأقوم بالرحيل من الكويت.

لم نكن نتوقع أن يكون رد فعل الولايات المتحدة سريعا، وقامت بغداد بمحاولات للرد على تدخل الولايات المتحدة فأعلنت احتجاز جميع الأجانب الغربيين ووضعهم في عدة أماكن محددة «كدروع بشرية» كي تمنع الولايات المتحدة من الإغارة على هذه المواقع. واتصلت بنا السفارة الأمريكية وأخبرتنا بالفندق الذي وقع عليه الاختيار للتجمع فيه بناء على طلب السلطات العراقية. وقررت عدم الذهاب إلى هناك وأخفيت جواز سفري وعزمت إذا حاول العراقيون طرق باب بيتي ألا أرد عليهم آملا أن تكون هناك فرصة لأن يغادروا وألا يقوموا باقتحام البيت. ولم يتم ذلك بالطبع فقد قام الجنود العراقيون باقتحام باب الشقة.. ليس للقبض عليّ ولكن بحثا عن شخص يمتلك سيارة بيضاء يقال إنها كانت محملة بالأسلحة.. كانت سيارتي رمادية اللون وبعد رحيلهم استطعت إصلاح باب الشقة، وظننت أن العراقيين لن يرجعوا مرة أخرى، ولكن الأوامر صدرت لهم باعتقال الأجانب وإرسالهم إلى بغداد. وفي ذلك الوقت كانت بعض الشخصيات العالمية ذات المقام الرفيع تزور بغداد واعتقد صدام حسين أن هذه فرصة يظهر خلالها بمظهر صاحب الروح الطيبة والمتسامحة أمام هؤلاء الزوار فكان يقوم بإطلاق سراح بعض الرهائن ليصحبهم معه هذا الزائر عند مغادرته لبغداد.

في البداية كانت الطرق خالية فاستطاع الناس التجول فيها بحرية وتمكن أربعة منا الذهاب إلى مكان العمل للحصول على جوازات سفرهم، ولما وصلت إلى هناك وجدنا المكان منهوبا: الأبواب اقتلعت من أماكنها، الأوراق والحاسوب ملقاة على الأرض، علب السجائر سرقت.

خرجت للمرة الثانية للبحث عن الطعام والوقود وأخبرني أحد الأصدقاء أن مكان بيع الوقود يبعد مسافة طويلة وأنني سأستهلك ٥ جالونات من البنزين للحصول على عشرة وبالتالي قررت عدم الذهاب لشراء الوقود ومررنا في الطريق على الجمعية التعاونية التي مازالت تواصل البيع واشترينا بعض الطعام وسمحت الجمعية لكل فرد بالحصول على سمكتين مجمدتين فقط .

أقام الجنود العراقيون الحواجز في الطرق ، وأصبح السفر عملية شاقة وطوال الفترة التي كنت أختبئ فيها من القوات العراقية لم يكن الطعام مشكلة فقد كنت أتناول ما أستطيع الحصول عليه . وسمح بعد ذلك للنساء والأطفال بالرحيل ، وتلاهم الهنود ثم الفرنسيون . . وبعد رحيل كثير من هؤلاء الأصدقاء أحسست بالوحدة وقد ترك لنا هؤلاء الزملاء طعامهم ونقودهم .

انتشرت السوق السوداء في الكويت ، وسُرقت سيارتي من داخل المرآب الذي وضعتها به وعندما اتصلت بي السفارة تطلب مني الذهاب إلى المطار الساعة التاسعة صباحا ، كنت في حيرة من أمري حول الوسيلة التي أستطيع بها الذهاب إلى المطار . . وأخيرا اتصل بي أحد الاستراليين الذي أنقذ الموقف .

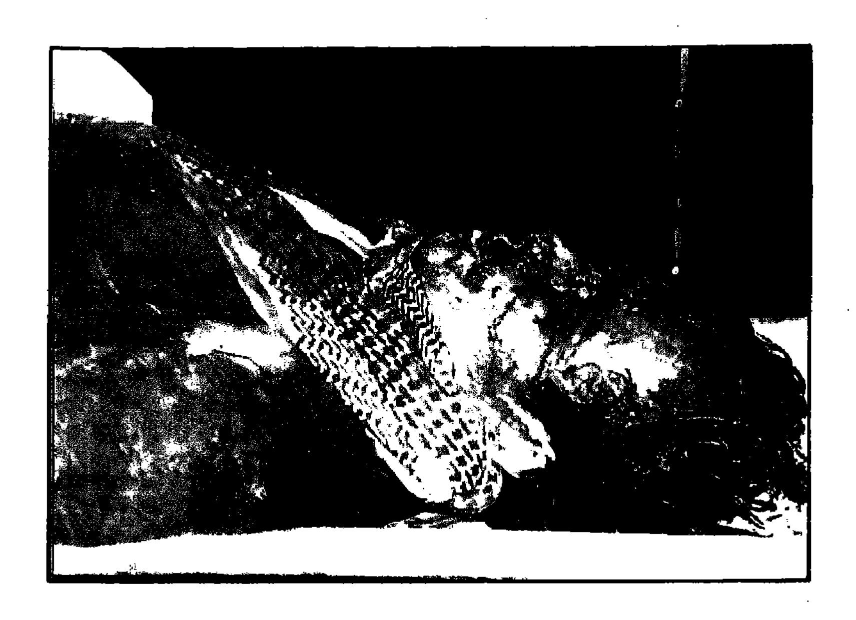
في صباح اليوم التالي جاءتني السيارة لتقلني إلى المطار ، وهناك وجدت حوالي ثلاثمائة شخص آخر منهم مائة وخمسون رهينة أما الباقون فكانوا من أعضاء السفارة . وبدلا من ركوب الطائرة ركبنا (الباصات) إلى البصرة ومن البصرة ركبنا الطائرة إلى بغداد . وهناك وجدنا رهائن آخرين أفرج عنهم وركبنا جميعا الطائرة إلى فرانكفورت ومنها إلى واشنطن دي سي ولن أنسى تلك اللحظات التي تناولنا فيها همبرجر ماكدونالد .

أتذكر الآن الكويت وأتذكر شقتي في الدور الثاني عشر التي تطل على الطريق الدائري الرابع، أتذكر الكويت. . كان منظرها رائعا في الليل الأنوار تتلألأ بها، أتذكر المعسكر العراقي الذي كان على الناحية الأخرى من الطريق الدائري الرابع، كنت أراقب هذا المعسكر وأحصي عدد العربات العسكرية الداخلة والخارجة منه وفي إحدى المرات أحصيت حوالي ثلاثمائة سيارة نقل معظمها برتقالي اللون. . وأدهشني هذا اللون للعربات العسكرية. . فمن المعروف أن العربات العسكرية لا تستعمل هذا اللون، وهو لون غير مألوف عسكريا ومخالف للعرف العسكري الذي يستعمل ألوانا أخرى للتمويه. وأخيرا استطعت حل هذا اللغز عندما شاهدت ما تحتويه هذه العربات. لقد كانت مخصصة لشحن ماتم سلبه ونهبه كان الجنود العراقيون يشحنون هذه السيارات بالثلاجات والكتب وكل ما قاموا بسلبه من بيوت الكويت.

في هذه الأيام فقدت عدة أرطال من وزني ولكني لم أفقد إيماني بالفضيلة التي انتهكت على أرض الكويت.



الدمار الذي حل بقصر السيف



أحد ضحايا التعذيب

رالف مونتجمري

فلوريدا

فجأة ودون سابق إنذار تتوالى المصائب والمحن على الإنسان، وتلفه في غلالة سوداء لا يستطيع الفكاك منها، ونحن البشر نعيش في عالم يسيطر عليه سوء الفهم وعدم الثقة. قد نجد أنفسنا فجأة في موقف معين فُرض علينا فرضاً وجرفنا معه مثل أغصان الشجر التي لا تستطيع مقاومة عصف الرياح، وكلما مرت بنا الأحداث ندرك تمام الإدراك أننا في مواجهة تيار لا يمكن السيطرة عليه ويلفنا الخوف من المستقبل الذي لو تركنا له الحبل على الغارب لابتلعنا معه.

إن الحياة مليئة بالمخاطر وبالمغامرات، ولابد لنا من مجابهتها، فعلى الإنسان السوي أن يكون يقظا لما يدور حوله وأن يتحلى بالإيمان الثابت والقدرة الواعية على توظيف هذه اليقظة في المجال الذي يساعده على الاستمرار في الحياة.

والحياة كم هي مليئة بالمفاجآت التي تحدث من حين لآخر! لقد أمضيت في منطقة الخليج ما يزيد على عشرين عاما أقمت خلالها صداقات رائعة مع كثير من العرب، ودامت هذه الصداقات وتطورت وقامت على أساس الأسرة الواحدة: صداقات وعلاقات مليئة بالأخوة والمحبة والود، وأحسست أن المنطقة كلها أسرة واحدة تربط بينها القيم والمعرفة والقرابة.

ولذلك فإن أحداث أغسطس ١٩٩٠ أغرقتني في اليأس وخيبة الأمل وجسدت لي الخيانة، فما قام به قائد متغطرس من الهجوم على أخ له لا حول له ولا قوة قد دمر الصورة الإيجابية للعلاقات الإنسانية التي تربط شعوب هذه المنطقة والتي لم أكن أرغب في مفارقتها.

أمضيت أربعة أشهر ونصف مختبئا أعيش فيها على أحلام الماضي، وبعد نهاية هذه المأساة وفي الأشهر التالية كثيرا ما فكرت وتأملت هذه الأيام والخبرات التي مررت بها والمشاعر التي انتابتني خلالها خاصة ذلك المكان الذي ظللت مختبئا فيه مدة طويلة.

إن آلاف الأفراد طوال القرون الماضية قد مروا بتجارب أسوأ من تلك التي مررت بها خلال فترة الغزو العراقي للكويت، واليوم وأنا أكتب تأملاتي هذه خلال تلك الفترة فإن آلافا آخرين من الأفراد في جميع أنحاء العالم يتعرضون للتعذيب، وللإهانات وللضرب، ولما يمكن أن نطلق عليه إهدار الكرامة وحقوق الإنسان، ولكن ماحدث في الكويت لا يمكن أن يقارن بما يحدث في أي مكان آخر من العالم. ففي لبنان على سبيل المثال أفاد الرهائن الذين أطلق سراحهم أخيرا من هناك عن العذاب النفسي والجسدي غير المحتمل الذي تعرضوا له، وحتى الآن رغم مرور مدة على حرب الخليج فإن المسجونين الكويتيين الذي قام العراقيون بإرسالهم إلى بغداد لا يسمع بهم أحد. . وأقول أخيرا إن بعض الناس في هذا العالم المتحضر مازالوا يواجهون الموت ولكن ذلك لا يمكن مقارنته بما حدث في الكويت، ولا يمكن أن يقلل من الصور والذكريات التي واجهتها ورأيتها في الكويت ومازالت محفورة في وجداني، إن مشاهد الخوف مازالت تغمرني بل تبتلعني.

في الأول من أغسطس ١٩٩٠، اليوم السابق للغزو قرأت العنوان الرئيسي لجريدة «كويت تايمز» والذي يقول:

«انتهى كل شيء إنه سوء تفاهم بسيط بين الإخوة العرب».

وأفادت الجريدة أن الموقف مع العراق أشبه بسحابة صيف انقشعت

في هدوء، كانت الخدعة كاملة، وكان الفخ منصوبا ومعداً إعدادا كاملا وبمهارة. . . وهجم صدام!

لحسن الحظ غادرت زوجتي البلاد من قبل لقضاء فصل الصيف، وفي صباح الثاني من أغسطس كنت أستعد للذهاب إلى وسط المدينة من سكني في منطقة أبوحليفة التي تقع على شاطئ الخليج وتبعد عن وسط المدينة بمسافة تقطعها السيارة عادة في نصف الساعة للوصول إلى قلب مدينة الكويت. وفجأة اتصل بي هاتفيا زوج ابنتي من أحد أقسام سفارة الولايات المتحدة بالكويت وأخبرني بالنبأ ـ قام العراق بغزو الكويت ـ وحذرني من الخروج إلى الطريق وكانت هذه بداية المحنة التي عشتها لمدة مائة وثلاثين يوما، وأخذت الأخبار والشائعات تتوالى: بعضها يقول إن الجلاء العراقي سيتم عن الكويت سريعا، إلقاء القبض على الأجانب وإيداعهم السجون. هذه الأخبار المتناقضة حلوها ومرها جعلتنا نعيش في دوامة وكانت من أسوأ الأمور التي واجهتنا فليس أصعب على الإنسان من مواجهة المجهول.

جئت إلى الكويت مع أسرتي زوجتي وأطفالي الثلاثة وعشت بها الفترة من ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ وعاشوا معي في تلك الفترة. . وأكملت ابنتي الكبرى تعليمها في الولايات المتحدة وتخرجت مدرسة وبحكم أنها عاشت سنوات طفولتها في الكويت واكتسبت الخبرة من حياتها هناك كان من الأوفق أن تقوم بالتدريس بالخارج، وقبل سنوات من الغزو انتقلت للعمل بالكويت وتزوجت من أمريكي يعمل بسلك التدريس في المدرسة الأمريكية بالكويت.

في ٢٥ يوليو ١٩٩٠ أنجبت ابنتي أول أحفادي في الكويت، وفي اليوم السابع من مولده قام العراق بغزو الكويت، ولدى سماعي بخبر

الغزو جمعت كل ما خف حمله وغلا ثمنه ووضعته في إحدى حجرات شقتي على أن يقوم صاحب العَمل الذي أشتغل لديه بتسليمها لي فيما بعد، ثم أعددت حقيبة أخرى جمعت فيها أوراقي المهمة وبعض المقتنيات وذهبت إلى شقة ابنتي التي تقع في منطقة السالمية.

وطوال الفترة من الثاني من أغسطس حتى التاسع من ديسمبر ١٩٩٠ لم نتجاسر على تخطي حدود شقة ابنتي وكنا - بكل المقاييس - لا نختلف عن السجناء داخل الزنزانة، وغطينا النوافذ بالبطاطين وسددنا كل المنافذ حول الأبواب حتى لا يتسرب أي صوت منا إلى الخارج ولأننا في فترة الصيف فقد سافر معظم السكان - وهم في الغالب من المقيمين - إلى الخارج مما جعل المبنى كله خاليا من السكان وفتح نافذة واحدة من الشقة يعرضنا لانكشاف أمرنا. كما أن الجو امتلأ بالدخان نتيجة لإحراق النفايات المتراكمة في الخارج. لقد توقفت الشركة التي تقوم بجمع النفايات عن العمل واضطر الناس إلى حرق النفايات من وقت لآخر مما زاد من حرارة الجو وتلوثه.

قضينا معظم الليالي في ظلام دامس، ورغم تغطية النوافذ بالبطانيات، لم نتجاسر على استعمال الأنوار الكهربائية حتى لا ينكشف أمرنا، وكانت الشموع هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع بها تقديم المساعدة للطفل أو للمشي في الشقة، كان لابنتي وزوجها أحد الأصدقاء الهنود وزوجته وهؤلاء كانت لهم حرية التنقل في الكويت طوال أيام الاحتلال العراقي، ولذلك قاموا بتزويدنا بالخبز والأرز والحليب البودرة بالإضافة إلى الحفاضات والأدوية التي يحتاج إليها الطفل ومن حين لآخر كنا نستمع منهم إلى الأخبار والشائعات التي تسري في البلد، وكان بعضها يسبب لنا القلق بدلا من السكينة والاطمئنان. ومن الخدمات التي قاموا بها أيضا حمل النفايات بعيدا عن البيت.

ومن الأمور التي ملأتنا فزعا أن الجنود العراقيين كانوا يدخلون المبنى ـ بواقع مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعيا ـ ويدقون أبواب الشقق ببنادقهم أ . ك ٤٧ وكنا نسمع وقع أحذيتهم وهم يجوبون طرقات المبنى وكان أشد الأمور قسوة علينا ذلك الانتظار الثقيل لمغادرتهم المبنى . . كم توقعنا ـ بين لحظة وأخرى ـ أن يقوموا بتحطيم الأبواب والدخول إلى الشقة! لطالما عشنا هذا الكابوس عدة مرات في الأسبوع .

في المساء كنا نسمع إطلاق الرصاص أو الانفجارات وعلمنا أنها ناجمة عن العمليات التي قامت بها المقاومة الكويتية ضد الجنود العراقيين وقد استمر إطلاق الرصاص بكثافة طوال أسبوعين في المنطقة التي كنا نقيم بها ، رغم أنني خدمت في سلاح الجو الأمريكي منذ عدة سنوات وتعودت صوت الانفجارات وإطلاق الذخيرة الحية ومدافع المورتر والقصف المدفعي ، وعلى أية حال فإن إطلاق الرصاص اليومي لم يكن مثيرا لأعصابنا ، إنما الخوف من وقوع معركة بين المقاومة الكويتية والجنود العراقيين يتم فيها القتال من شقة إلى شقة ومن حجرة إلى حجرة في المبنى الذي نقيم فيه مما قد يؤدي إلى انكشاف أمرنا للعراقيين .

إن ميلاد أول طفل للأسرة يصاحبه عادة نوع من القلق والخـ ـف خاصة أنها أول تجربة تمر بها الأسرة فما بالك لو صاحب هذا الميلاد هذه الأحداث الجسام ، غزو العراق للكويت . فقد كانت سلامة المولود تسبب لنا ارتباكا وقلقا كبيرين ونحن في هذا الموقف ـ داخل الشقة ـ مختبئين ، غير قادرين على الخروج إلى الشارع! كيف يكون الموقف لو احتاج الطفل إلى عناية طبية؟ ماذا سنفعل لو احتاج الطفل إلى دواء؟ كيف يكون الموقف إذا بكى الطفل في إحدى المرات التي يقوم فيها العراقيون بالدخول إلى المبنى وطرق الأبواب؟ أسئلة كثيرة وهواجس مرت بنا

حول سلامة الطفل والموقف الطارئ الذي نحن فيه، لقد كانت الأسابيع الأولى بعد مولد الطفل مرعبة حقا، ولكن الذي هون علينا الأمر بعض الشيء الاتصالات التليفونية التي كانت تربطنا بالخارج سواء مع السفارة أو مع هؤلاء الزملاء في مخابئهم. ومن الأخبار السيئة التي وصلتنا في شهر سبتمبر طلب السلطات العراقية من جميع الأجانب الغربيين المقيمين في الكويت التجمع في أماكن معينة، حددتها السلطات العراقية، وفي وقت محدد وكل من يتخلف عن الحضور سيواجه السجن، وجاءت التقارير توضح أن بعض الأجانب قد ألقي القبض عليهم وأن آخرين منهم قد أطلق عليهم الرصاص ومنهم من جرح أو قتل. . كل هذه الأخبار زادت من عذابنا فأنهكت روحنا المعنوية.

ومن الحقائق الصارخة المحزنة تلك التحذيرات التي أذاعتها كل من إذاعتي الـ بي بي سي وصوت أمريكا. . فقد أذاعتا تعليمات واحتياطات علينا أن نتبعها إذا لجأ العراقيون إلى استعمال حرب الغازات ضدنا وضد المدنيين بوجه عام مما زاد في تعاستنا وفي المصير المجهول الذي نواجهه، ولن أنس مطلقا مشاعر القلق التي انتابت ابنتي وزوجها حول طفلهما التي مهما حاولا إخفاءها إلا أنها كانت واضحة في تصرفاتهما تجاه الطفل الوليد ومازالت هذه المشاعر تؤرقني حتى هذه اللحظة. مشاعر الأبوة والأمومة والقلق تجاه طفلهما، ولا شك في أن آلاف الآباء والأمهات واجهوا هذه المواقف مثلهم ليس في الكويت فقط ولكن في البوسنة وفي مناطق أخرى من العالم.

اتخذ الرئيس العراقي صدام حسين قراره بإطلاق سراح النساء والأطفال في منتصف شهر سبتمبر، وكانت عودة ابنتي وحفيدي إلى الولايات المتحدة هي نقطة التغيير في حياتنا ـ أنا وزوج ابنتي ـ أصبح

البال خاليا وانزاحت الغمة، وانتقلنا من مرحلة السلبية إلى مرحلة الإصرار على البقاء ومواجهة الموقف مهما حدث. وفي منتصف نوفمبر غادر الكويت أصدقاؤنا من كويتيين وفلسطينيين، وآخرين من جنسيات مختلفة، هؤلاء الأصدقاء الذين خاطروا بحياتهم ووفروا لنا الطعام والدواء. وفي الأسبوع الأول من ديسمبر أصبحنا نتناول الأرز المسلوق ثلاث مرات يوميا وتناقص مخزون الطعام وأصبحنا نذهب إلى النوم ونحن جياع، ونقص وزن كل منا من ١٠ إلى ١٢ كجم وفي السابع من ديسمبر جاء الخلاص. فقد علمنا أنه قد سمح لجميع الأجانب بمغادرة البلاد. . وكنا نعتقد أنا وزوج ابنتي - أننا لن نعيش لأكثر من عشرة أيام!

وغادرنا البلاد بمساعدة سفارة الولايات المتحدة وقضينا هناك أفضل عيد ميلاد مر بنا بعد العودة إلى أرض الوطن.

والآن وأنا أتأمل واسترجع ذكريات هذه الأيام التي قضيتها في الحجز الذي ارتضيته لنفسي بعيدا عن أيدي العراقيين. أتساءل: ما معنى ماحدث في حياتي؟

ما الدروس والعبر التي تعلمناها من هذا الموقف؟

أعتقد أننا دون وعي منا، ونحن نسكن هذا المجمع، قد عشنا في عزلة عما يجري حولنا ولم نعايش المآسي الوحشية فالأعمال الشريرة التي ارتكبها العراقيون يوميا من حولنا، جعلت الخوف يسيطر علينا وملأت قلوبنا رعبا وأقامت بيننا وبين الناس والشارع ستارا وواقعا لم نستطع أن نتجاوزه، لم نستطع أن نواجه العالم الصغير الذي كان يعيش من حولنا. إنه الخوف هو الذي عزلنا عن مواجهة تلك المآسي.

العالم الآن لم يعد العالم الذي كان منذ قرون مضت أو حتى منذ

سنوات قليلة مضت حيث يستطيع فرد ما أن يعيش في عزلة وفي منأى عن الناس الآخرين كل شيء في هذا العالم منفتح على غيره وأماكن العزلة والاختباء في عالمنا هذا أصبحت نادرة. وهكذا فإن ما قام به هذا الطاغية المتبجح لم يؤثر فقط فيمن حوله بل أثر في محيط كل منا، لم يؤثر فقط في المكان والأفراد الذين يدورون في فلكه بل امتد تأثيره إلى أبعد من ذلك.

فهل نستطيع نحن في هذا العالم المتشابك أن نختار الحياة التي نريدها وندير ظهورنا لما تعانيه البشرية من إرهاب ومعاناة تجل عن الوصف؟ لا أعتقد أن في مقدورنا أن نغفل ذلك! وعلى هؤلاء الذين يعتقدون أن الإنسان يستطيع أن يعيش بمفرده ويتغاضى عن أحزان الآخرين وآلامهم ومعاناتهم، عليهم أن يعيدوا قراءة رواية «جورج أورويل» «١٩٨٤» قد يكون جورج أورويل قد أساء الحساب في اختيار العام الذي قدم فيه روايته، ولكنه قد قوّم بدقة الثمن الذي يدفعه الإنسان حيال اللامبالاة والسماح ببقاء الطغاة.

لقد قال السير ونستون تشرشل(*):

«ليس لدينا ما نخافه إلا الخوف نفسه». من أكثر المواقف إمعانا في الجبن في حياة الإنسان هو ألا يحرك ساكنا وألا يفعل شيئا حيال الانتهاكات والأعمال العدوانية غير الإنسانية التي ترتكب أمامه.

نعم في اللحظة التي يقبل الإنسان فيها بحدوث مثل هذه الأوضاع فإن راية الخوف تكون قد انتصرت.

(*) رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥.

روبرت موريس

ماساشوسيت

نعم أنا رجل عنيد، ولم أشعر بأنني تخلصت وأصبحت حراً من طوق صدام حسين إلا بعد أن ركبت طائرة «بان أميركان» وانطلقت بي من مطار فرانكفورت إلى الولايات المتحدة. . نعم لم أشعر بالراحة النفسية إلا بعد أن بعدت تماما عن العراق والعراقيين، لم أحس بالنشاط وبعودة الروح إلا بعد مغادرة العراق. . جاءت هذه المشاعر وأنا متجه إلى الوطن لقضاء عيد الميلاد وسط أسرتي وأصدقائي. . كانت حالتي النفسية سيئة جدا وتنتابني الهواجس، حتى في أثناء إقلاع الطائرة من المطار في فرانكفورت كان الخوف والرعب مازالا يسيطران عليّ، وكنت أشعر بطريقة أو بأخرى أننا مازلنا رهائن تحت رحمة صدام، وطوال الرحلة التي استغرقت ست ساعات من بغداد إلى فرانكفورت كنا صامتين كأن فوق رؤوسنا الطير، لم ننبس ببنت شفة، ولم نحاول القيام بأية احتفالات أو نظهر شيئا من سعادتنا وفرحتنا بالفكاك من أسر صدام حتى لا نعطي العراقيين أية فرصة للتراجع في قرار الإفراج عنا. . هكذا كنت طوال الرحلتين من بغداد إلى فرانكفورت ومنها إلى الولايات المتحدة.

في العاشر من ديسمبر ١٩٩٠ عندما حطت الطائرة الأمريكية «بان أميركان» في مطار فرانكفورت. . كان معظم ركابها من الرهائن الذين احتجزهم صدام حسين لفترات مختلفة. . وكنت منهم. . لقد ألقى العراقيون القبض عليّ لفترة قصيرة ولكني استطعت الهرب وطوال هذه الفترة التي كنت مختفيا فيها عن أعين العراقيين لم أفكر إطلاقا في الاستسلام لهم واخترت الاختباء عن أعين غزاة الكويت لأكثر من أربعة أشهر.

نعم كنت حرا بعيدا عن صدام، ولكني كنت أسير الخوف من الوقوع في يد العراقيين مرة أخرى كنت أخشى عذابهم وتنكيلهم والحكم بالإعدام.

لم أتخلص أبدا من هذه الأفكار السوداء. وفي الطائرة كان معي أحد أفضل أصدقائي «جورج واهر» أحد المتخصصين في فن تحسين وتعديل سمات المناظر الطبيعية (مهندس مناظر) من بنسلفانيا. تمددنا باسترخاء على مقاعد الطائرة الوثيرة، كنت غائر العينين، هزيلا، أشعث اللحية (حاولت تهذيبها أثناء المحنة) فقدت ٢٣ رطلا من وزني طوال مدة الهرب والاختباء التي تجاوزت ١٣٠ يوما، ونظرت إلى المرآة فوجدت لحيتي مليئة بالشعر الأبيض بعد أن كانت حمراء الشعر.

وفي الطائرة التي طالما تعجلت رحيلها، كنت نافد الصبر مرتعدا، طالما اشتقت لسماع زمجرة وأصوالت عجلات الطائرة تطوي ممر المطار وتطير إلى عنان السماء باتجاه الغرب حتى أتخلص من قبضة صدام حسين وزمرته المنافقة المتوحشة، هذا اللقيط الذي نهب واغتصب هذه الدولة الخليجية الصغيرة منذ أن غزاها في الثاني من أغسطس ١٩٩٠.

وهكذا توالت الذكريات وأنا جالس في الطائرة وسيطرت على كل تفكيري وكلما حاولت التفكير في أمور أخرى لأبعد عني هذا الكابوس ازدادت هواجسي ولم أستطع منها فكاكا:

القذائف العراقية بانفجاراتها المدوية تخترق دياجير الظلام عبر شارع الهلالي الذي أقطن به، اقتراب الحرس الجمهوري- قوات صدام النخبة- إطلاق النيران تحت نافذتي تماما، جثث القتلى تنتشر في المدينة، الهجوم على مبنى التليفزيون وعلى الإدارات الحكومية الأخرى، إلقاء القبض

على بعض الكويتيين الذين كانوا بالطرقات ولم يعلموا بالغزو العراقي. كما لن أنسى أبدا إلقاء القبض عليّ في فندق شيراتون حيث اتخذت القيادة العراقية مواقعها ثم هروبي من هناك واختفائي بعيدا عن أعين العراقيين ذلك الاختفاء الذي طال شهورا حتى بلغ بي السأم والملل مداه، محاولاتي المتعددة للهرب من مبنى المجمع الذي أسكن فيه والتي فشلت أو أحبطت نتيجة للإجراءات الصارمة التي فرضها العراقيون في الشوارع، قتل واغتصاب المدنيين الأبرياء، الخوف من الخيانة والوشاية في كل لحظة، انقلاب بعض الفئات على بعضها البعض، مواجهة العذاب الجسماني، الحالة والوضع الدرامي الذي يقاسي منه الجميع، محاولة المعيشة والتعايش مع هذا الجو القاسي أصبحت مؤلمة إلى حد كبير.

عشت متخفيا وسط مجموعة من الأفراد من جنسيات مختلفة وكانوا خليطا غير متجانس وذوي شخصيات متنوعة.

فالأول كان استرالي الجنسية، وكان شخصية عدوانية كادت تعرض أمن المجموعة للخطر، والثاني كان إيرلنديا صلبا أنانيا يريد أن يأخذ نصيب الأسد في كل شيء، والثالث بريطانيا دائم الشراب وكان يخفي المسكرات في مكان لا يعرفه أحد، وأخيرا كان هناك ذلك السوري الغامض ولا أدري لماذا كان شعورنا نحوه ممتزجا بالخوف فقد كنا نشعر أنه قد يقوم بخيانتنا في أية لحظة.

ومازلت أذكر أن آمالنا في النجاة قد وصلت إلى مرحلة اليأس، خاصة كلما اقترب العراقيون أكثر فأكثر من المكان الذي نختبئ فيه، وكنا نتساءل: من منا سيكون الأول في مواجهة العراقيين؟ من الذي سيضحي بنفسه ويقف أمام العراقيين؟ من منا سيستلم للعراقيين ليصبح أحد

الدروع البشرية في أحد الأماكن العراقية المنعزلة الواقعة في الجبال أو على ضفاف دجلة والفرات.

من أسوأ الأمور على الفرد أن يعيش في عزلة ويشعر بجنون الاضطهاد، والخوف والرهبة من الاحتجاز بمفرده لمدة طويلة، كنا نقوم من النوم صباحا ولا نصدق أننا مازلنا أحرارا بعيدا عن أيادي العراقيين، كان الخوف والإحباط يسيطران علينا سيطرة كاملة، كان الخوف ملازما لنا مثله مثل القميص الذي نرتديه لا تستطيع الفكاك منه، كنا ننتظر وصول قوات الأمم المتحدة التي طال انتظارها ودعونا الله كثيرا أن تقوم القوات الأمريكية بضرب ونسف العراقيين وحتى لو أصبحنا ضحايا لهذا الهجوم.

طالما اشتقت كثيرا أن تقوم قوات مشاة البحرية الأمريكية بالهجوم على شواطئ الكويت - إنني أعرف هؤلاء الرجال جيدا فقد خدمت في هذا السلاح عندما كنت ضابطا في الأسطول في أثناء حرب فيتنام وأعرف جيدا هول المعارك والضحايا الذين يتساقطون ليقوموا بقتل الغزاة العراقيين الذين قاموا بغزو شعب الكويت المسالم وتشريده وقتله واغتصابه.

تواردت في ذهني كل هذه الخواطر والذكريات السوداء وأفقت منها على ابتسامة مضيف الطائرة يقدم لي كأسا من الشراب وعددا من شطائر الجبن، وتقبلنا - أنا وجورج داهر - الماضي بكل جراحه وحمدنا الله على ما نحن فيه الآن وتجاذبنا أطراف الحديث حول ماحدث مما كنا نتخوف منه.

منذ دقائق أعلن كابتن الطائرة «جون دوناهيد» عن قيام الرحلة وقال:

إننا سنحلق في السماء في الحال وتنفس الجميع الصعداء وانهالت الابتسامات فعندما تحلق الطائرة عاليا في السماء سنكون بعيدا عن مخالب صدام.

ولكن فجأة عاد الكابتن دوناهيد ليقول بصوت قاتم:

«نأسف لعدم إمكاننا الرحيل الآن. . أعلم أن هذا خبر سيء سوف نضطر إلي التأخير وسيكون طويلا ولا أعلم مدى هذا التأخير».

ونزل عليّ خبر التأخير نزول الصاعقة وفكرت في مغادرة الطائرة والبحث عن أقرب طائرة متجهة إلى الولايات المتحدة، كل ما أريده الآن أن أصل إلى الوطن والذهاب إلى «بوسطن» ومقابلة زوجتي «جيل» وابنتاي «آن» و«باتريشيا».

وجاءنا صوت الكابتن دوناهيد مرة أخرى على «الأنتركم» داخل الطائرة: «وصل رجال السفارة الأمريكية وهم يحاولون تذليل جميع الصعاب للإقلاع من المطار، لذلك أرجو منكم الهدوء. تناولوا المشروبات، الخدمة متوافرة للجميع».

نظر كل منا إلى الآخر - أنا وداهر - وكنا لا حول لنا ولا قوة وابتسم كل منا للآخر وتناولنا المشروبات وتذرعنا بالصبر وأخذنا نفكر بهدوء ونحاول الاسترخاء. ولكن الأعمال أعلى صوتا من الأقوال.

وفي أثناء انتظاري لرحيل الطائرة، أخذت من جديد أفكر في موقفي:

عمري الآن سبعة وأربعون عاما كل ممتلكاتي في الحياة حقيبة صغيرة تحتوي القليل من الملابس وأدوات الحلاقة، لقد فقدت كل ما أمتلكه وكل

ما تمتلكه «جيل» زوجتي كل ما لدينا قد نهب وسلب كل شيء ملابسنا وأثاثنا ومجوهراتنا، والتذكارات التي لدينا، والسيارة الغالية التي اشتريناها والتي اضطررت إلى تركها بالصحراء في أثناء إحدى محاولات الهرب التي قمت بها.

وتملكتني نزعة الأنانية، وفرضت نفسها عليّ وضايقتني، لماذا أصابني الله بكل هذا البلاء؟ لماذا أنا؟ نعم لقد سيطرت عليّ الأنانية.. لماذا أنا؟

ماري آن موشر

تكساس

وصلت إلى الكويت ولم يمض على بقائي بها سوى ستة أسابيع ونصف حتى وقع الغزو العراقي. وقد وصل زوجي إلى الكويت أول ما وصل في ٢٧ يناير ١٩٩٠ حيث وقع عقداً مع شركة أوبريان جونس الهندسية في هيوستون بتكساس للعمل في شركة بترول الكويت لمدة عامين.

في اليوم الأول من أغسطس ١٩٩٠ زارتنا صديقتي «مارج» الساعة السادسة مساء وبدا عليها الاضطراب والقلق وطلبت منا أن نترك كل ما في أيدينا وأن نذهب إلى شقتها لمشاهدة الـ CNN.

وفي شقتها وجدنا زوجها «بني» يشاهد التليفزيون وأخبرنا أن الأمور قد ساءت في الاجتماعات التي تمت بين العراق والكويت وأن سوء التفاهم بين الدولتين قد جاوز المدى وأن صدام حسين قد أمر بفض الاجتماع، وكنا جميعا في قلق من هذه الأخبار وأخذت «مارج» تدخن باستمرار من شدة الموقف. فطوال الأسبوعين الماضيين انتشرت الشائعات حول وجود حشود عراقية على الحدود الكويتية، ولم يجزم أحد في الكويت بصحة هذه الأخبار، وكان «إد هيل» أحد أوفى أصدقاء زوجي «دنيس» والذي يعمل معه في شركة البترول الكويتية، يقوم بعمله على الحدود الكويتية العراقية، ولم يشاهد جنديا عراقيا واحدا. وبعد فترة من النقاش والحوار غادرنا - أنا ودينس - إلى منزلنا في الساعة التاسعة مساء. وكنا شديدي الاضطراب ولم نعتقد أن شيئا ما سيحدث ودلفنا إلى النوم الساعة ١١ مساء ونحن على ثقة بأن كل شيء على مايرام وسيعود «دينس» إلى موقعه لدى الحفارة يوم الجمعة بعد غد.

في الساعة ٥,٣٠ صباحا جاء «بني» إلى منزلنا وأخبرنا أن الغزو العراقي قد وقع. . وبدأ «بني» يتحدث وهو لاهث الأنفاس وأخذ يقص علينا ماحدث في الساعات الأخيرة الماضية:

دخلت القوات العراقية مدينة الكويت في الساعة ٤,٣٠ صباحا وبدأوا في تدمير كل شيء يصادفهم، وقال إنه لا يعرف أكثر من ذلك وطلب منا أن نعد حقيبتنا ونذهب معه إلى شقته ونبقى مع «مارج» وأن عليه الذهاب إلى العمل للحصول على جواز سفره.

وعند وصولنا إلى «مارج» وجدناها في حالة ثورة تعد حقيبتها وتشاهد الـ CNN في الوقت نفسه، ولم يبث التليفزيون أية أخبار عن الغزو حتى ذلك الوقت.

لم نكن نعرف كيف نتصرف. «مارج» مضطربة ونحن قلقون، وبالتالي قررنا الذهاب إلى شقة «ستان» و«نل باتري» وكم كانت دهشتنا من الموقف هناك: وجدنا حوالي عشر أسر وأولادهم قد تجمعوا لدى شقة ستان ونل وجلسوا يخططون للرحيل إلى الحدود السعودية، وقد ملأ الحزن قلوب الأمهات خوفا على سلامة أطفالهن. وقامت «ويلي» إحدى جيراني بمهاتفة زوجها «جاري» وكان ذلك في الوقت الذي يعمل على الحفارة وأخبرها أن الجنود العراقيون قد أحاطوا بالموقع ودخلوا التريلر (مقطورة الحفارة التي تتحرك على عجل) وهنا طلبت منه زوجته ترك العمل والحضور فورا ومعه حقيبته للرحيل معها.

قررنا ـ دينس وأنا ـ المغامرة بالصعود إلى سطح «أبراج لطيفة» حيث نسكن حتى نتمكن من مشاهدة مدينة (أبوحليفة) بأكملها، استطعنا مشاهدة برج الميكروويف في الفحيحيل وهو يشتعل وكان من أول

الأهداف التي ضربت بالقنابل في الساعات الأولى للغزو. كما شاهدنا سحب الدخان تتصاعد من مدينة الكويت ومن ناحية المطار وعلى البعد أخذت الطائرات «الميج» تملأ السماء وكان طريق السفر السريع مكتظا بالسيارات في طريقها إلى الحدود السعودية.

رجعنا إلى شقتنا لننال قسطا من الراحة ولمناقشة القرارات التي يجب أن نتخذها. . وكانت البقاء حيث نحن هنا أكثر أمنا وأفضل من الخروج. فقد يقوم العراقيون بإطلاق الرصاص علينا إذا حاولنا مغادرة البلاد.

في صباح اليوم التالي ٣ أغسطس تناولنا إفطارا سريعا وذهبنا إلى شقة «ستان ونل». . وجدنا الجميع في حالة استعداد تام لمغادرة الكويت إلى الحدود السعودية، ولكننا كنا قد قررنا عدم الذهاب معهم. فنحن نعتقد أن الطريق غير آمن وأن قيادة السيارة لمسافة ٥٠ ميلا في وضح النهار ستكون معرضة لانتهاك العراقيين. تمسكنا بوجهة نظرنا ودعونا الله أن نكون على صواب.

في صباح الخميس ٧ أغسطس قرر عدد كبير من سكان «مجمع لطيفة» الهرب من الكويت إلى الحدود السعودية، ولم يفلحوا في ذلك. فقد ردهم الجنود العراقيون على أعقابهم قبل أن يصلوا إلى هناك. وفي اليوم التالي جاء أحد الأفراد الذين يعملون مع «دينس» واسمه «عمر» وأبدى رغبته في الذهاب إلى المركز الرئيسي لشركة بترول الكويت في الأحمدي وتحمس «دينس» لذلك أما أنا فقد وافقت على مضض.

وشاهدنا آثار العدوان ونتائجه واضحة في الطريق السريع: كثير من السيارات الخاصة هجرها أصحابها، العربات والدبابات محطمة وملقاة على جانب الطريق، العربات العراقية المدرعة المحملة بالجنود تملأ الطريق

السريع، أصبح القانون واللوائح في خبر كان. السيارات تكسر الإشارات الحمراء وبعضها يسير في الاتجاه الخاطئ بعكس المرور، قوانين الأمن والأمان كانت نائمة ولم يهتم أحد بسلامته أو بسلامة الآخرين.

ذهلت عند وصولنا الأحمدى من حالة المدينة، ومن الواضح أن العراقيين قد سيطروا عليها. وحاول «دينس» البحث عن أحد الأفراد العرب الذي كان بحوزته جميع جوازات السفر حتى يستطيع أن يسلمها إلى أصحابها وعند حصولنا على جوازات السفر حفظتها في ثنايا ثيابي وذهبت إلى السيارة مسرعة، وكنت أعلم أن العراقيين لا يقومون بتفتيش النساء.

قررت أنا وزوجي أن نقوم بحراسة الشقة بالتناوب نظرا لانتشار نهب الشقق حولنا. ومن المناظر المرعبة المخيفة التي شاهدتها منظر الهنود الجياع وهم يجوبون الشوارع ويبحثون في النفايات ليجدوا ما يقتاتون منه.

خاطب الرئيس بوش الشعب الأمريكي في ٨ أغسطس وطالب القوات العراقية بالانسحاب من الكويت دون قيد أو شرط وأن تعود أسرة الصباح الشرعية إلى البلاد.

وفي ١٧ أغسطس أخذ القلق يسيطر علينا حول إمدادات المياه، فقبل الغزو كانت المياه تصل المبنى عن طريق أحد عمال الصيانة ولذلك بدأنا بترشيد استهلاك المياه، بعد ذلك بيومين علمنا أن الجنود العراقيين قاموا بإلقاء القبض على جميع الأجانب الغربيين المقيمين في فندقي هيلتون وشيراتون ونقلوهم إلى بغداد. والآن ماذا سيحدث بعد ذلك؟ هل سيقوم العراقيون بالبحث عن كل الأجانب الغربيين أم سيكتفون فقط

بهؤلاء المقيمين في الفنادق؟ وإذا ما قام العراقيون بالبحث عن الأجانب في جميع أنحاء الكويت فستكون حياتنا معرضة للخطر. وإلى متى ستستمر عملية البحث هذه؟ دعونا الله كثيرا أن تنتهي هذه العملية وتتوقف سريعا.

طالت الأيام خلال سبتمبر وأكتوبر وأصبح الملل مشكلة المشاكل، وقد أمضى معظم الرجال العزاب نهارهم وليلهم باستهلاك كميات كبيرة من «الجلاش» ولم يكن هناك شيء آخر متاحا.

هلّ عيد الشكر في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠ وكان هذا اليوم عيد زواجنا الواحد والعشرين وتجمعنا معا لإعداد الديك الرومي، ذهبت «اليستير» و«جيما» إلى السوق المركزي لشراء الطعام لنا للأسابيع القادمة وكانتا لهما مطلق الحرية في الخروج على عكس جميع الأمريكان والبريطانيين فلو شاهد العراقيون واحدا منهم لألقوا القبض عليه. كانت «اليستير» اسكتلندية و«جيما» مسيحية من أصل عراقي، وقد عرضتا حياتهما للخطر، فلو شعر العراقيون بأنهما يجلبان الطعام إلى أحد الغربيين الأجانب لصدر الحكم بإعدامهما فورا. كانتا في قمة الشجاعة ولن ننسى لهما جميلهما طوال العمر.

أعلن راديو صوت أمريكا أن جميع الغربيين أحرار في مغادرة الكويت وستغادر الطائرة الساعة ١٢ مساء وعلى جميع الغربيين التوجه إلى المطار الساعة التاسعة صباحا.. وكانت المشكلة التي واجهتنا هي كيفية الذهاب إلى المطار. لم تكن بالكويت حينذاك سيارات كثيرة، وحتى الأفراد الذين يعيشون وقتها في الكويت ليست لدى كل منهم إلا سيارة واحدة.. وكنا نؤمن بأن هذه المشكلة سوف تحل وأننا سنصل إلى المطار في الوقت المناسب.

خرجنا من البيت الساعة ٨ صباحا لأول مرة بعد هذا الاختفاء الطويل وكانت حرارة الشمس التي لم نشاهدها منذ فترة طويلة شيئا رائعا حقا. كان يوما جميلا والطقس كان رائعا.

في الطريق السريع شاهدنا مئات العربات والسيارات والباصات المحترقة والمهملة والمهجورة كانت الكويت أشبه بالأرض المحروقة، أشبه بأرض المعركة لجيش منهزم، أشبه بمدينة أشباح.

أخيرا وصلنا إلى مطار الكويت وشاهدنا عددا كبيرا آخر من الأمريكيين، ولست أدري أين كان كل هؤلاء الناس؟ وبعد دقائق أصبح الجميع يتحدثون معا كما لو كنا نعرف بعضنا منذ زمن طويل.

الساعة الواحدة ظهرا ركبنا الباصات إلى منطقة شمال الجهراء في القاعدة الجوية هناك، وكانت المسافة طويلة في هذا الحر القائظ المترب ولكننا لم نهتم، غلبت فرحتنا بالرحيل على كل شيء. ورحلنا إلى بغداد في الساعة الثالثة، وكم كانت فرحتنا أن وصلنا إلى المكان الذي طالما حاولنا الابتعاد عنه واختبأنا خوفا من المجيء إليه، ولكن الفرق كان واضحا أن نأتي إليه أحرارا، وأن نأتي إليه مسجونين ورهائن. وفي الساعة التاسعة صباحا ركبنا الطائرة إلى فرانكفورت. أخيرا كنا في طريق العودة إلى الوطن.

جيمس بيننتون

أوهايوا

عدنا إلى الكويت ـ أنا وزوجتي ـ في ٣١ يوليو ١٩٩٠ بعد قضاء الإجازة السنوية في إسبانيا حيث زرنا أحد أصدقائنا القدامى الذي كان زميلا لي في أثناء الخدمة في السلاح البحري سابقا. عند عودتنا إلى الكويت كانت روحنا المعنوية مرتفعة ولذلك انطلقت إلى تجديد عقدي لمدة ثلاث سنوات جديدة حيث أعمل في أنظمة الدفاع الجوي لصواريخ «هوك» وقضيت في الكويت خمس سنوات، وفي ذلك الوقت كان أمام انتهاء عقدي سنة أخرى.

ولقد قمنا في الأول من أغسطس بزيارة بعض الأصدقاء ورجعنا في وقت متأخر من الليل ولاحظت أن المرور في تلك الليلة لم يكن مزدحما كعادته ولكن زوجتي قالت إن كل شيء يبدو عاديا ورجعنا إلى شقتنا، وفي الصباح الباكر في حوالي الساعة السادسة قمنا من النوم على صوت طرق عنيف على الباب الخارجي، وفتحت الباب على صوت أحد الأصدقاء يتحدث بصوت مضطرب ويطلب إلينا إعداد حقائبنا للرحيل حيث إن العراقيين قاموا بغزو الكويت وبالتالي فعلى جميع الأجانب مغادرة الكويت. ذهبت إلى النافذة ونظرت إلى الخارج وكان كل شيء عاديا، ولما أدرت التليفزيون لمشاهدة محطة الـ سي إن إن عرفنا ماحدث تماما وأول شيء فكرنا فيه هو الذهاب إلى السعودية فهي على مسيرة ساعة بالسيارة واتصلنا بالسفارة الأمريكية التي نصحتنا بعدم الرحيل والبقاء في أماكننا على ألا نبدو للعيان.

اتصلت بقاعدة الدفاع الجوي التي أعمل بها، وأخبرني الضابط

المناوب أن كل شيء على مايرام ويبدو أن أحدا لم يكن يدري مايحدث تماما. اتصلنا ببعض الأصدقاء وكانوا هم أيضا يحاولون الاتصال بنا. كنا في حالة من الارتباك والدهشة ورأى الجميع أن أفضل حل هو حزم الحقائب والرحيل إلى الجنوب.

أذاعت الـ سي إن إن نقلا عن السفير العراقي في واشنطن أن القوات العراقية ستغادر الكويت في ظرف أيام، وهنا خاطبت القاعدة الجوية العسكرية مرة أخرى وأجابني أحد الضباط برتبة ملازم كنت أعمل في معيته ألا أقلق وعليّ أن أعود للعمل يوم السبت القادم (كان اليوم الخميس) وتركتني مكالمته وأنا أكثر اضطرابا، فمن المؤكد أن القاعدة الجوية لابد أن تكون من أولى الأهداف التي تتعرض للهجوم من قبل العراقيين.

ساد الاضطراب المبنى الذي نعيش فيه.. وأصبح السكان جميعا في هلع، وشاهدت الكثير منهم يعدون سياراتهم للرحيل مندفعين إلى أقرب سوبر ماركت لشراء كل ما يستطيعونه من مؤن، أما الباقون فوقفوا كأن على رؤوسهم الطير لا يدرون كيف يتصرفون، قطعت الاتصالات الهاتفية الخارجية أما الاتصالات الهاتفية الداخلية فكانت تعمل.

شاهدت كثيرا من العربات العسكرية وقوات الجيش العراقي آتية إلى منطقتنا، وأخذت في مراقبتها من شرفة شقتي في الدور التاسع بالقرب من شارع الخليج وبعد ذلك بدأ الجنود العراقيون يحفرون الخنادق على الشاطئ، واتخذت الدبابات مواقعها، وهنا بدأت أشعر بالقلق على سلامتنا، ولم يعد باستطاعتنا الآن السفر إلى الحدود السعودية. لقد فاتتنا فرصة الذهاب مع هؤلاء سعداء الحظ الذين حزموا أمرهم وبادروا بالرحيل، نعم إن كل من غادر الكويت يومي ٤، ٥ أغسطس بالسيارة

إلى السعودية استطاع الإفلات من براثن العراقيين، أما نحن وكل من استمع إلى إرشادات السفارة الأمريكية بالإضافة إلى عدم تصديقنا بكل ما كان يحدث فقد أصبحنا سجناء داخل بيوتنا، لذلك أخذنا في تخزين كل ما نستطيع الحصول عليه من المواد الغذائية، ملأنا جميع الأواني والبانيو بالماء. . وكان أسوأ ما يواجهنا أننا لا نعرف طول المدة التي سنظل فيها رهن هذا المحبس. وكوّن سكان المجمع فرقا للأمن لحراسة المبنى بعد أن شاهدنا عمليات السلب والنهب التي تعرضت لها المساكن المجاورة، وكما قلت سابقا كان الماء والطعام أهم الأشياء التي نحاول تعزيزها، وقد استطاع السكان العرب الذين يقيمون في المجمع الدخول والخروج بحرية كاملة، وبالتالي أخذوا يقتسمون معنا معظم أنواع الأطعمة التي يستطيعون شراءها.

رأينا الجنود العراقيين وهم يرتدون اللباس المدني يدخلون إلى المباني المجاورة ويلقون القبض على بعض المدنيين، وكانت الـ سي إن إن وسيلتنا لتلقي الأنباء، وشاهدنا وسمعنا كثيرا من أحداث النهب والاغتصاب والأفعال الوحشية، وتوقف المرور تقريبا حول المجمع السكني وأخذ الجنود العراقيون في حفر المزيد من الخنادق، ونصبوا كثيرا من الخيام الصغيرة، وفي مثل هذا الوقت من العام يكون الجو ساخنا ولذلك شعرت بالرثاء لهؤلاء الجنود ولكنها الأوامر وعليهم تنفيذها، وكثيرا مادخل العراقيون إلى المبنى يطلبون الماء.

إننا لم نخش الجنود العراقيين، ولكن الخوف كل الخوف من هؤلاء الذين يرتدون الزي المدني فلم نكن نعرف هويتهم. وكانت فرق الأمن التي كوّناها لحراسة المبنى لا تزال تعمل طوال اليوم، وللأسف قام البعض بالإغارة على مخزن المجمع وحاولوا الدخول إليه، ولكننا

استطعنا اللحاق بهم قبل الاستيلاء على أي أدوات من المخزن. وهكذا مرت الأسابيع ونحن نراقب الجنود العراقيين يحفرون المزيد من الخنادق على شاطئ الخليج، ونشاهد الـ سي إن إن.. وأصبح المبنى الذي نعيش فيه منتدى لجميع الأمريكيين والبريطانيين الذين يعيشون في الكويت وتقاسمنا الوجبات والأحاديث والخطط.

في الخامس من سبتمبر قام العراقيون بالقبض على جميع الأجانب الغربيين الموجودين في المبنى وهكذا أصبحت وزوجتي «ضيوفا» على الحكومة العراقية (على حد قول الأخيرة)، نعم كنا نعلم أننا أصبحنا رهائن في أيدي القوات العراقية، ولذلك وضعنا مسمى جديدا وهو الضيوف الرهائن. وفي مدينة الكويت حيث اقتادتنا الشرطة العراقية المدنية، التقينا بكثير من زملائنا الأجانب الذين وقعوا في أسر العراقيين، وفي موكب يتألف من أربع باصات كبيرة ذهبنا إلى بغداد ووصلناها في المساء واستغرقت الرحلة إلى هناك اثنتي عشرة ساعة، ولم يكن الباص مكيفا وليس به أي وسيلة من وسائل الراحة بالإضافة إلى الطقس الحار. بلغ منا التعب مبلغه، وأعطي لكل منا حجرة في أحد فنادق بغداد.. وأبلغنا العراقيون أن الزوجات والأزواج يمكنهم البقاء في حجرة واحدة، ولذلك قررت زوجتي البقاء معي. وفي صباح اليوم التالي ركبنا أحد الباصات التي رجعت بنا إلى البصرة ومرة أخرى في هذا الجو القائظ استغرقت رحلتنا عشر ساعات وكانت زوجتي المرأة الوحيدة من بين عشرة أشخاص في هذا الباص، وفي الطريق لاحظت أن العراق قاتمة، خربة ومقفرة وبدت القرى العراقية وكأنها تعيش في عام ٥٠٠ قبل الميلاد: المنازل من الطين، الأطفال حفاة عراة، الحيوانات هزيلة، والشوارع تغص بالمياه القذرة.

وصلنا البصرة في الهزيع الأخير من الليل وألقي بنا في أحد مجمعات الكيماويات والتي تبعد عن البصرة حوالي ثمانية أميال. ووجدنا أن حوالي عشرة رجال يابانيين قد سبقونا إلى هناك. وبوصولنا أصبح عددنا عشرين شخصا وامرأة واحدة هي زوجتي، بني هذا المجمع الضخم على شكل حدوة حصان ويحتوي على حجرات نوم ضيقة كثيرة، حجرة الطعام واسعة وتستغل أيضا كحجرة للجلوس مزودة بجهاز للتليفزيون وطاولة لكرة المضرب (بنج بونج) وطاولة للبلياردو.

كانت القذارة والإهمال منتشرة في حجرات المبنى وحماماته وبدا كل شيء مزعجا ولا أعلم هل هذه طريقة العراقيين لاستقبال «الضيوف»؟ لم تقبل زوجتي تذوق الطعام وتدهورت حالتها الصحية وبدا وجهها يائسا مكتئبا وقمنا بعدة محاولات لتنظيف الحجرة مستعملين في ذلك الصحف والماء وأصابتنا حالات من الإسهال الشديد، ولما كانت دورات المياه مسدودة ولا تعمل فقد أصبح الولوج إليها عملا تشمئز منه النفس. وبعد ثلاثة أيام من هذه المعاناة توسلت إلى الحراس أن ينقلوا زوجتي إلى بغداد. نعم نحن الرجال نستطيع مجابهة هذه المواقف أما بالنسبة للمرأة فكان الوضع مستحيلا.

الآن وقد أصبحت بمفردي بعد ذهاب زوجتي «ماريا» إلى بغداد، قررت أن أبذل ما في وسعي لأحاول تغيير المكان ورائحته، ولهذا حاولت التفاهم مع الحراس، وكانت لغتهم الإنجليزية تسمح بالتفاهم كما أظهروا نحونا كثيرا من الود، وفي غضون أيام قليلة عرفنا نحن والحراس واجبات كل منا، وقام الحراس بمصاحبتنا في جولاتنا الصباحية القصيرة، كان مرافقي في هذه الجولات الحارس أحمد، شاب في حوالي الخامسة والعشرين، مهذب ذو ملامح مبتسمة، وفي أحد الأيام

في أثناء نزهاتنا الصباحية وجدت ملعبا للتنس ولما طلبت منه اللعب معي قال إنه لا يعرف هذه اللعبة ولكن لا مانع لديه من تعلمها. وكانت هذه إحدى الفرص لتمضية الوقت. وبدأت فعلا في تدريب الجميع على لعب التنس وفرح بها اليابانيون وعلمتهم كل قوانين اللعبة واشترى أحمد مضارب وكرات للتنس، وأصبحت هذه اللعبة أحد نشاطاتنا اليومية.

كان الحراس سجناء مثلنا في هذا المجمع الكيماوي، ولذلك تطلعوا لقضاء الوقت مثلنا. ومن الألعاب الأخرى التي قمت بإعدادها لعبة البنجو. فقد قمت بعمل كروت البنجو وأصبحنا نلعبها مرة في الأسبوع، وكانت الجوائز للفائزين عبارة عن قطعة شيكولاته، قطعة صابون.. إلخ وقمت بتعليم اليابانيين اللغة الإسبانية وكانوا في حاجة إليها لسفرهم إلى اسبانيا بعد إطلاق سراحهم، وأخذت أعلمهم اللغة يوميا وأصبحوا على دراية بها وكانوا مجتهدين.. كم أحسست بالسعادة لأن يكون لي مثل هؤلاء الطلاب!

من ناحية أخرى، نُظمت دروس في اللغة الفرنسية، وقام بالتدريس أحد الفرنسيين من المعتقلين معنا وبدأت أتعلم الفرنسية يوميا وهكذا مرت الأيام.. تارة مدرسا وتارة طالبا، وفي المساء يلتئم شمل الجميع ونتشاور ونتحدث في الوضع الراهن ونشاهد التليفزيون المحلي ـ الذي كانت مشاهدته مضيعة للوقت ـ فقد كان صدام حسين يظهر على الشاشة طوال اليوم والناس من حوله تهتف له ـ وفي مناقشاتنا مع الحراس كان لديهم الاستعداد لتقبل جميع وجهات نظرنا ماعدا أي نقد يوجه إلى صدام حسين.. ففي هذه النقطة كانوا معه بنسبة ١٠٠٪ لا يهم ما يقوله ولكنهم موافقون عليه، وتعلمنا لعبة جديدة ـ الكريكت ـ علمها لنا البريطاني «روكو» كما لعبنا الكرة الطائرة التي كان اليابانيون يجيدونها.

في الأشهر الأولى، تحملنا رداءة الطعام كما كان المطبخ قذرا جدا، ولكن بمرور الوقت سمح لنا الحراس بالقيام بأعمال الطهي وقام أحد البريطانيين وكان خبيرا في الطهي بترتيب المطبخ وعملنا تحت رئاسته وبذلك تغلبنا على الإسهال، وقد سمح لهذا البريطاني بالذهاب مع الحراس إلى السوق لشراء الطعام وهكذا مرت الأيام في روتينها المعتاد.

في أثناء الشهر الأخير، نوفمبر ١٩٩٠، سمح لنا العراقيون بالتحدث مع عائلاتنا لمدة ١٠ دقائق أسبوعيا، وعرفت أن زوجتي رحلت إلى الولايات المتحدة كما سمعت صوتها في إذاعة البي بي سي، واعتقدت أنها في إيطاليا كما خططنا من قبل ولكنها ذهبت إلى الولايات المتحدة لرعاية الأولاد. وباقتراب أعياد الميلاد خيم علينا الحزن لقضاء هذا العيد بعيدا عن الأسرة كما كنا نعلم أن الأمم المتحدة قد أنذرت صدام حسين وكان الموعد منتصف يناير. وسعدنا بالإعلان الذي أذاعه صدام حسين بالإفراج عن جميع الأجانب وكان ذلك في العاشر من ديسمبر قبل أعياد الميلاد. وصلت الولايات المتحدة في ١٣ ديسمبر سعيدا بالحرية أخيرا فقد عدت إلى وطني وزوجتي وأسرتي وكان هذا أسعد عيد ميلاد احتفلت به. كان التجوال في الشوارع وفي المدينة دون حراس شيئا عظيماحقا.

لقد فقدنا كل ما نملك في الكويت، كما فقدت وظيفتي، وكلما تذكرت القنوط واليأس اللذين حلا بزوجتي في أثناء فترة الاحتجاز في مجمع الكيماويات، وفي ظل حياة بدائية شكرت الله على نعمائه وعلى ما وهبني من حظ بالرجوع سالما وبجمع شمل الأسرة.

جاك راينهارت

ميسوري

أعيش مع أسرتي بالقرب من مدينة «ستوفر» في ولاية ميسوري الأمريكية، وأعمل بشركة «فاسكو» للصناعات مصمما لأجهزة التكييف لأسواق ما وراء البحار منذ عام ١٩٧٦ .

في ٢٩ يوليو ١٩٩٠ سافرت بمعية «إد جونسون» إلى الشرق الأوسط وكنا في حالة نفسية سيئة طوال هذه الرحلة حيث علمنا أن العراق يقوم بحشد قواته على حدود الكويت، ولكن الجميع كانوا يعتقدون أن العملية مظهرية ولن يقوم العراق بالهجوم. وبالنسبة لـ «إد» فقد زار المنطقة عدة مرات طوال الـ ٣٥ عاما الماضية ليقوم بتسويق منتجات الشركة ولديه خبرة واسعة بتاريخ هذه المنطقة، ولذلك فكان رأيه أن العراق تضغط لابتزاز الأموال من الكويت. . ولكننا كنا على خطأ وأصبحت مدة زيارتنا للكويت التي لم تكن تتعدى ثلاثة أيام كابوسا ثقيلا لا نعرف له نهاية.

أقمنا بفندق «ساس» بالكويت واستمرت اجتماعات العمل حتى بداية أغسطس وفي هذه الليلة عند وصولي إلى فندق ساس كنت متعبا لدرجة أنني ذهبت إلى النوم مباشرة وفي الصباح استيقظت على محطة الـ سي إن إن وهي تعلن أن العراق قد شن هجوما ضخما على الكويت وفي ظرف ساعات سقطت الدولة الصغيرة بين براثن الجحافل العراقية.

من حجرتي في الدور الثالث بفندق «ساس» استطعنا ـ أنا و«إد» ـ مشاهدة عشرات الدبابات العراقية وهي تشق طريقها عبر الطريق السريع

وهي تجتاح السيارات المدنية ملقية إياها يمينا ويسارا، وبعد فترة توالت المئات من القوات العراقية المزودة بالأسلحة الآلية وأقاموا معسكرا في المنطقة الفضاء بالقرب من الفندق، كما شاهدنا حوالي ثماني عشرة طائرة هليوكبتر تلقي بقنابلها على مطار الكويت وفي مدينة الكويت تصاعدت ألسنة الدخان الأسود إلى عنان السماء، وطوال الأيام الأولى للغزو كنت تسمع أصوات الانفجارات وطلقات المدافع باستمرار. وفي أيام الغزو قتل المئات من الناس في الكويت.

وعلى طول شاطئ الخليج، تمركزت الدبابات العراقية مصوبة مدافعها باتجاه الشاطئ، وقامت فرق عراقية أخرى بإقامة قواعد للمدافع المضادة للطائرات وبنت المخابئ من الأحجار، وكان من الواضح أن العراقيين يتوقعون تدخلا أجنبيا.

وفي صباح اليوم التالي، أقام العراقيون بطارية صواريخ على ناصية فندق «ساس» وأطلقت هذه القاعدة عدة صواريخ باتجاه قاربين صغيرين كانا يمخران مياه الخليج، ومرت الصواريخ على بعد قدم واحد من نافذة حجرتي وانفجرت في الجو فوق القاربين، ومن حسن الحظ أن القاربين لم يصابا بسوء واستطاعا الهرب.

اتصلنا بالسفارة الأمريكية التي نصحتنا بالبقاء في الفندق وألا نحاول الظهور للعيان بقدر الإمكان، وكان في اعتقاد وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت أن العراق ستسارع بسحب قواتها من الكويت في غضون أيام قليلة. ولكن طوال الأيام التالية لم نكن نشاهد إلا مزيدا من الجنود العراقيين بكامل تجهيزاتهم يفدون إلي المكان ويتحركون باتجاه الجنوب صوب المملكة العربية السعودية.

استطعت مخاطبة زوجتي وبناتي قبل قطع الاتصالات الهاتفية الدولية وطمأنتهم وأقنعتهم أن الأمور ليست سيئة بالنسبة لنا، وكانت حالتهم النفسية سيئة خاصة أن الإذاعات ومحطات التليفزيون كانت تنقل أخبار الكويت أولا فأولا ووعدتهم بأنني سأحاول العودة في أقرب فرصة سليما معافى . . وكنت على خطأ مرة أخرى!

من أولى قواعد السلامة ألا تحاول مراقبة ما تفعله القوات العراقية، ولكني ضربت بهذا التحذير عرض الحائط، وقد أطلق العراقيون النار عليّ أكثر من مرة لمحاولتي مراقبة معسكرهم الذي أقاموه بالقرب من الفندق، وفي أحد الأيام شاهدت الجنود يوقفون أحد رجال الأعمال الإيطاليين المقيمين معنا في الفندق ويلقون القبض عليه إذ تجاسر وحاول استكشاف معسكرهم من فوق سطح الفندق وأطلق الجنود عليه النيران ثم ألقوا القبض عليه وهو ممدد على سطح الفندق، كانت الدماء تنزف من ذراعيه وركبتيه أما ملابسه فكانت ممزقة وشعرت بالأسى لهذا الرجل حيث بدت على وجهه مظاهر الرعب وتدخل مدير الفندق وحاول الاعتذار عن موقف هذا الإيطالي وأخيرا قام الضابط العراقي بتأنيبه باللغة العربية وأخلى سبيله.

من الممنوعات أيضا التي فرضها العراقيون ألا يقوم أحد بالتقاط الصور للقوات العراقية، ولذلك قمت بإخفاء الفيلم الذي التقطته لبعض أحداث الغزو في إحدى أواني الزرع خاصة بعد أن علمت أن بعض الأفراد حكم عليهم بالإعدام لقيامهم بالتقاط بعض الصور الفوتوغرافية للعراقيين. وعند تحميض الفيلم وجدت أنه غير صالح ومن الواضح أنه قد تلف نتيجة لدفنه في آنية الزرع وللحرارة الشديدة وربما من الحرائق التي اشتعلت بالفندق في أثناء تراجع العراقيين.

ومن الفظائع التي ارتكبها العراقيون أيضا أن تم اغتصاب إحدى المضيفات العاملات بشركة الخطوط الجوية البريطانية التي كانت تقيم بالفندق نتيجة لتوقف الرحلات الجوية من مطار الكويت، وقد أعلنت العراق فيما بعد عن إعدام من قام بعملية الاغتصاب خاصة أن السيدة مارجريت تاتشر أدانت هذا الاعتداء. ومن الأمور العجيبة حقا أن العراق قامت بإعدام هذا المغتصب كما قامت من قبل بإعدام أحد السارقين وعلقته في سارية إحدى عربات النقل بينما كانت جرائم السلب والنهب والاغتصاب منتشرة في الكويت وكان يقوم بها الضباط من كل الرتب، ولذلك فإن الإعلان عن عقوبتي الإعدام هاتين كان لمجرد ذر الرماد في الأعين ونوعا من الدعاية أيضا لإخفاء جرائم العراق الوحشية.

في الأسبوعين التاليين وصلنا من بغداد سيل جارف من الأخبار المشئومة التي تنذر بالسوء، ولم نكن ندري ما يخبئه لنا القدر من لحظة لأخرى، وفي الوقت الذي كان فيه زملائي المقيمون في الفندق يلعبون كرة الطاولة أو الورق أو يفكرون في الفرار، أقمت في حجرتي أستمع إلى الإذاعات الخارجية ولذلك حاولت تحليل وإدراك كل مفردة تصدر عن الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة أو عن صدام حسين، وأخيرا وصلت إلى اقتناع بأن احتلال العراق للكويت لن يكون لأمد قصير، ولذلك فإن الإدانات الدولية للانتهاكات العراقية وانتشار قوات الأمم المتحدة في السعودية كانت تعني أننا وقعنا أسرى خلف خطوط العدو.

لقد أيقنت أن الهرب هو الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة خاصة بعد أن أعلن صدام حسين احتجاز الأجانب الغربيين واستعمالهم كدروع بشرية ضد أي هجوم تقوم به الولايات المتحدة، وفي ١٦ أغسطس قام أربعة من المجموعة التي تقيم بالفندق بمحاولة الهرب إلى العربية

السعودية وكنت واحدا منهم، وبعد ساعات قليلة من الهرب غرزت سيارتنا في رمال الصحراء ولم نعرف تحديدا المكان الذي كنا به وكان الموقف مثيرا حقا، ومع ذلك كان زملائي يتمتعون بقدر كبير من الهدوء ولم أكن مثلهم فالطقس حار جدا وكان من المستحيل العودة سيرا على الأقدام وحاولنا رفع السيارة وتخليصها من الرمال ولكن ذهبت كل محاولتنا أدراج الرياح. ومن سخريات القدر أن نجدتنا جاءت على يد الجنود العراقيين فقد رصدتنا إحدى الدوريات العراقية وشهرت أسلحتها في وجوهنا وفي هذه اللحظة فقط شعرت بإحساس غريب، شعرت بالهدوء التام!

اقترب الكابوس الذي وقعنا فيه من نهايته، وأبلغ سائق السيارة العراقي الضابط بأننا حاولنا الهرب إلى السعودية، وأفادنا الضابط العراقي بأنه يستحيل علينا الذهاب إلى السعودية وقام هذا الضابط وجنوده بتخليص سيارتنا من الرمال ثم دعانا لنسير خلفه إلى المدينة.

وفي محاولة أخرى رافقتنا إحدى المجموعات المجهزة تجهيزا جيدا وحاولنا الهرب من جديد، وفي هذه المرة صادرت القوات العراقية السيارة الجيب وأعادتنا إلى الكويت. وكانت هذه آخر مرة حاولت فيها الهرب.

في الثامن عشر من أغسطس جاء بعض أفراد السفارة الأمريكية إلى فندق ساس وأخبرونا أن العراقيين يجمعون الأجانب الغربيين في الباصات. وكانت هذه بداية برنامج «الدروع البشرية» وعرضت علينا السفارة اللجوء إليها وقبلنا ذلك بكل سعادة، وتكومنا أحد عشر شخصا في سيارة صغيرة وذهبنا إلى هناك وأصبحت حجرتي الجديدة هي مقعد طويل من القماش أتمدد عليه أمام حمام السباحة!! وكان لدينا تليفزيون

وطاولة للعب الورق وطاولة للعب البلياردو وهنا شعرت بالعزلة الكاملة وأصبحت بعيدا عن الحرب التي تدور في الخارج، وحذر الرئيس بوش من أن أي اعتداء على السفارة الأمريكية سيقابل برد فعل عنيف من قبل الولايات المتحدة، وكنت على يقين من أن ذلك لن يحدث، وعلى أية حال فإن الحياة في السفارة كانت أفضل من تلك الأيام الستة عشر التي قضيتها في فندق ساس.

ومن سبل الراحة الأخرى التي توافرت لنا في السفارة الاتصال من وقت لآخر بعائلاتنا عن طريق الفاكس الذي قمنا بإرساله إلى واشنطن وأصبحت هذه الرسائل شريان الحياة بالنسبة لي في الأشهر التالية وحفظت عن ظهر قلب كل كلمة فيها وغالبا ما أحسست بالضيق والألم إذا توقف استلام الرسائل من الأسرة.. ولم أكن مغاليا في الرسائل التي أرسلتها إلى الأسرة، ولم أحدثهم عن متاعبي وآلامي فيكفي ما هم فيه من مشكلات ويكفينا الحياة بعيدا عن بعضنا البعض.

في ١٨ أغسطس ١٩٩٠ أمر صدام حسين بإغلاق جميع السفارات في الكويت ـ وقد أطاعت معظم الدول قرار صدام حسين ماعدا الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وعدة دول أخرى تحدت قرار صدام، وقام صدام بقطع خدمات الماء والكهرباء وإمدادات الطعام عن تلك السفارات وحاصر الجنود العراقيون مباني هذه السفارات ومنعوا دخول أو خروج أي شخص منها، وأبلغت السفارة وزارة الخارجية أننا لن نستطيع الحياة أكثر من عشرة أيام في ظل هذه الظروف.

وصل القس «جيسي جاكسون» إلى العراق واستطاع أن يحرر بعضا من الأفراد كبار السن والمرضى وبالتالي قل عددنا إلى ٨ دبلوماسيين و١٩ موظفا أمريكيا مدنيا بالسفارة، وكان «إد» من بين أفراد هذه المجموعة التي رحلت في أول سبتمبر، وبالتالي قل استهلاك الطعام والماء مما أفادنا كثيرا.

كـان الأفـراد الذين يقيـمـون في «مـعـسكر السـفـارة» خليطا من عـدة وظائف، فكان منهـم الكهـربائي، والكيـمـيـائي، مـهندسـون مـدنيـون وميكانيكيون، وطبيب ووزير، وأصـبح لدينا هدف واحد مـشترك: أن تظل السفارة مفتوحة يرفرف عليها العلم الأمريكي وأحسسنا بيقين أنه إذا ما أقفلت السـفـارة وتوقف العـمل بهـا، فسيلقى بنا في أيدي العـراقيين، وفـضلنا - إذا مـا اشـتـعلت الحـرب - أن نواجـه الموت في الكويت بدلا من الاستسلام والوقوع أسرى في أيدي العراقيين لفترة لا يعلم مداها إلا الله.

وقام السـفير الأمريكي «ناثنيال هول» بتوزيع الأدوار على كل فرد منا حتى نقـاوم الحصـار المضـرب علينا. ولذلك قام المهندسون بمد الأسلاك الكهربائية إلى غرفة التحكم وبذلك أمكنهم تشغيل الثلاجات والأدوات الكهـربائية الأخرى عـن طريق مـولدات الطـوارئ، واستطاع مـهندسـون آخرون وضع نظام سباكة جديد داخل السفارة تم بمقتضاه توصيل خراطيم الحريق إلى دورات المياه واستطعنا بذلك الحصول على المياه للاستحمام وللأغراض الأخرى، وقـام آخرون بتجفيف وتدخين اللحوم حتى تعيش أطول فترة ممكنة، وتمكنا من تخزيـن ٩٠ ألف جالون مياه صالحة للشرب داخل السفارة وقد قام أحد الأمريكيين (من أوهايو) وكان إنسانا طموحا بحفر بئر في حديقة السفارة وزودنا بالماء لأغراض الغسيل والاستحمام. أقمنا مصايد لاصطياد الحمام، وزرعنا الحديقة بالخضراوات.

ولولا الطاقة الكهربائية التي وفرناها لفسد الطعام في السفـارة، وكان لدينا عدة آلاف من المعلبات مثل التونة، مئات الأرطال من الأرز، علب الحليب المجـفف، وعلـب الكورن فليكس، والبـهـارات مـثل الطمـاطم والصلصـة الحـارة، وكـان بالسـفـارة ثلاثة طبـاخين لهم باع طويل في فن الطبخ قدموا لنا طعاما ذا مذاق رائع.

وبعد أسابيع من العمل الشاق استطعنا أن نعيد حديقة السفارة إلى رونقها وبدأت تنتج الخضراوات التي قمنا بزراعتها وكانت تستمد المياه من البئر التي قمنا بحفرها وبحلول عيد الشكر أصبح لدينا الطماطم والبازلاء والبصل والخس والفجل.

ربما تكون الحياة في السفارة شاقة إلى حد ما في ذلك الوقت، ولكننا تمتعنا ببعض الرفاهية: قد حوّلنا مراوح رادياتيرات السيارات إلى مراوح في المبنى تزودنا بالهواء واستخدمنا السيور في تسخين المياه التي ساعدتنا على الاستمتاع بالحمام الساخن في نوفمبر. وبقيادة السفير «هول» أعددنا العدة للبقاء في السفارة في فترة الحرب وهكذا بدأنا في تحصين السفارة بأكياس الرمال التي صنعناها من أكياس البريد البرتقالية اللون ووضعنا الخزائن الحديدية التي كانت في السفارة خلف الأبواب، كما أخذنا الطاولات الثقيلة ووضعناها خلف النوافذ، ووضعنا معظم الطعام في مخبأ السفارة بالإضافة إلى المواد الطبية وأدوات الحمام وأقنعة الغاز والماء، واستطعنا أن نضع على سطح السفارة اثنين من مكبرات الصوت وتم توصيلها بالأسلاك إلى المخبأ وبالتجربة استطعنا أن نعرف أن أصواتنا يمكنها الوصول إلى عدة أميال خارج السفارة، لم أفهم حتى الآن الأسباب التي دعت السفارة للقيام بهذا الإجراء.

في أواخر أغسطس ١٩٩٠، أعلن صوت أمريكا أن العراق سمحت لزوجات الأجانب الغربيين وأبنائهم بمغادرة العراق، وبدأت الاتصالات الهاتفية تترى على السفارة وأخذنا في شرح تفصيلات إجراءات السفر لكل من اتصل بنا من الأجانب وكانت النقطة الأساسية أن يكون لدى الشخص جواز سفر معتمد وحجزنا لهم التذاكر وسار العمل على مدار الساعة في ظروف جوية خانقة، ولكننا أنجزنا عملنا علي مايرام وقمنا

بترحيل مايقرب من ١٨٠٠ سيدة وطفل من الكويت في أثناء الاحتلال العراقي لها.

أصبح الرد على الهاتف ممتعا حقا، بالرغم من أن بعض المتحدثين قد أغلظوا لنا في القول حيث لم تعجبهم ردودنا، وعلى سبيل المثال أخبرت إحدى السيدات الأمريكيات أن والدتها المسنة عراقية الجنسية لا يمكن ترحيلها، كما أننا لم نستطع مساعدة اثنين من الآباء العراقيين ممن استطاع أبناؤهما الحصول على الجنسية الأمريكية. وطلبت بعض العائلات الأخرى المساعدة (معظمهم من الأردنيين والفلسطينيين) ولكن لسوء حظهم لم نستطع مد يد المساعدة لهم طبقا لأوامر صدام.

ومن الأمور الأخرى التي واجهناها، أن بعض السيدات الأمريكيات اللائي كن في الخارج عندما وقع الغزو العراقي للكويت، عدن إلى الكويت بصحبة أطفالهن طمعا في الحصول على أغراضهن والعودة مرة أخرى إلى بلادهن، وبالرغم من غباء ماقاموا به فلم يكن أمامنا من خيار إلا مساعدتهن على جمع أغراضهن وترحيلهن من الكويت.

بعد الانتهاء من عملية الإجلاء، استمرت عملية تلقي مكالمات الأمريكيين المختبئين في الكويت وقمنا بعملية تبادل الرسائل بينهم وبين أسرهم ومن خلال هذه العملية كونت عدة صداقات مع بعض من هؤلاء الأمريكيين، وكانت طلبات بعض منهم غريبة إلى حد ما. فقد طلب مني أحدهم أن أرسل له قصيدة غرامية لزوجته وكانت نبرات صوته يعلوها الارتباك في أثناء قراءته للقصيدة، ثم أخذ يضحك في أثناء قراءتها وتبادلنا معا الضحك، وللحق كانت قصيدة جميلة. وحادثني شخص آخر يعيش بمفرده بعد أن غادرت زوجته الكويت وأخبرني أن مزرعته بالقرب من مزرعتي واتفقنا على أن نتقابل بعد أن تزول هذه

الغمة في ميسوري ونتناول الشراب معا ولكن سمعت في ١٧ نوفمبر أن العراقيين قد اكتشفوا مخبأه وألقي القبض عليه وشعرت بالأسى لما حدث له ولحسن الحظ تقابلنا سويا بعد ذلك وغادرنا الكويت معا في ديسمبر قبل أعياد الميلاد، رجل ثالث ملأني حديثه غيظا ففي أثناء الحديث معه قال لي إنه يهاتفني من منزله المكيف وقال لي بالحرف الواحد: «إنني هنا آمن تماما في مخبئي، . ولكن سيأتي اليوم الذي سيقوم فيه العراقيون بالقبض على كل من في السفارة وإعدامهم». أحسست بالغيظ من حديثه واعتقدت أنه على صواب.

أعلن صدام حسين عقوبة الإعدام لكل من يقوم بإخفاء الأجانب الغربيين أو التستر عليهم. كما أعلن صدام في السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٩٠ أن المدنيين الـ ١٩ المقيمين بسفارة الولايات المتحدة في الكويت (يقصدنا نحن) قد حكم عليهم بالإعدام. وفي الحال وكنوع من السخرية قمنا برسم لوحة بيّنا بها نوعية الحبال وحجم الأنشوطة التي تلائم رقابنا حتى يهتدي بها السفاح في جز رؤوسنا.

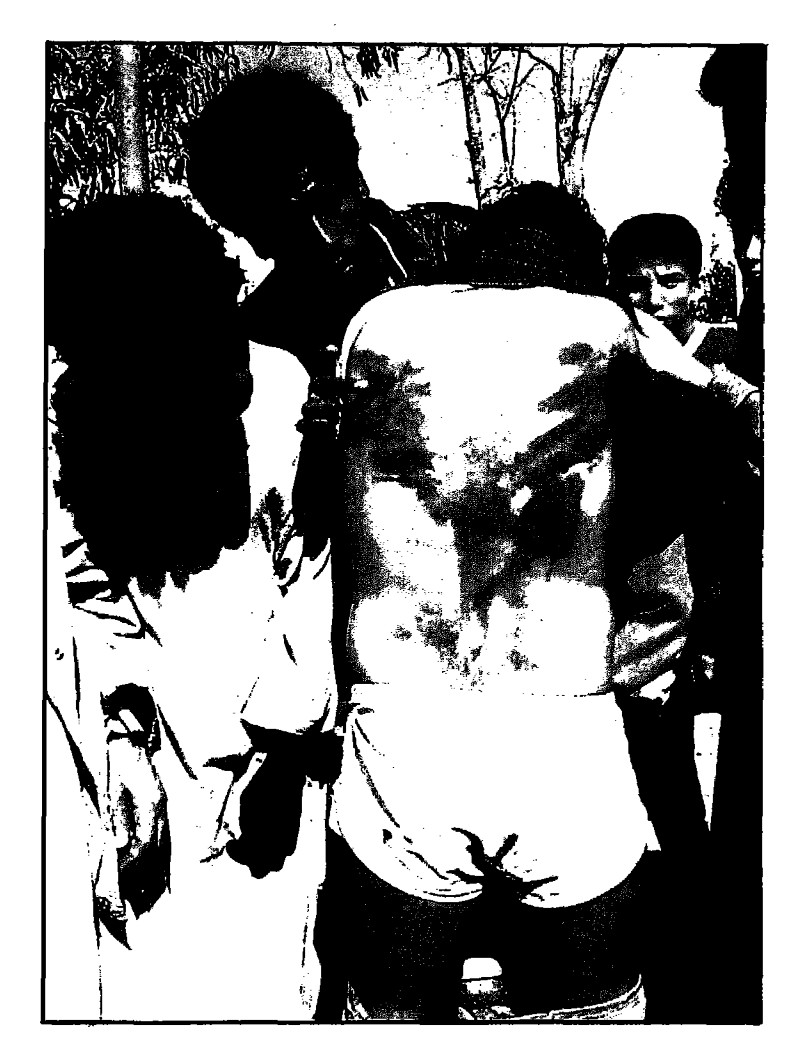
لست عالما نفسيا، ولكن لا أستطيع أن أفسر الأسباب التي دعتني إلى أخذ كل تهديد يوجه إلينا على محمل «النكات». . وللحقيقة ، وكما يعلم كل إنسان لا أحد يستطيع التحكم في مصيره، ولذلك فقد رأينا أن أفضل شيء لمواجهة هذه المواقف أن نقابلها بسخرية وألا نجعلها تؤرقنا وتفسد علينا حياتنا.

أعلن صدام حسين في منتصف ديسمبر إطلاق سراح جميع الرهائن محاولا بذلك ضرب عصفورين بحجر واحد: اكتساب شعبية لدى الدول الغربية، وإزالة الصورة السيئة التي يعرفونها عنه. كذلك محاولة النيل من التأييد والشعبية التي نالتها قوات التحالف ولكن هذه كانت

إضافة جديدة إلى السلسلة الطويلة من الحسابات الخاطئة التي ارتكبها صدام حسين.

وفي التاسع من ديسمبر غادرنا السفارة في طريق العودة إلى الوطن.

عندما أفكر في هذه الأيام.. أرجع بذاكرتي إلى هؤلاء الذين حاولوا السيطرة علينا وإدارة شؤوننا من فندق هيلتون انترناشيونال (مقر القيادة العراقية المحتلة): لقد أرادوا لنا الموت جوعا ولكننا زرعنا حديقة السفارة بالخضراوات، كان من المقدر لنا ألا نقاوم حرارة الجو الشديدة والحياة دون ماء، ولكننا حفرنا بئرا في السفارة زودنا بالماء، اعتقدوا أن الضغط الذي مارسوه علينا سيجعلنا نمسك بتلابيب بعضنا البعض، ولكننا أقمنا الحفلات واستمتعنا بعرض الأفلام كل ليلة وكان الشراب متوافرا، نعم لم يهزمنا العراقيون. لقد كان إصرارنا على مقاومتهم ومحاربتهم إذا حاولوا الهجوم علينا وكان رفضنا الإذعان لإرهابهم مقدمة لأشياء أخرى حدثت فيما بعد.



أحد ضحايا التعذيب العراقي

جاي أولان سيجو

تنيسي

بدأت العمل في الكويت عام ١٩٧٨ موظفا بشركة «رايثيون» وظللت أعمل فيها حتى الشهور السبعة الأخيرة من عام ١٩٨٤ حيث التحقت بالعمل مهندسا لأنظمة الدفاع الجوي بالقوات الجوية الكويتية.

في صباح الثاني من أغسطس ١٩٩٠ الساعة الخامسة والنصف صباحا خرجت من منزلي في الفنطاس إلى بيت صديقي «بني ميتشل» في «أبو حليفة» لاصطحابه للعب الجولف، وهناك أخبرني صديقي أن تقارير الـ سي إن إن تقول إن العراق هاجمت الكويت، فعدت إلى بيتي مباشرة بعد سماع هذه الأنباء وقمت بإتلاف جميع الأوراق التي تدل على مهنتي وأعددت حقيبة السفر ثم عدت إلى شقة ميتشل بسيارتي التويوتا متجنبا الطرق الرئيسية التي بدأ العراقيون يظهرون بها، وخاطبنا زميلنا في العمل «لويد كليرستون» لكي يصاحبنا في رحلتنا خارج الكويت. وفعلا انضم إلينا من شقته التي كانت تقع بالقرب من فندق ساس.

أصبحنا الآن على استعداد للرحيل: ميتشل وزوجته جوكلين وطفلهما البالغ من العمر عشرة أشهر، وكلبرستون البالغ من العمر ٧٥ عاما وأنا. وبعد إعداد السيارتين، اقترح ميتشل الاتصال بالسفارة الأمريكية التي أبلغتنا ـ مثلما أبلغت جميع الأمريكيين الآخرين ـ بالأوامر الرسمية: «على جميع الأمريكيين البقاء في أماكنهم والاستماع إلى إذاعة صوت أمريكا لتلقي التعليمات» وبناء على ذلك قررنا اتباع أوامر وزارة الخارجية الصادرة لنا من السفارة، وقررت العودة مع كلبرستون إلى مساكننا ونقل جميع المواد الغذائية التي لدينا إلى شقة ميتشل.

وعند العودة إلى المنزل وجدت مذكرة من «توم كروزمان يبلغني فيها ضرورة الذهاب إلى القاعدة الجوية من أجل المعاونة في أنظمة صواريخ هوك وأنه هو نفسه (كروزمان) قد سبقني إلى هناك. وبعد ذلك قمت بجمع كل المواد الغذائية التي لدي ومذكرة كروزمان وذهبت إلى ميتشل وأطلعته على مذكرة قاعدة الدفاع الجوي وقررنا معا الذهاب إلى هناك. ولم نستطع الوصول إلى القاعدة حيث كانت القوات العراقية قد سيطرت على المنطقة.

احتلت العراق الكويت بكاملها. وللحقيقة يجب أن نقول إن الكويتيين قد أخذوا على غرة، فلم يكن أحد يتصور أن جارتهم العراق الشقيقة العربية المسلمة التي وقفوا معها في كل أزماتها وأمدوها بالمعونات المالية التي بلغت المليارات ستقوم بهذا العمل الغادر، ولذلك لم يعد الكويتيون العدة ولم يقفوا على أهبة الاستعداد للتصدي لهذا الهجوم. كما أن المفاوضات التي كانت جارية مع العراقيين في جدة للتوصل إلى حل سلمي لهذه الأزمة التي افتعلتها العراق أسهمت في استبعاد احتمال عدوان عسكري عراقي، ومن ثم العمل على الاستعداد لمواجهته، ولكن بعد الغزو العراقي الضاري على الكويت سارع الكويتيون إلى مقاومة العراقيين عن طريق العمل السري فيما سمي بالمقاومة الكويتية وقد ساعدت المقاومة الكويتية الكثير من الأجانب الغربيين على الاختفاء وإن عرضوا في ذلك حياتهم للخطر.

اشترينا البطاطس والأرز والمعلبات من المخازن التجارية الكائنة بمنطقة «أبو حليفة» وبدأت المواد الغذائية تختفي من السوق بسرعة حيث قام جميع الأفراد بتخزينها لمواجهة هذه الأيام العصيبة. اختبأنا في شقة ميتشل وأخذنا نعد العدة للهرب للمرة الثانية، وللمرة الثانية طلبت إلينا

السفارة البقاء والاستماع إلى إذاعة صوت أمريكا لتلقي تعليمات المغادرة وبالتالي أصبح الأمل يحدونا بقرب مغادرة البلاد واعتقدنا أن المفاوضات جارية بين السفارة والمسؤولين العراقيين لترتيب أمور الرحيل وحتى ذلك الحين أطعنا تعليمات السفارة.

وأخذنا في مراقبة القوات العراقية وهي تواصل إقامة التحصينات في المنطقة بطول الساحل وأقام العراقيون أيضا المتاريس وأخذوا يوقفون السيارات ويلقون القبض على الكويتيين الذكور تاركين النساء والأطفال يتدبرون أمورهم، وعندما تمتلئ شاحنة بالكويتيين الذكور تغادر إلى جهة غير معلومة، وكانت هذه أول مرة نرى فيها على الطبيعة كيف يتم احتجاز الرهائن.

بدأنا في ترشيد استهلاك الماء والطعام حتى يحين وقت الرحيل عن البلاد، وكان المخزون لدينا يكفينا من ثلاثة إلى أربعة أسابيع، وحاول البعض سرقة سيارتي التويوتا فكسرت عجلة القيادة في أثناء محاولة السارق فتح القفل وحاولت إصلاحها فلم أكن أتحمل فقدان السيارة.

قامت القوات العراقية المسلحة بسرقة المحلات التجارية ونهبها في المنطقة وخاصة مخازن المواد الغذائية، وأخذت سيارات النقل العراقية تفد إلى المنطقة ويتم تحميلها من قبل بعض الأفراد تحت تهديد السلاح. ومن المكان الذي كنا نختبئ فيه شاهدنا الجنود العراقيين يجمعون بعض الأفراد من إحدى دول العالم الثالث ويهددونهم بالإعدام إذا لم يمتثلوا للأوامر ويقوموا بتحميل اللوريات، كما استمرت عملية القبض على الكويتيين الذكور وأخذهم كرهائن.

في السادس من أغسطس عاودنا الاتصالات الهاتفية مع السفارة

وعرفنا أن عددا كبيرا من الأمريكان الذين كانوا يقطنون بمنطقتنا قد هربوا منها في أثناء الليل، وقام العراقيون بتفتيش المنازل بحثا عن الأجانب الغربيين وأصبح لدي إحساس أن العراقيين يعرفون مكاننا وأنه بمقدورهم اعتقالنا في أي وقت يشاءون فور تلقيهم الأوامر بذلك. وسرت بعض الشائعات عن أن الحدود الشمالية قد فتحت وأن بعض الأمريكيين قد حاولوا الهرب ولكن ألقي القبض عليهم وأعيدوا إلى مساكنهم.

في التاسع من أغسطس ١٩٩٠ وبناء على أوامر من السفارة، ذهبت إلى محل إقامة «ليدفورد» حيث طلب إليه تقديم تقرير حول وضع أنظمة صواريخ هوك للدفاع الجوي، وعند عودته من السفارة أخبرني بأنه من الأفضل ترك الشقة والإقامة في السفارة حيث إن الوضع بها آمن وأن كلا من ميتشل، وكلبرستون وكروزمان قرروا الإقامة هناك وعلي الانضمام إليهم وطلب مني التخلص من جميع الوثائق التي بحوزتي والبطاقة المدنية ورخصة القيادة وجميع الأوراق الأخرى التي تدل على هويتي وهوية من كنت أعمل معهم كمستشار لدى حكومة الكويت، كما كان عليّ أن أذهب إلى السفارة بحقيبة واحدة وحمل كل ما أستطيع من مواد غذائية، وأخبرني أيضا أن العراقيين قد استولوا على بطاريات صواريخ هوك ومخازن الصواريخ وأنهم لا محالة يبحثون عنا الآن لتشغيل أنظمة هذه الصواريخ، وبالتالي وافقنا جميعا على إرشادات السفارة وانتقلنا للإقامة بها في العاشر من أغسطس ماعدا «كروزمان» الذي فضل البقاء في مخبئه في منطقة سلوى. وفي السفارة قام كل منا بأداء بعض الأعمال التي أوكلت إليه وظللت هناك حتى ٢٣ أغسطس ١٩٩٠.

في الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٩٠ أعلنت الحكومة العراقية أنها لا تعترف بوجود السفارة الأمريكية في الكويت وأن الذين يقيمون بها

سيتم إلقاء القبض عليهم، وبالتالي فقد عرضت علينا السفارة بعض الطعام والشراب ومغادرة السفارة لمن يريد ذلك واللجوء إلى عناصر المقاومة الكويتية لمساعدتنا على الاختفاء كما قدمت لنا بدائل أخرى كأن يكون كل فرد منا مسؤولا عن نفسه.. أو اختيار البديل الأخير وهو البقاء في السفارة مع السفير إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وبناء على بعض المعلومات التي توافرت لدينا فقد غادرت أنا ولدفورد السفارة الساعة الواحدة مساء وحاولنا الهرب في اتجاه الجنوب ولكننا لم ننجح وعدنا مرة أخرى إلى السفارة، وأخيرا قررنا العودة إلى شقة «ليدفورد» في أبوحليفة ولحق بنا «جيري ويلز» وزوجته. وبدأنا في التخطيط للهرب بطريقة جديدة تماما تختلف عن المحاولات السابقة.

غادرنا «أبوحليفة» في الخامس والعشرين من أغسطس في سيارتين: أسرة جيري ويلز في السيارة الأولى وتبعناهم ـ أنا وليدفورد ـ في السيارة الأخرى واتجهنا إلى الشمال آملين في اختراق الصحراء إلى السعودية، ولكن للأسف الشديد لازمنا سوء الحظ فقد ألقى العراقيون القبض علينا. وألقى العراقيون بكل من جيري ويلز وليد فورد وأنا في إحدي السيارات العسكرية، أما السيدة ويلز فقد احتجزت خلف الجنود العراقيين ورغم احتجاجاتنا فقد أجبرنا تحت تهديد السلاح على تركها واقتادنا الجنود إلى المركز الرئيسي للقيادة العسكرية، وبعد إلحاح وإصرار منا أرسل أحد الضباط العراقيين في طلب السيدة ويلز والسيارتين اللتين كنا نحاول الهرب بهما. وعند وصول السيدة ويلز أخبرتنا أنها تعرضت لألفاظ بذيئة ومضايقات وإيحاءات جنسية.

تعرضنا للاستجواب لمدة ساعتين من قبل العراقيين: عن المكان الذي نتجه إليه، هوياتنا، المكان الذي نعمل فيه، أسمائنا.. إلخ. وبعد ذلك

نُقلنا إلى السفارة العراقية بمدينة الكويت وهناك قاموا باسجوابنا مرة أخرى وفتشوا حقائبنا ووجهوا ألفاظا وإيحاءات جنسية إلى السيدة ويلز باللغة العربية.

بعد الاستجواب وضعنا في سياراتنا التي قادها سائقان مدنيان وقام بحراستنا أحد المدنيين وكان شاهرا سلاحه الرشاش ويبدو أنهم كانوا على علم بالطرق في الكويت فقد اقتادونا مباشرة إلى فندق حياة ريجنسي بمنطقة البدع. وبعد إنزال الحقائب غادر الجميع بسياراتنا التي لم نرها مرة أخرى.

في الفندق أعاد العراقيون استجوابنا للمرة الثالثة بدقة تامة، وفي أثناء ذهابنا إلى الغرف الخاصة بنا تعرف عليّ أحد العاملين بالفندق وأبلغ السفارة بما حدث لنا عن طريق أحد الأستراليين ويدعى «جون ليفنز» وأن العراقيين سيقومون بترحيلنا إلى بغداد، وفي الفندق اكتشفنا أن متاعنا قد نهب في أثناء وجودنا في السفارة العراقية.

في الساعة الخامسة تقريبا من صباح يوم ٢٦ أغسطس ١٩٩٠ أيقظنا العراقيون وطلبوا منا الاستعداد في ظرف ثلث ساعة للرحيل إلى بغداد، ووجدت في معيتنا أمريكيين وبريطانيين آخرين وبلغ عددالمجموعة المرحلة إلى بغداد حوالي ٢٨ فردا. وفي بهو الفندق طلب مني أحد الإداريين الرد على الهاتف وكان المتحدث «جون ليفنز» وأخبرني أنه تلقى قائمة بأسماء جميع الأفراد الذين وضعوا رهن الاحتجاز وأنه أرسل هذه المعلومات إلى جميع السفارات المعنية، وبالتالي أرسلها إلى الجهات المختصة وستقوم بإبلاغ عائلات الرهائن للاطمئنان عليهم، وهكذا علمت أسرتي بما حدث لي، وقد أخبرت «ليفنز» على الهاتف أن يخبر الجميع أنه يستحيل على فرد الهرب دون دليل. ومن هذه المكالمة الهاتفية

اتضح لي أن العاملين بفندق حياة ريجنسي كانوا على صلة بالسفارة الأمريكية ويقومون بإبلاغها بالأحداث أولا فأولا كما كان للسفارة عيون أخرى في مناطق كثيرة في الكويت وكلها على صلة بالمقاومة الكويتية.

صدرت إلينا الأوامر بركوب أحد الباصات واتجه بنا إلى فندق الميريديان حيث انضم إلينا عدد آخر من المعتقلين الغربيين ثم واصلنا الطريق إلى بغداد تحت حراسة مشددة، وفي أثناء مرورنا بشوارع مدينة الكويت شاهدنا الدمار والنهب الذي حل بالمدينة وتحولت المدينة النظيفة الأنيقة إلى مكان قاحل يبعث على الأسى والحزن.

في طريقنا إلى بغداد، مررنا بأعداد كبيرة من الشاحنات المحملة بالمواد المنهوبة من الكويت: السيارات التي تحمل لوحات الكويت منقولة إلى العراق، أثاث المنازل والثلاجات وأدوات كهربائية أخرى منها الجديد والمستعمل، الأجهزة الثقيلة، كالمولدات والمطابع، كل شيء تقريبا كان يتجه إلى العراق.. لقد قام العراقيون بإفراغ الكويت من كل ما بها. كما شاهدنا في الناحية الأخرى من الطريق الشاحنات الفارغة متجهة إلى الكويت لمواصلة أعمال النهب.. كانت أعمال النهب والسلب تتم على ما يبدو طبقا لعملية منظمة مرسومة بدقة، واعتقدت أنه لو استطاع العراقيون تفكيك المنازل ونقلها إلى العراق لما ترددوا في ذلك.

توقف الحراس في إحدى المدن الصغيرة شمال البصرة في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر لتناول الغداء، ونزلنا في أحد الفنادق ولكن لم يقدم لنا أي نوع من الغذاء، وقام بعض من الزملاء بشراء عدد من الوجبات الخفيفة على حسابه الخاص، وتناولناها معا. وأخيرا وصلنا إلى بغداد حوالي الساعة التاسعة مساء، وأدخلنا أحد الفنادق هناك وقد امتلأ بالحراس.. على السلالم وأمام المصاعد وفي الردهات.. في كل مكان

في الفندق يواجهك الحراس المدججون بالسلاح . . وأخيرا قدموا لنا الطعام . . ورغم طول المسافة من الكويت إلى العراق، ورغم الإنهاك والتعب الذي واجهناه طوال الطريق ورغم العطش والجوع اللذين شعرنا بهما، ورغم حاجتنا للراحة والنوم، لم يرحمنا العراقيون بل قدموا لنا عدة أوراق على هيئة استبانة وطالبونا بالإجابة عنها قبل الذهاب إلى النوم، وقد تم ذلك في منتصف الليل تماما بعد ١٩ ساعة من مغادرتنا الكويت .

استيقظنا مبكرا في صباح ٢٧ أغسطس ١٩٩٠ وتناولنا الإفطار في قاعة الطعام بالفندق وأصيب عدد كبير منا بالدوسنتاريا وفي ٢٨ أغسطس وصل عدد آخر من المعتقلين الأجانب من بينهم أربعة أمريكيين (ثلاثة رجال وزوجة أحدهم) تم اعتقالهم في شمال العراق، وكانوا يعملون لدى الحكومة العراقية في نظم الاتصالات، أحدهم يدعى «جيرالد برنارد» من هيوستن بتكساس والذي كان يعمل في معمل تكرير البترول بشمال حقل الرميلة ومن قبل عمل بمصنع تكرير الغاز في سفوان بالعراق .

تبدلت حالتي الصحية من سيئ إلى أسوأ وأصبت بالدوسنتاريا ولم أعد قادرا على مغادرة السرير .

في الساعة الواحدة بعد الظهر، جاء الحراس إلى حجرتنا وأخبرونا -ليدفورد وأنا- أن نستعد في ظرف ٢٠ دقيقة للرحيل إلى جهة غير معلومة، ورغم حالتي الصحية السيئة وعدم مقدرتي على الحركة، أخبرني الحراس أنه لا خيار أمامي ولابد من إطاعة الأوامر وأن اسمي مدرج في القائمة التي وصلتهم من القيادة العليا والتي تحوي خمسة أسماء من ذوي الجنسية الأمريكية، وبدأ الحراس في جمع حاجياتي لمساعدتي على الرحيل .

ركبنا أحد الباصات: أنا وليدفورد، وبنارد، وروكو (الأسم الأخير غير معروف). ومازلت أذكر أن هذا الباص كان يحمل لوحات كويتية، لم يخبرنا أحد بالمكان الذي سنتوجه إليه ولما كنا متجهين إلى الجنوب عرفت أننا في اتجاه البصرة وكنت في ذلك الوقت في أسوأ حالاتي الصحية.

وصلنا البصرة بعد منتصف الليل في صباح ٣٠ أغسطس وتركنا «روكو» في هذا الموقع، أما أنا ولدفورد فقد وصلنا في حوالي الساعة الرابعة صباحا إلى موقع في شمال الرميلة. وفي حوالي الساعة ٧,٣٠ والنصف صباحا تم إيداعنا في أحد المباني المجاورة لمصنع التكرير بحقل الرميلة ووجدنا مايقارب أحد عشر يابانيا قد سبقونا إلى هذا المكان، ودخلنا إلى قاعة كبيرة بها تليفزيون وصالة للطعام وكانت القذارة منتشرة في هذا المكان: أكوام الذباب تغطي الطعام، أما الماء فكان غير صالح للشرب وقمت أنا وليدفورد بتنظيف المكان وقضينا معظم الوقت بالتدريب على المشي وقراءة الإنجيل ولعب الورق، وبين الحين والحين كانت تجري بعض الحوارات بيننا وبين الحراس العراقيين، كان الجدل عنيفا والحوار ساخنا وهددنا الحراس بالقتل فيما لو تجرأت الولايات المتحدة وقامت بمهاجمة العراق.

قضيت في هذا المكان ثلاثين يوما نقص وزني مايقارب خمسة وعشرين رطلا وأصبت مرتين بالدوسنتاريا رغم تناول الحبوب التي أعطتني إياها إحدى الطبيبات العراقيات.

انضم إلينا خمس رهائن بريطانيون وصلوا من الكويت بعد أن هوجمت بيوتهم، كما انضم إلينا اثنان آخران أحدهما ألماني والآخر هندي، كما وصلت إلى المعسكر أيضا زوجة أحد البريطانيين الخمسة

وأطفالها ولكنها غادرت بعد ثمانية أيام من وصولها بعد أن زودناها بعدد من الخطابات استطاعت تهريبها إلى خارج العراق . وعن طريق هذه الرسائل عرفت زوجتي الموقع الذي اعتقلت فيه لدى العراقيين .

قام العراقيون بعدة محاولات لتسليتنا ، ففي إحدى المرات نقلنا إلى أحد الأماكن التي تشبه نوادي القوات المسلحة ، تناولنا الطعام وشاهدنا بعض الرقصات الوطنية العراقية ، وفي هذا المكان تقابلت مع عدد من زملائي الأمريكيين الذين كانوا يعملون في الكويت ووقعوا في الأسر أيضا مثل «جيمس بينتون» وزوجته «مرسيا» و«جيم» ولكن «مرسيا» غادرت الموقع بعد عدة أيام مثلها مثل السيدات والأطفال الأمريكيين الذين سمح لهم بمغادرة البلاد . وبعد تناول الطعام والمشروبات حاول أحد الرسميين العراقيين الحصول منا على توقيعات تشجب سياسة حكومتنا في فرض العقوبات والتهديد باستعمال القوة ضد العراق ، وفي الحال رفض الجميع هذا العرض وانتهت الحفلة وغادر الجميع المكان وعدنا إلى مواقعنا مرة ثانية . لقد كانت الحفلة نوعا من الغواية والإغراء يحاول به العراقيون شق صفوف دول التحالف .

أخبرني «جيمس بينتون» أنه شاهد بطارية كاملة من صواريخ هوك وعدة صواريخ أخرى محمولة على عدة عربات في طريقها إلى بغداد ، وأحسست أنا وليدفورد بالقلق من جراء هذا الموضوع ، فربما يكتشف العراقيون صلتنا بتشغيل صواريخ هوك ويتم إجبارنا على تشغيلها . وبمرور الأيام أخذت كميات الطعام التي تقدم لنا تقل شيئا فشيئا واكتشفنا أن الحراس والطهاة يقومون بسرقة مقررات الطعام التي تقدم لنا ، ولاحظنا أن الشراب الذي يقدم لنا وارد من الكويت أو الأردن ، كما لاحظنا أن علب المشروبات تحمل تواريخ ما بعد فرض العقوبات

الاقتصادية على العراق، فعلب البيرة التي وصلت من الأردن مثلا، تحمل تاريخ الإنتاج: نوفمبر ١٩٩٠، ومعنى ذلك أن العقوبات لم تتم بالصورة المتوقعة، ونحن الدروع البشرية واصلنا تناول الأطعمة والمشروبات التي تصل من الأردن.

في الثلاثين من سبتمبر، صدرت إلينا الأوامر بالانتقال إلى موقع آخر ويبدو أن هناك حركة تنقلات بين جميع الرهائن في العراق، ولما رفضنا أول الأمر تنفيذ هذا المطلب، قال العراقيون إنهم مستعدون لتنفيذ هذا الأمر بقوة السلاح، وهكذا انتقلنا إلى موقع جديد يسمى «سفوان» على الحدود مع الكويت بينما نقلت المجموعة التي كانت مقيمة في سفوان إلى موقعنا في شمال الرميلة. وفي سفوان أدخلنا إلى مصنع الغازات كدروع بشرية.

بعد ساعات قليلة عاد الرهائن الذين نقلوا إلى شمال الرميلة فقد رفض هؤلاء العيش في الظروف القاسية بذلك الموقع كما أنهم لم يجدوا مكانا لإيواء الزوجتين البريطانيتين اللتين انضمتا لتلك المجموعة وقد وضعت هذه المجموعة العائدة داخل مصنع الغازات أما نحن فقد تم إيداعنا خارج البوابة الرئيسة للمصنع وبعد جدل عنيف مع الحراس ركبنا الباص وعدنا أدراجنا إلى موقعنا الأول في شمال الرميلة.

في شمال الرميلة، أصر العراقيون على أن نقيم داخل مصنع التكرير، ورفضنا تنفيذ الأوامر في بادئ الأمر، وأرسلنا ثلاثة أفراد لاستكشاف المصنع من الداخل: أمريكي وبريطاني وياباني، وأخبرنا هؤلاء الثلاثة بأن المصنع لا يصلح للسكنى فليس به دورات مياه وطالبنا بالعودة إلى موقعنا الأول في شمال الرميلة الذي قمنا بتنظيفه وإصلاحه.

وفي المساء مابين الساعة ٧ ـ ٨ مساء عدنا إلى موقعنا الأول شمال الرميلة خارج البوابة الرئيسية لمعسكر العمال، واكتشفنا أنه في الفترة التي ذهبنا فيها إلى سفوان وعودتنا مرة أخرى للموقع، قام العراقيون بتفكيك المطبخ ونقله إلى مكان آخر ظنا منهم أن أحدا لن يعود إلى هذا المكان مرة أخرى.

تناولنا الإفطار الذي أحضره لنا العراقيون من داخل المصنع وصدرت الأوامر لنا مرة أخرى بالتحرك إلى داخل المصنع ولكنا رفضنا تنفيذ الأوامر وشكلنا لجنة تقوم بتمثيل الرهائن، وقد رفضت الاشتراك في هذه اللجنة لعدة أسباب: كنت مكروها من قبل الحراس بسبب المناقشات والآراء التي أعلنتها تجاه مسألة «الدروع البشرية» وقلت إن أفعال صدام حسين أفعال وحشية لا يقبلها إنسان وإن إلقاء القبض على الأجانب عمل غير قانوني وأخيرا تم اختيار «ليدفورد» ممثلا للأمريكيين (تم اختيار ممثل لكل جنسية) وقد أبلى بلاء حسنا.

ذهبت اللجنة المشكلة إلى معمل التكرير لمناقشة الأوضاع غير الإنسانية والتي لا تسمح بالحياة الآدمية على الإطلاق، وعادت اللجنة وأفادت بما يلي:

* سيلجأ العراقيون إلى القوة المسلحة لإجبارنا على الإقامة في معمل التكرير.

* لن يضمن أحد الأمان لنا في ظل هذه الظروف الصعبة.

* قد نصاب بأضرار بليغة نتيجة لتسرب الغازات داخل معمل التكرير مما يؤثر في صحتنا.

لقد كنا في موقف لا يسمح لنا بإملاء الشروط ولكنها كانت محاولة لتحسين أحوالنا المتدهورة.

وكانت شروطنا كما يلي :

* لن نقبل الانتقال إلى معمل التكرير بالقوة ولكننا على استعداد للانتقال سلميا إذا تم إعداد مكان أفضل يصلح للسكنى.

* نطالب بمكان نظيف يصلح لتناول الطعام يكون لنا فيه السلطة للمراقبة وللإشراف على إعداد الطعام.

* نريد دورات مياه مصممة على الطريقة الغربية، وأكثر من حمام واحد ومياها ساخنة.

حاول الحراس إلغاء اللجنة والتحدث إلى الرهائن فردا فردا، وكل على حدة لكي ينصاع الجميع لتنفيذ الأوامر ولكن باءت جهودهم بالفشل، ولم يعرف العراقيون كيف يعالجون هذا الموضوع، فهم كشعب تعود على تنفيذ الأوامر ولم تكن لهم دراية بالمناقشات الديمقراطية والحرية الفردية، ومرت الأيام مشحونة بالترقب والخوف وحدثت القطيعة بين الحراس والرهائن ولم يتحدث أحد مع الآخر، وظهرت إشارات تبين أن موقف اليابانيين بدأ يضعف وأنهم مستعدون لقبول الأوضاع التي يحاول العراقيون فرضها علينا وأنهم غير مستعدين للمواجهة وفي أحد الاجتماعات الأخرى انهار المندوب البريطاني، وهنا انبرى المندوب الأمريكي «ليدفورد» ووبخ العراقيين لموقفهم وتهديداتهم التي لا داعي لها وبذلنا مجهودا عنيفا للم الشمل واستطعنا أخيرا بالاتحاد أن نتمسك بشروطنا..

في الخامس من أكتوبر طلب العراقيون من اللجنة الدخول إلى معمل التكرير واختبار الإجراءات التي قام بها العراقيون لتحسين الأحوال المعيشية لنا داخل المصنع، وعادت اللجنة وأفادت بأن الأمور أصبحت ملائمة للحياة الإنسانية. فقد أخلت هيئة إدارة المعمل مكاتبها لنا وحولت إلى غرف نوم، وأفسح المجال لإقامة أماكن أخرى لتناول الطعام تفصلها عن حجرات النوم أبواب متحركة، كما أعطي لنا الحق في الإشراف على إعداد الوجبات، وتم تركيب ثلاث دورات مياه على الطراز الغربي، وأعدت ثلاثة حمامات، وزودت الأحواض والحمامات والمغاسل بأنابيب المياه الساخنة. وبعد هذا الانتصار الذي حققناه، انتقلنا إلى داخل المعمل في الأماكن التي أعدت لنا. وقد أخبرناالحراس أننا المجموعة الوحيدة من الرهائن التي فرضت شروطها على العراقيين وبمرور الوقت بدأت أحوالنا الصحية تتحسن وعاد وزننا إلى طبيعته وازدادت كميات الطعام المخصصة لنا، وكان للأمريكيين وضع مميز فقد كانوا يجلسون لتناول الطعام على طاولة الحراس.

تغيرت كتيبة الحراس، وجاءت مجموعة جديدة لم تعد تهتم براحتنا مثل مجموعة الحراس السابقة. وقد لاحظت أن من بين أفراد الحرس الجديد شخصا يدعى «أحمد» حاصل على الماجستير في العلوم السياسية ويعمل مدرسا في الجامعة. وبالرغم من مظهره الدمث فقد ساد الاعتقاد بيننا أنه أحد أفراد المخابرات وأخذنا الحذر منه ولم ننبس ببنت شفة حول تخصصاتنا والأعمال التي كنا نزاولها في الكويت، وفطنا الآن إلى الأسباب التي دعت الحرس إلى دعوتنا نحن الأمريكيين إلى تناول الغداء معهم على الطاولة نفسها، وحاولوا مرارا التحدث معنا عن سمة أعمالنا في الكويت. وتذكرت هنا مشاهداتي لعملية نقل بطاريات صواريخ

هوك إلى العراق من الكويت وأن العراقيين في حاجة إلى من يشغلها لهم.

فيما يختص بالمواطن «جيرالد بينارد»، تم نقله من سفوان إلى شمال الرميلة وأخذت نوبات المرض تنتابه من حين لآخر وأخذ يعاني من إصابته بالطفيليات داخل أمعائه، وطلب من العراقيين العون والمساعدة ولكنهم تجاهلوه عمدا، واشتد عليه المرض وهاجمته نوبات الألم من وقت لآخر بقسوة وأخيرا تم نقله إلى بغداد في بداية ديسمبر قبل عدة أيام من الإعلان الرسمي عن إطلاق سراح جميع الرهائن.

كانت فكرة قضاء أوقات الفراغ تشغل بالنا، وكنا في حاجة إلى المشي ومزاولة الرياضة حتى نستطيع المحافظة على لياقة أجسامنا ولذلك طلبنا من السلطات العراقية السماح لنا بالخروج من البوابات الرئيسية وإقامة ملاعب للجولف ورفض طلبنا في أول الأمر، ولكن بالإصرار على مطالبنا وبإبلاغ العراقيين أننا لن نستطيع الهرب خاصة وأن المنطقة بها مايقرب من ٢٠ ألف جندي عراقي وافق الحراس على مطالبنا، وصدرت الأوامر بألا نبتعد عن البوابة الرئيسية طوال وقت اللعب وطبعا وافقنا على ذلك حتى نستطيع الخروج ومطالعة ضوء الشمس وتغيير المكان وطالما تمنينا هجوم الحلفاء في أي وقت، وخاصة في الأوقات التي نكون فيها خارج المعمل، واكتشفنا فيما بعد أننا المجموعة الوحيدة من الرهائن التي كانت تناقش الحراس وتقنعهم بمطالبها.

طوال سبعة أسابيع حاولنا - أنا وليدفورد - إغراء الحراس لكي يسمحوا لنا بالذهاب إلى الكنيسة في مدينة البصرة وفعلا استطعنا حضور قداسين ولم نذهب وحدنا فقد شاركنا في هذه الصلوات جميع الرهائن الآخرين، وتوقفت هذه الزيارات عندما أحس الحراس بتعاطف

العراقيين المسيحيين معنا ومدهم يد الصداقة لنا ، وكنا المجموعة الوحيدة من بين الرهائن التي سمح لها بالذهاب إلى الكنيسة .

طلبت ومعي ليدفورد السماح لنا بالتحدث مع السفارة في بغداد ولما رفض طلبنا قررنا الإضراب عن الطعام لمدة خمسة أيام وبدا الاهتمام على الحراس وأفادوا أن طلبنا رفع إلى بغداد للنظر فيه ، وكان الرهائن الآخرون يقومون بتهريب الطعام لنا في أوقات مختلفة ، ولكننا لاحظنا أن العراقيين كانت لديهم حساسية نحو التحدث مع أحد الرسميين الحكوميين الأمريكيين .

في أواخر أكتوبر لاحظنا أن العراقيين أخذوا في تحسين أوضاعنا المعيشية . فكسوا الطاولات بالمفارش ، وزودونا بأطقم جديدة من أطباق السفرة ، وجاؤوا بأطباق خاصة للسلطة ، ثم قدموا لنا البطاطس المقلية ، وقلنا لهم على سبيل الفكاهة إنهم يحاولون زيادة وزننا حتى نعود لأوطاننا بصحة جيدة ولا يقال إن العراقيين حرمونا من الطعام ، وزودت الحجرات بأدوات التدفئة استعدادا للشتاء ، وقد أحزنتنا هذه التجهيزات إذ شعرنا أن بقاءنا في هذا المكان سيمتد إلى فترة طويلة .

في السادس من نوفمبر ١٩٩٠ أخبرني الحراس بأن في استطاعتي التحدث مع زوجتي هاتفيا ، ولما حدثتها أفادتني أن السفارة العراقية في واشنطن قد اتصلت بها ودعتها للحضور إلى بغداد لقضاء أعياد الميلاد معي وهنا قلت لزوجتي ألا تحضر إلى العراق على الإطلاق حيث إن العراقيين قوم غير موثوق بهم وقد لا يقومون بإطلاق سراحها إذا ما جاءت إلى العراق كما لا أريد لها أن تنتهي حياتها في منطقة معرضة للقتال ، ويكفي أن واحدا من الأسرة تكتنفه المشاكل (أقصد نفسي) واستغرقت المكالمة حوالي عشر دقائق .

بعد أسبوع من هذه المكالمة، استطعت مخابرة زوجتي مرة أخرى، وقالت إنها قررت السفر إلى العراق على مسؤوليتها الخاصة، وقد اشترت تذاكر عودة لها وتذكرة أخرى خاصة بي وستكون الرحلة جوا من مدينة جونسون بولاية تنسي حتى عمان في الأردن وستقوم العراق بإكمال رحلتها مجانا من الأردن إلى بغداد ذهابا وإيابا وستصل عمان في الرابع من ديسمبر وتطير إلى بغداد في السادس من ديسمبر ١٩٩٠، ولابد أن أقول إني خشيت عليها من هذه الرحلة وخشيت أكثر ألا يطلق العراقيون سراحها، ولكني عرفت فيما بعد أنها قررت الحضور أولا ثم المطالبة بإطلاق سراحي وليس العكس، وأنها إذا تأخرت عن ذلك فقد تفوت الفرصة وقالت زوجتي إن لديها إيمانا عميقا بأن الله قد أراد لها أن تتخذ القرار الصائب وقد فعل كثير من الأمريكيين والجنسيات الأخرى مثلما فعلت.

ولم أشارك زوجتي الرأي بأنه سيسمح لي بمغادرة العراق، ولذلك طلبت منها أن تحضر لي بعضا من الملابس الشتوية حيث تركت الكويت وملابسي الشتوية في آن واحد. وعلمت أيضا من ليدفورد أن زوجته قررت السفر إلى العراق أيضا مع زوجتي «بتي» وبعد فترة من الوقت سمح لنا بالسفر إلى البصرة حيث زودنا العراقيون ببعض الملابس الشتوية.

في عيد الشكر تم جمع كل الأمريكيين في منطقة البصرة في نادي القوات المسلحة نفسه، حيث تم لقاؤنا السابق وقدم لنا عشاء عيد الشكر بكل كمالياته كما كانت هناك طاولة مزودة بجميع أنواع المشروبات الكحولية وقد قام العراقيون بتصوير هذه الحفلة وطلبوا منا إلقاء الكلمات بهذه المناسبة. وشرحت معنى عيد الشكر والأهداف المرجوة منه كما

تلوت بعض الصلوات ولم يقل أحد منا عبارة تساعد العراقيين على استغلالها في الدعاية.

وصلت زوجتي وزوجة لدفورد إلى بغداد في السادس من ديسمبر وفي نفس هذا التاريخ أعلن العراق إطلاق سراح جميع الدروع البشرية الرهائن الأجانب، وغادرت ومعي ليدفورد البصرة جوا إلى بغداد مع حراسة مسلحة ونزلنا في الفندق حيث انتظرتنا زوجاتنا وظلت حركاتنا محدودة في الفندق يراقبنا الحراس، إلا أن زوجاتنا تنقلن في حرية كاملة.

بدأ الرهائن أو مايسمى بالدروع البشرية في الوصول إلى بغداد من الأماكن التي كانوا معتقلين فيها في جميع أنحاء العراق، وأخذ القسم القنصلي بسفارة الولايات المتحدة في بغداد يعد وثائق السفر اللازمة لي لمغادرة بغداد. وكان يصاحبنا على الرحلة نفسها زوجتي وليدفورد وزوجته حيث سنصل إلى فرانكفورت في ألمانيا في التاسع من ديسمبر ومنها إلى قاعدة أندروز الجوية في الولايات المتحدة في العاشر من ديسمبر.

ولاحظت زوجتي الانهيارات النفسية المثيرة للحزن لدى كثير من الأفراد الذين أطلق سراحهم وكذلك الغضب الجامح الذي تملك أفرادا آخرين لم يستطيعوا إطلاق العنان لهذا الغضب أو للفكاك منه، ولم تنس زوجتي هذه المناظر إطلاقا.

والآن كلما تذكرت هذه الفترة من حياتي التي قضيتها في الأسر في العراق أتذكر الضغط النفسي والآلام التي مررت بها وأشكر الله أنني حاولت طوال مدة الأسر أن أزاول النشاط الرياضي وبعض الأنشطة الأخرى التي ذكرتها فحمدا لله على ذلك.



هذه الخريطة جزء من خريطة قام بنشرها الإخوة «أوتنز» في القرن الثامن عشر بعنوان «الإمبراطورية الفارسية والدولة العثمانية وأملاكهما في آسيا وبحر قزوين».
وهي محفوظة في مكتبة الأرشيف الهولندي.

نعومي ووكر

نيڤادا

كنت جالسة في شقتي بمنطقة السالمية بدولة الكويت أراقب ناقلات البترول الضخمة وهي تعبر الخليج ببطء، ودق جرس الهاتف وأخبرني زوجي أن عدة آلاف من الجنود العراقيين يتمركزون على حدود الكويت، وكانت هذه أخبارا مزعجة لدولة آمنة عاشت في سلام منذ القدم، وهاتفت السفارة الأمريكية ورد عليّ أحد أفرادها ضاحكا وقال إن الأمور لا تدعو إلى القلق وطلب مني الهدوء.

جئت إلى الكويت مع زوجي الذي يعمل خبيرا بمعهد الكويت للأبحاث العلمية، ذلك المعهد الذي يقوم بكثير من الأبحاث لتحسين ورفع شأن الدولة، وهاتفتني ابنتي من الولايات المتحدة في ذلك اليوم وقالت إن الجميع في قلق بالغ علينا وأن الصحف والتليفزيون مليئين بالأخبار القاتمة عن الوضع بين الكويت والعراق وطالبتنا بالعودة إلى الولايات المتحدة، وأخبرتها أنني سأتصل بها مرة أخرى عندما تتضح الأمور.

في الأيام السابقة كنت أشاهد تليفزيون العراق وأرى لعدة ساعات صدام حسين وزمرته يستعرضون الدبابات والسيارات العسكرية المزودة بالمدافع ومدافع أخرى من جميع الأنواع، ولم أصدق أن العراق تمتلك هذا الكم الهائل من السلاح وطلبت من زوجي مشاهدة تليفزيون العراق وظننت أن العراق تستعد مرة أخرى لغزو إيران.

استيقظت وزوجي في اليوم التالي على هدير الدبابات وهي تقطع

شارع الخليج مارة أمام المبنى الذي نقيم فيه وهاتفنا السفارة مرة أخرى طلبت منا الانتظار حتى تقوم بتسفيرنا من الكويت، وكان ذلك مستحيلا حيث إننا أصبحنا محاصرين تماما بوساطة الدبابات والعربات المجنزرة وهاتفت ابنتي في الولايات المتحدة وأخبرتها أننا في أمان وألا تنزعج وبعد ذلك توقف الهاتف عن العمل وانقطعت بذلك صلتنا بالعالم الخارجي.

راقبنا الدبابات تكسر أرصفة شارع الخليج وتحطم الأشجار وتتخذ مواقعها موجهة مدافعها إلى البحر، وكان الموقف كوميديا خاصة وهم يقودون الدبابات الروسية قديمة الطراز، وكانت لدينا نظارات مكبرة حاولنا من خلالها مشاهدة مايحدث عن قرب وهالنا منظر الجنود: كانوا خليطا من الشباب والكهول. لم نر بين هؤلاء الجنود أحدا من قوات الحرس الجمهوري ومن الواضح أن هؤلاء الجنود أرسلوا ليتلقوا الضربة الأولى القادمة من البحر.

شاهدنا بعض الناس يقودون سياراتهم في شارع الخليج كما شاهدنا آخرين يقومون بالاستحمام في مياه الخليج مما يعني أننا يمكننا المخاطرة بالخروج وشراء المواد الغذائية، ذهبنا إلى فندق ساس وفي الطريق أوقفتنا القوات العراقية وطلبوا منا جوازات سفرنا وفتشوا حقيبة السيارة ثم أخلوا سبيلنا.

وهذا الفندق مشهور بصناعة الخبز، واشترينا منه كل ما نستطيع الحصول عليه.

استمعنا إلى محطة ال- بي بي سي على الموجة القصيرة، وهي تذيع أولا فأولا أخبار الغزو العراقي للكويت، وقد أذاعت أن أعدادا هائلة من

الجنود العراقيين تتدفق على الكويت وفي اليوم التالي ذهبنا إلى مركز سلطان، وهو أشبه بالسوبر ماركت، ووجدنا الأرفف فارغة تماما فقد أقبل الناس على شراء المواد الغذائية بجنون، وتم ترشيد بيع الخبز: رغيف واحد لكل مشتر. واصطفت الطوابير الطويلة أمام صناديق الدفع.. أما الجنود العراقيون فكانوا يدخلون ويحملون ما يريدون ولم يطلب منهم أحد ثمن مشترياتهم.

قمنا بجولة للمرور على الأصدقاء والاطمئنان عليهم ورؤية مدى ما يحتاجونه من طعام، وفي الأيام التالية ترددنا على مركز سلطان، ولم تكن تقابلنا حتى ذلك الوقت أية تهديدات من قبل العراقيين - وترددنا أيضا على البقالات المجاورة ومحلات السوبر ماركت. وتناقصت المواد الغذائية بشكل درامي وارتفعت الأسعار بشكل جنوني ولم نستطع شراء حتى الدجاج الحي. كما لاحظنا شيئا غريبا لقد قام الجنود العراقيون بإزالة صور سمو أمير البلاد وصور ولي العهد وحلت محلها صور ضخمة لصدام حسين. وأصبح له بين كل صورة وصورة صورة أخرى.

كانت مراقبة الجنود العراقيين نوعا من التسلية في حد ذاتها فقد قاموا بحفر الخنادق، ولم يكن هناك شيء آخر يقومون به. ولم يكن لدى أي منهم غير سترة واحدة كما أن بنادقهم كانت من طراز قديم، ولم يرتد بعضهم الأحذية العسكرية المعروفة للجنود بل ارتدوا النعال أو ما يشبه «الصندل» وقاموا بالاستحمام علنا في الطريق في الأماكن المخصصة لأحواض السباحة أمام المجمع الذي كنا نسكن به، وأخذوا في غسل بزاتهم الرسمية وهم يجلسون بالملابس الداخلية في انتظار أن تجف ملابسهم التي ينشرونها تحت أشعة الشمس. ومما لفت نظري أحد الجنود الشبان الذي كان يرتدي ملابس داخلية حمراء تشبه ملابس النساء مما

جعلني أستلقي على قفاي من الضحك حتى لفت زوجي نظري إلى ذلك وقال إنه ليس من الصواب أن نسخر من إنسان يحمل سلاحا. ولم يكونوا يتناولون أكثر من وجبة واحدة يوميا.

جاءتنا مكالمة هاتفية من السفارة الأمريكية تخبرنا بالتوجه إلى فندق هيلتون أنترناشونال بناء على طلب العراقيين ورفضنا الانصياع لهذا الأمر أو مايسمى ب- «الدعوة العراقية» ولن نسمح لهم بقيادتنا كالأغنام، وفضلنا الاختفاء عن أعين العراقيين، ووجدنا بناء على ذلك أن الخروج إلى الشارع يعتبر مغامرة ضد سلامتنا. شاهدنا على شاشات التليفزيون شخصا عراقيا يرتدي ملابس الكويتيين ويعلن أنه أصبح حاكم الكويت التي سميت الآن بالمحافظة التاسعة عشر.

نحن الآن الأمريكيون الوحيدون الذين نسكن «مجمع المرجان» وشاهدنا باقي السكان يغادرون واحدا وراء الآخر. وداوم جارنا الباكستاني على القول لنا بأن نختفي بعيدا عن أعين العراقيين، أما جارنا الآخر - المصري - فكان لديه جوازات سفر من حوالي ٦ دول وقد قرر الذهاب إلى الحدود السعودية، وسمعنا كثيرا عن المحاولات التي تمت للهرب عبر الحدود السعودية، فمنهم من نجا ومنهم من قبض عليه وآخرون تم قتلهم. وإننا أنفسنا لو ذهبنا إلى هذه الحدود في أول أيام الغزو لكنا نجحنا في الإفلات من هذا المكان، ولكننا قبعنا في مكاننا منتظرين الإجلاء من قبل السفارة الأمريكية.

جاءتنا مكالمة من بعض الأفراد أن العراقيين يفتشون المنازل بحثا عن الأمريكيين والأجانب الغربيين وأن علينا مغادرة مبنى المجمع بأسرع ما يمكن، وبناء على ذلك استدعينا أحد الأصدقاء الكويتيين الذي أخبرنا أنه يمكننا الذهاب إلى إحدى «الفلل» التي تخص أسرته، وتقع في داخل

المدينة بعيدا عن شاطيء الخليج وبالتالي بعيدا عن الجنود العراقيين، وأحسسنا بالعرفان بالجميل لهذا الصديق وبأن الأمان سيتوافر لنا في هذه الفيلا لأمد طويل، وحملنا معنا كل ما نستطيع من الطعام والماء وسلكنا عدة طرق خلفية لتجنب الجنود العراقيين.

تتكون الفيلا من عدة طوابق، لونها أبيض تقريبا أو في لون الرمال مثلها مثل باقي ألوان المنازل في الكويت، فمعظم المباني ذات ألوان متشابهة، ولذلك فإن البحث عن عنوان معين عمل شاق جدا. وجدنا على سطح الفيلا عددا من الطيور مثل الدجاج والحمام قام أصحاب الفيلا بتربيتها. الفيلا مؤثثة تأثيثا فاخرا وبها رصيد ضخم من المواد الغذائية واشترط صاحب البيت ألا نخرج من الفيلا حتى لا يرانا أحد.

أذاعت ال- بي بي سي التهديدات التي وجهها صدام حسين لكل من يساعد على إخفاء الأجانب، ولما كانت عقوبة الإخفاء هي الإعدام فقد قررنا الرحيل من الفيلا خوفا من اكتشافنا وإنزال الضرر بصديقنا الكويتي وأسرته، وقررنا الذهاب إلى إحدى الشقق التي يقطن بها بعض الأمريكيين وإحدى اليوغسلافيات، ووصلنا إليها أخيرا - وهي داخل المدينة أيضا بعيدا عن الخليج - وأفادنا هؤلاء الأجانب أنهما حاولا الخروج من البلاد، وأخيرا قررا العودة إلى السكن ومواجهة جميع الاحتمالات.

وجدنا لدى هذه اليوغوسلافية التي تعمل صحفية، مجموعة من الكتب الرائعة من جميع أنحاء العالم وهي كتب تتناول موضوعات شتى بالإضافة إلى عدد من الروايات من الأدب القصصي، ووجدنا لدى الأمريكي أكواما من الأفلام السينمائية بالإضافة إلى أن تليفزيونه يتلقى محطات كل من قطر والبحرين والإمارات وبالتالي توافرت التغطية

الإعلامية طوال اليوم. وللأسف تحدث الجميع عن صدام حسين طوال اليوم.. إلا من بعض شذرات عن الرئيس بوش، وأود أن أقول هنا إن أفضل الأخبار وصلت إلينا عن طريق إذاعتي البي بي سي وصوت أمريكا، نعم كان المنزل يعج بمختلف وسائل التسلية وقضاء وقت الفراغ، ولكن في رأيي كانت أفضل تسلية تلك التي نشاهدها خارج النوافذ.

استطعنا مشاهدة شارع الخليج من نوافذ الشقة، رأينا مواكب متصلة من عربات النقل وجميع أنواع الشاحنات تتقاطر في الطريق محملة إلى أقصى ما تتحمله من علو بكل شيء يمكن تخيله بدءا من أثاث المنزل حتى أعمدة إنارة الشوارع، ومن أجهزة الحمامات حتى مواسير المجاري، كما شاهدنا القوارب البحرية الخاصة بالنادي البحري محملة فوق الشاحنات. باختصار كل ما يمكن حمله قام العراقيون بنهبه. ومن الأمور التي تثير السخرية حقا أن العراقيين قاموا بإحدى دعاياتهم الضخمة فقد قاموا بإعدام ثلاثة أفراد علنا اتهموا بالسرقة وكان ذلك يتنافى مع ما نراه بأعيننا من سرقة ونهب. ومن نذالتهم أنهم يحرقون ما لا يستطيعون حمله ونهبه، ولذلك أقول إن الثلاثة الذين قاموا بإعدامهم علنا لابد أنهم قاموا بجريمة ضد النظام العراقي وليس بالنهب والسلب فالقانون كان في إجازة، والسلب والنهب كان مباحا للجميع، ومن الأماكن التي أحرقت كانت محلات «سيفواي» وهي من أولى المجمعات التي تم نهبها، ولم تكن هذه المحلات مجرد محلات تحوي مواد غذائية فقط بل تحوي الملابس، والمجوهرات وأدوات التجميل، وفي هذه المنطقة أيضا تم نهب وحرق محلات «نحن والأطفال» (Kids Are us) للعب الأطفال، لقد كانت جميع المحلات الأمريكية هدفا للنهب والتدمير!

أخذت المقاومة الكويتية في تكثيف نشاطاتها، وبالتالي سمعنا الكثير من طلقات الرصاص وانفجارات القنابل بالليل وأصبح الموقف أكثر إثارة سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة للكويتيين فقد ازداد العراقيون ضراوة وقسوة وعنفا وأخذوا في تعذيب الكويتيين وقتل الأبناء أمام ذويهم وقاموا باحتجاز أعداد من الكويتيين وتم نقلهم إلى العاصمة العراقية.

ازدادت اتصالاتنا بالسفارة وبالأصدقاء وحاولنا بقدر الإمكان الاختصار فى المكالمات الهاتفية خوفا من أن يكون الهاتف مراقبا وهدفنا من هذه الاتصالات أن نكون على صلة بجميع الأفراد الأمريكيين في الخارج وأن يعلموا مايحدث لنا أولا فأولا فأخشى ما كنا نخشاه أن يقبض علينا العراقيون ونختفي إلى الأبد ولا يعلم عنا أحد شيئا.

ومن الأمور الغريبة التي حدثت في هذه الفترة أن ترى التفكك والانحلال الذي حل بهذه الأرض رويدا رويدا.. فقبل الغزو العراقي للكويت لم يكن مسموحا على الإطلاق ببيع أو تناول الخمور في الكويت كما كان البغاء محرما، والآن بعد الغزو أصبحت هذه الأمور شائعة، وأصبح في مقدر أي فرد شراء المسكرات من أي محل وعلى قارعة الطريق - إذا استطعت دفع ثمنها بالطبع - وصرنا نشاهد العاهرات العراقيات يستعرضن تجارتهن مع الجنود في الشوارع علنا. لقد روعني ارتكاب مثل هذه الجرائم في هذا المجتمع وشعرت بالرهبة من الله وأن العقاب قادم لا محالة ضد من يرتكبونها.

قبل الغزو العراقي للكويت كان المجتمع حرا يعيش في أمن واستقرار فأنت تستطيع أن تسحب آلاف الدنانير من البنك الآلي في أي وقت من الليل ولا يلتفت إليك أحد، وتستطيع استبدال نقودك من أي مكان للصرافة، وتجد آلاف الأوراق النقدية مكدسة وليس هناك حارس

يحميها، تستطيع أن تمشي على شاطىء الخليج مساء لمزاولة رياضة المشي ولا يلتفت إليك أحد إلا صديق يهديك تحية. والآن أصبح الأمن في خبر كان، وأصبحنا نسمع عن اغتصاب النساء في كل مكان وأحمد الله أن ابنتي الجميلة ذات العشرين ربيعا كانت قد غادرت البلاد إلى الولايات المتحدة.

كان في استطاعة صديقتنا اليوغوسلافية الدخول والخروج كما تشاء، واستطاعت بذلك إحضار كل ما نريد من الطعام، وذهبت إلى شقتنا في «مجمع مرجان» لإحضار باقي ملابسنا وللأسف وجدت الشقة نظيفة جدا فقد قام العراقيون بسرقة محتوياتها حتى أدوات الحمام من المرحاض والمسبح بل وحتى الصنابير رفعت من مكانها. حتى قطتينا اللتين تركناهما في الشقة وجدت أنهما اختفيتا.. وشعرنا بالأسى على فقدان جميع ممتلكاتها ومن بينها سيارتنا، ويستطيع المرء أن يعوض سيارته لكن هذه الحيوانات الأليفة لا تعوض. والآن أشعر بمآسي الناس وخاصة أولئك الذين تنهب أموالهم وممتلكاتهم.

لم نر أيا من أصدقائنا منذ قيامنا بعمليات الاختفاء عن أعين العراقيين وقد توقفوا عن محادثتنا خشية تنصت القوات العراقية وكان الأمريكيون المختفون نوعين: عزابا ومتزوجين، ونحمد الله - أنا وزوجي - تعودنا على الوحدة واستمتعنا بها ولذلك لم نشعر بالفراغ أو الملل على الإطلاق.

امتلأت الشوارع بالجنود العراقيين وأصبح من الخطر الخروج ليلا لإحراق النفايات، وبالتالي انتشرت الروائح الكريهة التي أصبحت لا تحتمل، أضف إلى ذلك أن كثيرا من الحيوانات قد نفقت إما لقلة الطعام أو لتخلي أصحابها عنها لتموت مما زاد الطين بلة. في البداية أطفأنا أنوار

السكن بالليل وأدركنا أن هذا الإجراء ليس في صالحنا، فلقد تعرضت كثير من الشقق للسرقة لغياب سكانها عنها، وبالتالي فقد تتعرض شقتنا للهجوم عليها. ولانتشار نقاط التفتيش بالقرب من شقتنا، فقد قل عدد الأفراد الذين يزودونا بالمواد الغذائية مما دعانا للتفكير في الانتقال إلى مسكن آخر يبعد عن نقاط التفتيش.

بمرور الوقت أخذ عدد السكان بالكويت يتضاءل أضف إلى ذلك أن كثيرا من الكويتيين كانوا خارج البلاد لقضاء العطلة الصيفية في وقت الغزو وبالتالي فإن معظم المباني حولنا خلت من السكان.

وقبل البحث عن مكان جديد للاختباء، اتصلت بنا السفارة ونقلت إلينا الأخبار التي بمقتضاها سمح العراقيون بإجلاء النساء والأطفال خارج البلاد - ولم أرغب في الرحيل وترك زوجي بمفرده ولكنه أقنعني أن أرحل فالبقاء بمفرده سيتيح له الفرصة للاختفاء والتنقل بحرية أكثر، وزوجي ذو الأصل الإنجليزي اليوناني والمولود في أمريكا، يستطيع التنكر في هيئة عربي والهرب من البلاد. وودعنا بعضنا وداعا حارا، وقام بعض الجيران بنقلي إلى منطقة «سيفواي» حيث أخذتنا الباصات من هناك إلى المطار.

في الطريق إلى «سيفواي» شاهدت عشرات من السيارات المحطمة وأخرى تشتعل فيها النيرات ورأيت أيضا عربات عسكرية عراقية تشتعل فيها النيران ودبابة واحدة، كما احترقت بعض المباني وسمعت أن معظم الفنادق نهبت. ومن العجيب حقا رغم كل ما نال الكويت من تدمير ونهب وسلب وتقتيل ورعب وإنهاك وتعذيب فمازال هذا البلد يقاوم بمعجزة. وقبل دخول الباصات التي ستقلنا للمطار أخذ العراقيون بطاقاتنا المدنية ورخص قيادة السيارة، ودهشنا لرؤية المطار وقد ألحق به

دمار خفيف، ولكن سعادتنا كانت أكبر لرؤية الطائرة التي ستقلنا أخيرا إلى الحرية.

وبمجرد وصولي إلى الولايات المتحدة وذهابي إلى منزل ابنتي أبلغتني وزارة الخارجية أن زوجي وقع في أيدي العراقيين ونقل إلى أحد مصانع الكيماويات في بغداد.

تقارير

حول جرائم الحرب العراقية
(درع الجزيرة - عاصفة الصحراء)

مركز توثيق جرائم الحرب - مكتب نائب الأحكام
مكتب القيادة العامة للجيش
واشنطون دي دسي ٢٠٣١٠
٨ يناير ١٩٩٢
سمح بنشرها في فبراير ١٩٩٣

قام مكتب نائب الأحكام لجيش الولايات المتحدة الأمريكية في الثالث من أغسطس ١٩٩٠ بالبحث والاستقصاء في جرائم الحرب العراقية بناء على المعلومات التي تم جمعها بالطرق غير الرسمية. وقد بينت التقارير الإعلامية أن مواطني الولايات المتحدة قد ألقي القبض عليهم وأخذوا رهائن من قبل القوات العراقية، وتم ترحيلهم بالقوة إلى العراق. وهذه الأفعال تتنافى مع الأعراف الدولية واستمر جمع المعلومات لأن احتمال وجود جرائم الحرب العراقية كان لا يزال قائما.

وعقد اجتماع في الثلاثين من أغسطس ١٩٩٠ بين الوكالات المختلفة بالدولة من أجل التنسيق بينها في الإجراءات التي تتخذ نحو جرائم الحرب مع إبلاغ واضعي السياسة بكل الإجراءات التي يتم اتخاذها، وقد وافق المشاركون في الاجتماع على أن الجيش الأمريكي سيكون مسؤولا عن تقصي جرائم الحرب بالاشتراك مع الوكالات الأخرى وبمساندة ودعم من الهيئات العسكرية الأخرى. ومن المعروف أن أية تحقيقات رسمية في جرائم الحرب يجب أن تتم من قبل سلطة رسمية معترف بها من الدولة، كما تتطلب أيضا موافقة الدول التي ستجرى بها التحقيقات.

وبذلت مجهودات كبيرة لجمع المعلومات حول جرائم الحرب العراقية التي ارتكبت ضد مواطني الولايات المتحدة، وبالرغم من أن مواطني الولايات المتحدة الذين أُخذوا رهائن في العراق قد أطلق سراحهم في ديسمبر ١٩٩٠، إلا أن تدمير العراق للهوية الكويتية، والمعاملة الوحشية التي لقيها المواطنون على أيدي العراقيين لم تتوقف ولم تخمد بعد، كما أن تهديدات العراق باستعمال الأسلحة البيولوجية والكيماوية بالإضافة إلى السياسة التي اتبعتها العراق في الكويت في أثناء احتلالها لها دفعت قيادة الولايات المتحدة في المملكة السعودية لفتح الملفات للإبلاغ عن أية

جرائم حرب ترتكب من قبل القوات العراقية ضد جنود الولايات المتحدة ودول التحالف معها، فأصبح من الواضح ومن الضروري القيام بمجهودات ضخمة من أجل جمع الأدلة والمعلومات التي تخص جرائم الحرب، وطبقا لذلك ففي ٢٤ ديسمبر ١٩٩٠ خوّل وزير الدفاع الأمريكي القيادة المركزية مزيدا من الاختصاصات من القيام بجمع المعلومات إلى التقصي الجاد حول الانتهاكات التي ترتكبها القوات العراقية والتي تتنافى مع قوانين الحرب ونتيجة لهذا القرار عين وزير الجيش اثنين من نواب الأحكام المتخصصين في القانون الدولي، وبناء على المادة ٧٧/ ٥١٠٠ قام وكيل وزارة الدفاع بتوسيع مسؤوليات وزير الجيش بحيث يكون الوكيل المنفذ لوزارة الدفاع ويكون مساعدا لقوات التحالف (طبعا بموافقتها) ويقوم بالتحقيق في جرائم الحرب التي ارتكبت ضد مواطني دول التحالف.

وتم تشكيل المفارز المختارة لهذا على النحو التالي:

رقم المرزة	الرئيس ومكانه	عدد أفرادها	مكان عملها
١٩٩	يرأسها نائب أحكام سان بطرسبرج	٥ صباط + شخصان آخران ينضم إليها ١٥ كويتيا	الانتشار في مسرح العمليات في الكويت تجمع الأدلة وتحقق في الادعاءات يذهب الشخصان الآخران المسجلان إلى جنوب شرق آسيا يوم ٧/ ٢/ ٩١
٢٠٨	يرأسها نائب أحكام واشنطن دي سي	٢ من متطوعي سلاح البحرية+ قاضي الأحكام+ نائب أحكام في الجيش	توثيق جرائم الحرب

وبناء على التقارير التي يتم رفعها والتي تدور حول سلوك القوات العراقية في أثناء احتلالها للكويت، يجب على المفرزتين أن يبحثا في الانتهاكات التي ارتكبت ضد المدنيين العزل من السلاح والذين لم يشاركوا في أية أعمال قتالية بمقتضى البند الرابع من معاهدة جنيف ١٩٤٩ . وهذه الانتهاكات التي ارتكبت ضد المدنيين العزل يجب أن يشهد عليها المواطنون أو شهود العيان، والانتهاكات والجرائم العراقية إما أن تكون قد ارتكبت في أثناء الاحتلال العراقي للكويت مثل السلب والنهب وسرقة الممتلكات الثقافية الكويتية أو تلك التي ارتكبت في أثناء العمليات العسكرية مثل تدمير آبار نفط الكويت أو إطلاق صواريخ سكود نحو السعودية وإسرائيل، والأخيرة يقوم بالعمل فيها قاضي التحقيق بناء على البلاغات التي تصل إليه من القيادة العاملة للقوات المسلحة الأمريكية والقيادة المشتركة في المنطقة .

١ - أنشطة ومخرجات المفرزة ٢٠٨

ركزت المفرزة ٢٠٨ مجهوداتها حول معاملة العراق للرهائن المدنيين للولايات المتحدة «الدروع البشرية» وأسرى الحرب، وقد طاف أعضاء المفرزة بالوكالات المعنية من أجل جمع المعلومات المتوافرة حول أفعال العراق التي تعتبر جرائم حرب، وأكدت هذه المفرزة أن وزارة الخارجية الأمريكية تحتفظ لديها بسجلات شاملة عن المدنيين الذين أخذوا رهائن بوساطة العراقيين بما فيهم هؤلاء الذين عوملوا كدروع بشرية ووضعوا في الأهداف العسكرية بالعراق، كما وجدت المفرزة أيضا معلومات ممتازة حول معاملة الأفراد العسكريين الأمريكيين لدى وكالة استخبارات وزارة الدفاع (DIA) .

٢ - معاملة العراقيين لأسرى الحرب الأمريكيين :

بلغ عدد الذين وقعوا في الأسر أو الذين اعتبروا في عداد المفقودين في حرب الخليج ٤٧ فردا حسب الإحصاءات الرسمية : ٢٦ قتلوا في أثناء العمليات العسكرية و٢١ فردا أسروا ثم أعيدوا إلى الوطن في الفترة من ٣ - ٩ مارس ١٩٩١ .

ومن الواضح أن جميع أسرى الحرب كانوا ضحايا لجرائم الحرب التي ارتكبها العراقيون ، وحيث إننا لا نستطيع معرفة أو تحديد الأفراد العراقيين الذين قاموا بارتكاب هذه الجرائم ضد هؤلاء الأسرى فقد تم جمع الأدلة والبراهين التي تؤكد أن هذه الجرائم قد ارتكبت بمعرفة وتوجيهات من القيادة العراقية .

٣ - معاملة العراقيين للرهائن الأمريكيين :

أثبتت سجلات وزارة الخارجية الأمريكية ، ووكالة استخبارات وزارة الدفاع عدم شرعية احتجاز المدنيين الأمريكيين كرهائن ، ونقلهم بالقوة من الكويت ، واستعمالهم كدروع بشرية في المواقع العسكرية العراقية ، وكل عمل من هذه الأعمال الثلاثة يعتبر انتهاكا للمادة الرابعة من اتفاقية جنيف ، ولدى «المكتب» الدليل على أن ٤٩٠٠ مواطن أمريكي قد أخذتهم القوات العراقية كرهائن منهم ١٠٦ أفراد وضعوا كدروع بشرية في الأماكن الاستراتيجية العراقية بوساطة العراقيين ، وتؤكد الوثائق التي جمعتها وزارة الخارجية الأمريكية أن الدعوى ثابتة ضد العراقيين وأن هذا العمل خرق صارخ لمعاهدة جنيف الرابعة من قبل العراق .

ولم يشمل البحث والتحقيقات التي جرت حتى الآن الانتهاكات التي قام بها العراقيون ضد مراسلي CBS .

٤ - وثائق أخرى

وقامت المفرزة ٢٠٨ بالحصول على وثائق كثيرة مسجلة من قبل اللاجئين، والمنظمات العالمية التي تقدم المساعدات الإنسانية، والتقارير الإخبارية وكل هذه الوثائق تذكر انتهاكات محددة ارتكبت من قبل القوات العراقية.

وكذلك تم الحصول على معلومات أخرى لجرائم الحرب ارتكبت من قبل الهيئة الحاكمة، وبعض أفراد حزب البعث الاشتراكي، كما عملت هذه المفرزة (٢٠٨) جنبا إلى جنب مع المفرزة (١٩٩) ومع فريق التصوير التابع لهيئة الأركان لجيش الولايات المتحدة في تأسيس مكتبة خاصة بأفلام الفيديو والصور الفوتوغرافية التي تسجل جرائم الحرب العراقية.

٥ - الأنشطة والموجودات الخاصة بنائب أحكام المفرزة ١٩٩

قامت المفرزة ١٩٩ بعمل أبحاث وتحقيقات حول جرائم الحرب العراقية وتوثيق هذه التحقيقات. وبالتالي فقد قامت هذه المفرزة بنشر أعضائها في ثلاثة مواقع:

* القسم الأول: ذهب إلى الرياض وقام بمطالعة تقارير المخابرات وكان ذلك بالتنسيق مع مخابرات القيادة المركزية للولايات المتحدة، وقادة معسكرات أسرى حرب العدو وفرق التصوير وبعض الأفراد الآخرين من قوات التحالف، وقاموا بحفظ كل هذه البيانات الخاصة بجرائم الحرب على الحاسوب.
* القسم الثاني: قام بالتحقيق في جرائم الحرب العراقية التي ارتكبت ضد قوات الولايات المتحدة في أثناء الحرب الأرضية لتحرير الكويت، وكذلك جرائم الحرب التي ارتكبت ضد المدنيين الكويتيين، وضد مواطني الدول الأخرى المقيمين في الكويت.

* القسم الثالث: قام بإنشاء مكتب في الظهران بالمملكة العربية السعودية يقيم فيه نائب الأحكام وترسل إليه جميع الوثائق العراقية التي يمكن الحصول عليها لفحصها من أجل الأغراض الاستخبارية.

وقد أرسلت خطابات إلى جميع مكاتب القيادات المركزية للولايات المتحدة في السعودية تطلب جميع التقارير التي لديها والمختصة بجرائم الحرب العراقية التي ارتكبت ضد قوات الولايات المتحدة في أثناء حرب التحرير، ولما لم يتم تسلم أي من هذه التقارير، قامت المفرزة ١٩٩ بزيارة بعض من هذه القيادات واكتشفت أنه لا توجد أية أدلة تثبت أن القوات العراقية قامت بجرائم حرب ضد القوات الأمريكية أو أي من قوات التحالف طوال مدة الحرب الأرضية التي استغرقت ١٠٠ ساعة.

في الأول من مارس ١٩٩١ وصلت عناصر من المفرزة ١٩٩ إلى مدينة الكويت وقصدت مباشرة وزارة العدل الكويتية التي وافقت أن تقوم عناصر المفرزة ١٩٩ بالاتصال بالمقاومة الكويتية، وبعناصر الصحافة السرية، وببعض الأطباء وهيئات التمريض في المستشفيات، وبأفراد من صفوة المجتمع، وبمعاونة سبعة من المتطوعين الكويتيين الذين قاموا بمهمة الترجمة. وبالبحث عن أماكن المدنيين الذين كانوا ضحايا لجرائم الحرب العراقية. وهكذا فقد ساعد هؤلاء المتطوعون السبعة عناصر المفرزة ١٩٩ في إجراء التحقيقات الخاصة بجرائم الحرب وتوثيقها حول الجرائم والأعمال الوحشية التي ارتكبها العراقيون في أثناء احتلالهم للكويت. وكما قامت وزارة العدل الكويتية أيضا بالتقصي عن الانتهاكات، قام الاثنان بإجراء المقابلات معا وتجميع وتنظيم المخرجات والأدلة والبراهين بالطريقة التي تساعد على إعداد القضايا الجنائية في حالة طلبها في مرحلة لاحقة لإقامة الدعوى.

٦ ـ الأدلة والبيّنات الخاصة بجرائم الحرب العراقية

استطاعت المفرزة ١٩٩ جمع الأدلة والبيِّنات الخاصة بجرائم الحرب العراقية والتي تؤكد القدر الهائل من الجرائم التي ارتكبت ضد المواطنين والمقيمين بالكويت، وتشمل الأدلة وثائق خطية وشرائط فيديو تصف تفصيلات الانتهاكات التي ارتكبت من تعذيب واغتصاب، وصوراً فوتوغرافية لقتل الكويتيين، كما صورت الأماكن التي استعملها العراقيون في عمليات التعذيب. وقام مركز الظهران بالعربية السعودية بإصدار كتيب خاص موثق بالأدلة والصور حول جرائم الحرب العراقية.

ويوضح هذا الكتيب مايلي:

* قيام القوات العراقية بإنشاء ١٢ مركزا للتعذيب في مدينة الكويت إما داخل مراكز الشرطة أو في النوادي الرياضية.

* تأكيد الأدلة على أن التعذيب كان مخيفا وشنيعا واشتمل على:

ـ بتر أعضاء من الجسد مثل الأطراف، العينين، اللسان، الأذن، الأنف، الشفتين، والأعضاء التناسلية.

ـ تعرض أجزاء حساسة من الجسم للصدمات الكهربائية مثل الأنف، والفم والأعضاء التناسلية.

ـ إيلاج المثقاب الكهربائي (الشنيور) في الصدر والأرجل، والذراعين.
ـ ضرب الضحايا حتى تتكسر عظامهم.
ـ تحطيم الجمجمة.
ـ تشويه الوجه.
ـ قتل الضحايا بوضعهم في مواد حمضية.

* أخذ النساء رهائن واغتصابهن عدة مرات .

وقد وصف شهود العيان مايلي :

- إجبار الأسرة الكويتية على الوقوف ومشاهدة إعدام ولدها من قبل الضباط العراقيين .

- اقتطاع جزء من جسم إحدى النساء وإجبارها على أكله .

- قتل بعض المدنيين الكويتيين بتعليقهم في السقف وبتر أجزاء من أجسامهم .

- تعليق بعض الكويتيين في سقف الحجرة وقتلهم ببعض الأدوات مثل البلطة .

* وتصف الوثائق الرعب النفسي الذي تعرض له البعض عن طريق الإعدام الصوري (بوضع مسدس غير محشو بالرصاص على رأس الضحية والضغط على الزناد) .

وتبين الوثائق التي جمعتها المفرزة ١٩٩ بوضوح أن العراقيين عزموا على استعمال الأسلحة الكيماوية ، وأن حرقهم لآبار البترول الكويتية كان عملا معدا من قبل الغزو ، كما عزموا على تدمير محطات تقطير المياه في السعودية - كما تبين الوثائق أيضا عزم العراقيين على ترحيل الكويتيين إلى العراق ، وإعادة تعليمهم من جديد ، وكان القتل دون محاكمة عقوبة كل كويتي يقوم بالصلاة والدعاء على سطح منزله ، وعدم إطاعة الأوامر العراقية بتعليق صور صدام حسين ، وعدم تقديم المساعدات للجنود العراقيين وخدمتهم في الأسواق والسوبر ماركت ، وامتلاك صور أعضاء الأسرة الحاكمة الكويتية وكتابة الشعارات ضد العراق .

كما أكد البحث والتحقيق الذي أجرته المفرزة ١٩٩ والخاص بالسجلات الطبية في مدينة الكويت في أثناء فترة الاحتلال العراقي للكويت (من ٢/ ٨/ ٩٠ وحتى ٣/ ٣/ ١٩٩١) أن عدد القتلى من المدنيين الكويتيين بلغ ١٠٨٢ فردا نتيجة للسلوك الإجرامي الذي انتهجه العراقيون ومنهم:

- قتل ١٢٠ طفلا نتيجة انتزاعهم من المحاضن (جهاز يوضع فيه الطفل الذي ولد قبل الأوان) والتي تم نقلها إلى العراق.

- قتل ١٣٠ طفلا (من سن ١ - ١٣ سنة) لأسباب متعددة.
- قتل ٥٧ فردا لمجرد أنهم متخلفون عقليا.

وكل هذه الأعمال تشكل انتهاكا خطيرا لاتفاقية جنيف الرابعة.

أثناء الاحتلال العراقي للكويت، وكجزء من خطة صدام حسين لمحو الكويت كدولة ذات سيادة وضمه لها تحت اسم المحافظة ١٩، تدفقت أعداد كبيرة من العراقيين إلى الكويت أقاموا في بيوت الكويتيين بعد طردهم منها، وهذا العمل أيضا انتهاك لمعاهدة جنيف الرابعة.

استطاعت المفرزة ١٩٩، من خلال مصادر متعددة، التعرف على عدد من الجنود العراقيين الذين يشك في قيامهم بجرائم حرب ضد الكويتيين، وهذا العدد يشكل قائمة مبدئية تحتاج إلى مجهودات كبيرة من البحث والتقصي قبل تقديمهم إلى المحاكمة، وعلى سبيل المثال فإن بعضا من هؤلاء الأفراد عرفت أسماؤهم لمجرد أنهم كانوا ضمن القوات العراقية التي كانت في الكويت في وقت حدوث هذه المجازر، كما أن الأوامر الصادرة للقوات العراقية بالهجوم تزودنا بمعلومات تبين أن أعمال هذه القوات هي انتهاك صارخ لاتفاقيات جنيف.

جمعت المفرزة ١٩٩ حوالي ١٢٢٦ ملفا عن جرائم الحرب موزعة كالتالي :

* ٦١٦ ملفا حول جرائم الحرب سجلتها المفرزة في أثناء وجودها في الكويت .

* ٥٥ ملفا من مركز التوثيق نتيجة للأبحاث التي قام بها .

* ٥٥٥ ملفا كتبت من أفراد سجلتها تقارير منظمة العفو الدولية عن الاحتلال العراقي للكويت وانتهاكات حقوق الإنسان منذ ٢/ ٨/ ٩٠ .

ورغم أن المفرزة ١٩٩ ، نتيجة لتحقيقاتها في الكويت ، قد استطاعت كشف أسماء ٥٠٠ عراقي من الذين ارتكبوا الجرائم في الكويت ، إلا أنه لم يتم القبض على أي منهم من بين ٦٩,٨٢٢ جنديا وقعوا أسرى حرب في أيدي قوات التحالف أثناء حرب عاصفة الصحراء . ومن الأسباب الرئيسية لعدم اعتقال أي منهم يرجع إلى أن قلة من الأسرى العراقيين هي التي أعطت أسماءها ورتبها ومعلومات أخرى حيوية . أما الأكثرية فلم تقم بذلك لعدة أسباب منها خوفهم من أن تلتصق أسماؤهم بجرائم الحرب التي ارتكبت في الكويت ، وخوفا من أن تقوم السلطات العراقية بالانتقام من أسرهم في العراق ولأن الحرب الأرضية لم تستمر إلا لأيام قليلة بالإضافة إلى أن العدد الضخم من الأسرى الذي وقع بسرعة في أيدي الحلفاء لم يعط السلطات الوقت الكافي للتحقيق مع كل فرد على حدة واستخلاص بعض الحقائق عن هؤلاء الأسرى والتأكد من المعلومات الأولية التي تم الوصول إليها في الكويت .

٧ ـ أنشطة وموجودات مكتب الشؤون الدولية :

بالإضافة إلى تقديم المشورة والنصيحة إلى مركز توثيق جرائم الحرب

في الشؤون الفنية ، قام مكتب الشؤون الدولية بعمل آخر غير متصل بالأعمال التي قامت بها كل من المفرزتين ١٩٩ ، ٢٠٨ وإن كانت متصلة بالانتهاكات العراقية أيضا . . وهذا العمل الذي قام به مكتب الشؤون الدولية هو مايختص بالهجمات التي شنتها العراق بصواريخ سكود على كل من السعودية وإسرائيل ، وتعمد العراق إلقاء كميات من البترول في الخليج العربي سواء بضخ النفط من الناقلات الراسية في ميناء الأحمدي أو بفتح صنابير تصدير النفط من الميناء نفسه بالإضافة إلى النية المبيتة لدى العراقيين لتدمير مئات من آبار النفط الكويتي .

لقد تلوثت مياه الخليج نتيجة لضخ العراق وإلقائها ما بين ٧ـ٨ مليون برميل من النفط الخام في مياه الخليج ، وفي الصحراء قام العراقيون بتدمير أو إتلاف حوالي ٥٩٠ بئرا للبترول ـ تم إشعال النيران في ٥٠٨ منها ـ أما الباقي وعددها ٨٢ بئرا فقد دمرت بطريقة سمحت بتسريب مابين ٢٥ ـ ٥٠ مليون برميل من النفط الخام إلى أرض الصحراء . وأدى كل ذلك إلى تدمير التربة والغطاء النباتي وموت آلاف الطيور والأسماك وأعشاب القاع وإتلاف النظام البيئي وتلويث مصادر المياه .

إن ماسبق يتنافى تماما مع مقررات مؤتمر أوتاوا بكندا . فكل عمل من هذه الأعمال التي قامت بها العراق متعمدة يعتبر انتهاكا لقانون الحرب .

ومن غير الواضح حتى الآن معرفة الأسباب التي حدت بالعراق إلى ضخ النفط إلى مياه الخليج ، ويبدو أن العراق حاولت بذلك الإجراء الحيلولة دون قيام أساطيل دول التحالف بأي عمليات عسكرية برمائية في الخليج أمام سواحل الكويت . كما أن ضخ البترول إلى الخليج يهدد بوقف مصانع تحلية المياه ، وبالتالي اعتقدت العراق أن ذلك سيعطل العمليات العسكرية لدول التحالف وسيوقع الفوضى في الحياة المدنية

داخل العربية السعودية التي تعتمد على المياه العذبة شريان الحياة عن طريق تحلية مياه البحر مما يؤثر أيضا في عمليات التحالف، ولكن كما حدث فيما بعد، فإن المجهودات التعاونية لدول أعضاء التحالف بما فيها قوات حرس السواحل والإدارة القومية لأعمال المحيطات استطاعت محاصرة بقع النفط المتسرب ولم يكن لها أثر يذكر تجاه العمليات العسكرية البحرية لقوات التحالف.

واتخذت قوات التحالف الإجراءات اللازمة لحماية البيئة نتيجة للأفعال العدوانية التي قامت بها العراق، والتي أدت إلى تدمير الممتلكات الكويتية وخاصة ضخ البترول من ميناء الأحمدي، وقامت قوات التحالف بضرب بعض المنشآت البترولية في الميناء لوقف تدفق البترول إلى مياه الخليج. ومن ثم فإن هذا التدمير هو مسؤولية العراق.

ولما أشعلت القوات العراقية النيران في أول بئر للبترول، اعتقد الجميع أن النار والدخان المتصاعدان من الآبار يقصد بهما كسر قدرة قوات التحالف على القيام بالهجمات الجوية والأرضية، إذ إن الدخان المتصاعد من الآبار سيحجب الرؤية ويعطل أجهزة الملاحة الجوية، والتقويم الجاد لهذه الأفعال العراقية البربرية أثبت أن الدمار الذي لحق بآبار البترول ليست له أية أهداف عسكرية.. بل قام به العراقيون متعمدين لإلحاق الضرر بمستقبل الكويت وفقا لسياسة الأرض المحروقة التي نفذها العراق بكل حذافيرها.

النتائج

١ ـ جرائم الحرب العراقية

إن اصطلاح «جريمة حرب» هو تعبير فني معناه انتهاك القوانين والأعراف التي تكون سارية وقت الحرب. وكل انتهاك لقانون الحرب وللأعراف المتفق عليها وقت الحرب يسمى «جريمة حرب».

والتحقيقات التي قام بها الجيش أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن العراق قد انتهك «قانون الحرب» على نطاق واسع ولم تكن هذه الانتهاكات وليدة الساعة بل كانت متعمدة ومعدا لها من قبل. وتشمل هذه الانتهاكات:

* إلقاء القبض على المدنيين بالقوة والاحتفاظ بهم كرهائن.
* تعذيب المدنيين وقتلهم.
* نهب ممتلكات المدنيين.
* نهب التراث الثقافي.

* إرهاب المدنيين العزل بإطلاق صواريخ سكود ضد المدن الآمنة، وعدم التفرقة بينها وبين الأهداف العسكرية.

* زرع الألغام البحرية في الخليج.
* إساءة معاملة أسرى الحرب.
* تدمير الممتلكات دون داع مثل ضخ النفط إلى الخليج.
* إحراق وتدمير المئات من آبار النفط الكويتية.

ومن جرائم الحرب العراقية المحددة التي قام بتوثيقها «مركز توثيق جرائم الحرب العراقية» مايلي:

أ ـ أخذ المواطنين الكويتيين كرهائن، وترحيلهم كأفراد وجماعات إلى العراق بالقوة (انتهاك المواد ٣٤، ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

ب ـ أخذ مواطني دولة ثالثة في الكويت كرهائن أفرادا وجماعات وترحيلهم بالقوة إلى العراق (انتهاك للمواد ٣٤، ٤٩، ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

جـ ـ أخذ مواطني دولة ثالثة في العراق فرادى وجماعات بالقوة ونقلهم إلى أماكن معينة داخل العراق (انتهاك للمواد ٣٤، ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

د ـ إجبار الكويتيين ومواطني دولة أجنبية أخرى على الخدمة في القوات المسلحة العراقية (انتهاك للمواد ٥١، ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

هـ ـ استغلال المواطنين الكويتيين ومواطني دولة ثالثة كدروع بشرية. (انتهاك للمواد ٢٨، ٣٨ من اتفاقية جنيف).

و ـ المعاملة غير الإنسانية للكويتيين ومواطني دولة ثالثة، ويشمل ذلك عمليات الاغتصاب والقتل العمد (انتهاك لمعاهدة جنيف حسب المواد ٢٧، ٣٢، ١٤٧).

ز ـ تهجير المدنيين العراقيين إلى الكويت المحتلة (انتهاك للمادة ٤٩ من اتفاقية جنيف).

ح ـ تعذيب أسرى الحرب الأمريكيين وأسرى دول التحالف ومعاملتهم معاملة غير إنسانية (انتهاك للمواد ١٣، ١٧، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ١٣٠ من اتفاقية جنيف لأسرى الحرب).

ط ـ استخدام أسرى دول التحالف دروعا بشرية حتى تكون لدى

المواقع العسكرية الحصانة ضد الغارات العسكرية لدول التحالف (انتهاك للمادة ٢٣ من اتفاقية جنيف).

ي ـ التدمير غير الضروري للممتلكات الكويتية الخاصة والعامة (انتهاك للمادة ٢٣ جـ الملحق هـ ج ٤).

ك ـ السلب والنهب (انتهاك المادة ٤٧ ، الملحق هـ جـ ٤).

ل ـ المصادرة غير القانونية وعدم تأمين الممتلكات الكويتية من السرقة (انتهاك للمادة ٥٥ ملحق هـ ج ٤ ـ والمادة ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

م ـ سلب المستشفيات الكويتية المدنية ـ انتهاك للمواد ٥٥ ، و٥٦ و٥٧ ، ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

ن ـ إطلاق صواريخ سكود ضد المدنيين العزل في السعودية وإسرائيل (وهذه الأخيرة كانت دولة محايدة في الصراع) وتدمير الممتلكات في كلا البلدين (انتهاك للمادة ٢٣ حـ الملحق هـ ج ٤).

س ـ تعمد ضخ النفط في الخليج العربي وتخريب حقول البرقان والرتقة النفطية في الكويت(انتهاك المواد ٢٣ جـ و٥٥ والملحق هـ ج ٤ ، والمواد ٥٣ ، ١٤٧ من اتفاقية جنيف).

ع ـ بث الألغام بأنواعها البحرية والأرضية (انتهاك للمادة ١ ـ هـ ج ٨).

مسؤولية القيادة

توضح المادة ٢٩ من اتفاقية جنيف مايلي:

«تقع مسؤولية حماية الأشخاص على الدولة التي يقيم بها هؤلاء

الأشخاص وهي مسؤولة عن سلامتهم وعن أية تعاملات تتم معهم من قبل عملائها» وتقول المادة ١٢ من اتفاقية جنيف للأسرى :

«تتحمل الدولة مسؤولية سلامة أسرى الحرب الذين يقعون في أيديها، وليست هذه مسؤولية الأفراد أو الوحدات العسكرية التي قامت باعتقال هؤلاء الأسرى فالدولة هي الكيان المسؤول عن معاملة هؤلاء الأسرى».

وبمقتضى المادتين ٢٩ و١٢ من اتفاقية جنيف للأسرى، فإن مسؤولية معاملة المحتجزين المدنيين وأسرى الحرب تقع على عاتق حكومة العراق وموظفيها الرسميين، وبالتالي فإن المسؤولية الإجرامية لانتهاك قانون الحرب تقع على القيادة الوطنية للدولة التي :

أ ـ تأمر أو تسمح بارتكاب الجرائم.

ب ـ تعرف أو يجب أن تعرف عن ارتكاب هذه الجرائم، ولديها الوسائل لمنع ارتكابها، وهي مسؤولة مسؤولية كاملة لعدم منع هذه الجرائم أو تكرارها.

وتبين الحقائق التي تم جمعها في أثناء التحقيق أن الانتهاكات التي ارتكبت ضد المدنيين الكويتيين وضد الممتلكات وضد مواطني دولة ثالثة قد تمت بصورة علنية وفي كل مكان وبطريقة منظمة بحيث لا يمكن إلا أن تكون هذه الانتهاكات التي تعتبر جرائم حرب مسؤولية صدام حسين، والشخصيات الرسمية لحزب البعث وتابعيهم. ومهما يكن الأمر فإن المسؤولية الرئيسة تقع كاملة وبالتحديد ودون لبس على عاتق صدام حسين القائد العام للقوات العسكرية وقوات الأمن التي كانت تعمل في الكويت قبل بدء العمليات العسكرية الجوية. وهناك من الدلائل أن

الانتهاكات التي وقعت إما أنها تمت بناء على أوامر مباشرة منه أو أنها ارتكبت بمعرفته وبموافقته أو أنه كان على وعي وعلم بها.

التقويم

جمع مركز توثيق جرائم الحرب عددا ضخما من الملفات تحوي أدلة على جرائم الحرب العراقية وهذه الوثائق القيمة عبارة عن شرائط الفيديو والإقرارات المكتوبة من قبل شهود العيان، ومن قبل أسرى الحرب و«الدروع البشرية» والضحايا الكويتيين، والصور الفوتوغرافية، وهذه الأدلة كلها أساس رائع للإعداد لقضايا جرائم الحرب.

إن السلطات الوطنية العراقية، والأفراد العراقيين الرسميين قاموا بارتكاب جرائم الحرب ضد كل من الأفراد المدنيين والعسكريين الأمريكيين والكويتيين. وقد قام مركز توثيق جرائم الحرب بجمع الأدلة التي تثبت ذلك.

معاملة العراقيين لأسرى الحرب الأمريكيين

أ- تقويم تاريخي للحرب

من الأمور الرئيسة التي شغلت المخابرات الأمريكية في أثناء الإعداد لحرب الخليج الطريقة التي سيعامل بها العراق أسرى الحرب الأمريكيين، . ولما كان التدخل الأمريكي في حرب الخليج له شأنه، فإن وكالة الاستخبارات في وزارة الدفاع (DIA) أعدت تقويما مطولا عن الإجراءات والسياسات المحتملة التي ستقوم بها العراق نحو أسرى الحرب.

واعتمد هذا التقويم على الأسلوب الذي تعامل به العراق مع الأسرى

الإيرانيين طوال الحرب الإيرانية العراقية التي استمرت ثماني سنوات طبقت فيها العراق الشكليات في تعاملها مع أسرى العدو .

ب ـ قانون الحرب ومعاملة العراق لأسرى الحرب الأمريكيين

اضطرت العراق للانصياع لكل البنود التي نصت عليها اتفاقية جنيف لأسرى الحرب في معاملتها مع العسكريين الأسرى ، ولكن وقع في أسر العراقيين ٢١ جنديا أمريكيا ، ومن المفروض أنهم جميعا شملتهم الحماية طبقا لاتفاقية جنيف لأسرى الحرب حيث إن كلا من الولايات المتحدة والعراق يعتبران في حالة حرب «ولذلك فإنه منذ اللحظة التي وقع فيها الجنود الأمريكيون أسرى في أيدي العراقيين وحتى لحظة إطلاق سراحهم تطبق عليهم بنود ومواد اتفاقية جنيف لأسرى الحرب» .

طبقت العراق اتفاقية جنيف لأسرى الحرب بطريقة مختلفة ، ففي اليوم الذي بدأت فيه الحرب الجوية ضد العراق في السادس عشر من يناير ١٩٩١ وعد صدام حسين بمعاملة الجنود الأسرى طبقا لاتفاقية جنيف لأسرى الحرب . ومع ذلك ففي ٢٨ يناير ١٩٩١ وفي مقابلة أجراها معه «بيتر أرنت» من محطة سي إن إن حاول صدام أن يسوغ فشله في معاملة أسرى الحرب بأسباب معقولة أو مقبولة ولكنها غير صحيحة ، فادعى أن الطلاب العراقيين في الدول الغربية قد تم اعتقالهم ، وأن بعض العراقيين الآخرين يعانون من القيود التي فرضت عليهم في تحركاتهم وتساءل صدام :

«هل تسمح اتفاقية جنيف بإلقاء الطلاب العراقيين الذين يدرسون في الغرب في السجن؟» .

أطلق العراقيون على أسرى الحرب لدول التحالف ، مسمى «مجرمي الحرب» وهددوهم بالإعدام :

* الأسير رقم ١٧ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٧) رفض أن يعطي عنوان بيته في الولايات المتحدة على أساس أن هذا يتنافى مع بنود اتفاقية جنيف لأسرى الحرب، فادعى العراقيون أن الاتفاقية لا تنطبق عليه لأنه مجرم حرب، وليست هناك حرب معلنة بين العراق والولايات المتحدة.

* أسير الحرب رقم ١٢ س (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٢) هدده العراقيون الذين قاموا باستجوابه بالإعدام كمجرم حرب عندما رفض أن يظهر في شريط فيديو.

* أسير الحرب رقم ١٨ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٨) ناداه الذين قاموا باستجوابه بمجرم الحرب.

* أسير الحرب رقم ٢١ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٢١) قالوا له إنه سيقدم للإعدام بسبب جرائمه التي ارتكبها ضد الشعب العراقي.

* أسير الحرب رقم ٩ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٩) طلب منه الإدلاء بمعلومات عن طائرته والرادار الذي يعمل بها ولما رفض هددوه بأنه لم يعد يعتبر أسير حرب.

* أسير الحرب رقم ١٩ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٩) قال له الذي قام باستجوابه عن طريق الصوت إنه يستطيع أن يفعل به مايشاء بما في ذلك الإعدام.

لقد ارتكبت العراق الكثير من الانتهاكات ضد أسرى الحرب وقبل ذكر ما لاقاه الأسرى من معاملة وحشية نذكر هنا نص المادتين ١٣، ١٤ من اتفاقية جنيف لمعاملة أسرى الحرب:

المادة ١٣ من اتفاقية جنيف

«يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية، ويمنع منعا باتا على الدولة التي تحتجز أسرى الحرب إساءة معاملتهم أو معاملتهم بطرق تتنافى مع قانون الحرب مما قد يعرض صحتهم للخطر. كما يجب حماية أسرى الحرب بحيث لا يتعرضون لأي نوع من الإرهاب أو العنف أو الإهانات من قبل الجمهور».

المادة ١٤ من اتفاقية جنيف

«ـ يجب معاملة أسرى الحرب في جميع الأحوال والظروف بالاحترام اللائق لشخصهم ولشرفهم.

ـ يجب معاملة النساء بالاحترام اللائق ولهن الحق كل الحق، في كل الأحوال والظروف، أن تعطى لهن نفس حقوق الرجال مع مراعاة أحوال جنسهن».

وبمطالعة المادتين ١٣، ١٤ من اتفاقية جنيف نجد أن هاتين المادتين لا تمنعان التعذيب الجسماني والنفسي فقط لأسرى الحرب، بل تؤكد أن واجب الدولة التي تحجز الأسرى حماية أسرى الحرب من أية إهانات أو احتقار يوجه لهم.

٢ ـ التعذيب الجسماني

تعرض أسرى الحرب للتعذيب الجسماني من قبل الحكومة العراقية وأعوانها ليس فقط في أثناء محاولات المخابرات العراقية الحصول على المعلومات من الأسرى، ولكن أيضا في كثير من المناسبات الأخرى. كما تعرض هؤلاء الأسرى للتعذيب النفسي من قبل العراقيين ليس من أجل

الحصول على المعلومات، ولكن فقط لأن من قاموا بالاستجواب كانوا يستمتعون بذلك. وفيما يلي أمثلة لما تعرض له أسرى الحرب عندما وقعوا في الأسر وفي أثناء استجوابهم:

أ- المعاناة التي تعرض لها الأسرى عند القبض عليهم وفي أثناء نقلهم إلى معسكرات الاعتقال:

* الأسير رقم ١ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١):

تم عرضه أمام إحدى نقاط التفتيش العراقية كأحد غنائم الحرب، تبولوا عليه، ضُرب على أنغام الموسيقى التي أذيعت من الراديو.

* الأسير رقم ٢ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٢):

ترك لمدة طويلة رغم ساقه المكسورة (قام بعض العراقيين الآخرين بوضع جلباب عربي على ساقه لحمايته من المدنيين الذين تجمهروا حوله).

* الأسير رقم ٣ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٣):

تلقى ضربا مبرحا وتلقى الركلات في أثناء نقله، ضرب على الوجه، ضرب على رأسه بالبندقية، التف حوله الجنود وأخذوا يركلونه، ضرب بقسوة على قدمه المصابة بقضيب من الرصاص، ألقي الطين على وجهه من أحذية الجنود، أطفئت السجائر في جسده.

* الأسير رقم ٤ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٤):

جذب من شعره وتلقى عدة ركلات، تم التحرش به جنسيا في أثناء نقله، تلقى عدة صفعات على وجهه، بصقوا عليه، هددوه بالقتل.

* الأسير رقم ٥ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٥) :

صفع على وجهه وركلوه بالأقدام، دفع دفعا عنيفا من رقبته عندما تدخل وحاول إنقاذ أحد الأسرى الآخرين، ركلوه وبصقوا على وجهه، ضرب على قدمه المصابة، وجهت إليه ضربات كاراتيه في رقبته، هددوه بالقتل.

* الأسير رقم ٦ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٦) :

طافوا به ومعه أحد الأسرى الآخرين ووجهت إليه الشتائم والتعليقات غير اللائقة من الجماهير، صور مرتين بالفيديو.

* الأسير رقم ٧ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٧) :

وجهت إليه ضربات كاراتيه عدة مرات، أجبر على التصوير بالفيديو.

* الأسير رقم ٨ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٨) :
صور بالفيديو مرتين، تلقى ضربا مبرحا.
* الأسير رقم ٩ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٩) :

تلقى عدة لكمات، ضرب بكعب البندقية وبالعصا، تلقى عدة ركلات في رأسه وقدميه، ضرب على أنغام الموسيقى، فقد وعيه عدة مرات، أجبر على التصوير بالفيديو، ضرب على معدته وعلى ظهره بالعصا، أصيب بالمرض العضال في كليتيه من الضرب، أصيبت عيناه من الضرب.

* الأسير رقم ١٠ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٠):

ضرب عدة مرات في السجن وفي أثناء نقله، هدد بالبنادق وصوبت على رأسه لمحاولته مساعدة وحماية أحد الأسرى الآخرين، تلقى عدة ركلات في معدته، صور بالفيديو.

* الأسير رقم ١١ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١١):

تلقى صفعات على وجهه، صور بالفيديو.

* الأسير رقم ١٢ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٢):

صور بالفيديو مرتين، تلقى ضربات علي مؤخرة رأسه بخاتم ضخم ثقيل كان يلبسه أحد الحراس في إصبعه، ضربه الحراس وهددوه بالموت إذا لم يطع رفيقه في الزنزانة الأوامر الصادرة إليه.

* الأسير رقم ١٣ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٣):

تلقى عدة لكمات وركلات وتلقى عدة ضربات أخرى بكعب البندقية من عدد من الحراس دفعة واحدة، صور بالفيديو ثلاث مرات، وضعوا عصابة على عينيه ويعتقد أنه وقع فريسة للخداع إذ جعلوه يتبول على العلم الأمريكي.

* الأسير رقم ١٤ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٤):

ضرب وكسرت له عدة أضلاع عندما تم اكتشافه هو وأحد الأسرى يرسلون إشارات إلى أسير ثالث.

* الأسير رقم ١٥ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٥):

ضـرب في عـدة مناسـبـات، تلقى ضـربة على رأسـه عنـدمـا طلب سيجارة، تعرض للجلد.

* الأسير رقم ١٦ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٦):

أهمله الحراس رغم إصاباته الخطيرة، طافوا به أمام الجنود والجماهير كأحد غنائم الحرب، هدده أحد الضباط برتبة رائد بالإعدام.

* الأسير رقم ١٧ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٧):

ضرب بشدة في أثناء القبض عليه، تلقى عدة ركلات وتدحرج على السلالم مما أدى إلى كسر أنفه، تبول عليه الحراس، عرضه الحراس على أصدقائهم، أجبر على تصوير بالفيديو مرتين.

* الأسير رقم ١٨ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ١٨):

ضرب على رأسه في أثناء القبض عليه، عرضوه على الجمهور الذي قـام بضـربه والبصق عليـه، تعـرض للهـجـوم عليـه بأعـقـاب البنادق (الدبشك)، صور بالفيديو.

* الأسير رقم ٢٠ (م ت ج ح/ ملف رقم ١٧٦/ ٢٠):

صور بالفيديو مرتين، بصقوا عليه.

* الأسير رقم ٢١:

تلقى عدة ضربات وبصقوا عليه في أثناء نقله، ضرب بأنبوب مطاطي في أثناء انتظاره عـمليـة الاستجواب، ضرب عندمـا تجول في المعسكر بمفرده، صور بالفيديو مرتين.

ب ـ المعاناة التي تعرض لها الأسرى في أثناء الاستجواب

الأسير رقم ١ : تلقى عدة ضربات بقفاز الملاكمة، بهراوة مكسوة بالجلد، بالعصي، بأعقاب البنادق، بقبضة اليدين (بوكس)، هدد بالموت ـ قام أحد مستجوبيه بالوقوف على بطنه بينما يداه كانتا مقيدتين خلف ظهره، تظاهر الجنود بالتبول عليه، وضعت البندقية على رقبته وعلى رأسه، وعلى فمه، صوب إليه مسدس غير محشو ووضع في فمه ـ صوبت بندقية إلى قلبه.

الأسير ٢ : ضرب على ساقيه، بما فيها الساق المصابة، ضرب على رقبته ببندول ثقيل (شعر الأسير بأن جمجمته على وشك التفتت وأنه سيفقد الوعي) أطفئت السجاير في جسده، ضرب على إحدى عينيه، تلقى عدة ضربات على أجزاء مختلفة من جسمه.

الأسير ٣ : ضرب بقبضة اليد، وبأنبوب من المطاط الثقيل، وبالعصا، وبيد البلطة، تلقى عدة ركلات، ضرب بمؤخرة البندقية وهي محشوة بالطلقات، تلقى تهديدات ببتر أجزاء من جسمه، نتج عن الضرب كسور وشروخ في عظام الساقين اليمنى واليسرى الأماميتين.

الأسير ٥ : تعرض للنخس، ضرب بمسدس براوننج ٩ مللي، تلقى تهديدات ببتر أجزاء من جسمه حتى يلقى حتفه، حاول أحد المحققين أن يشعل النار في العصابة الموضوعة على عينيه.

الأسير ٧ : في أثناء استجوابه «بالصوت» ضرب على أذنه اليسرى ثلاث مرات، ثقبت طبلة الأذن، ضرب بالعصا على كلتا ركبتيه، بما فيه ركبته اليمنى المصابة، وفي أثناء الاستجواب الثاني بالصوت تلقى تهديدا بالموت، وأطلق الرصاص بجانب أذنه، تلقى ضربات كاراتيه وضرب ضربا روتينيا.

الأسير ٩ : ضرب بقسوة في معسكر الجيش، تلقى تهديدا بالإعدام، أطلق عليه مسمى «مجرم حرب» وأنه لن يعامل معاملة أسرى الحرب، صوب إليه سلاح محشو بالرصاص ووضع على رأسه :

«وقد ورد في إحدى المقالات التي نشرت بجريدة «الواشنطن تايمز» بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٩١، أن مجموعة من البريطانيين الذين يعملون في فرقة الكوماندوز التابعة للقوات الجوية الخاصة أفادوا بأن العراقيين الذين قاموا باستجرابهم اقتلعوا أظافرهم وحرقوا أرجلهم، وضربوهم بقسوة. وقال أحد المحققين لهم: «سأقتلكم، لقد مرت عشرة أيام لم أطلق فيها النار على أحد»، كما هددوا البريطانيين الخمسة ببتر أجزاء من أجسامهم، وضربوا بأعقاب البنادق في أثناء الاستجواب، أصيبوا بأضرار جسيمة في أعينهم نتيجة للضرب عليها».

الأسير ١٠ : ضرب عدة مرات على أذنه بقبضة اليد، تعرض للنخس في معدته، ثقبت ذراعه ومعدته وصدره، ضرب بشدة على وجهه لرفضه الإجابة عن الأسئلة التي وجهت إليه.

الأسير ١٢ : ضرب مرتين بمنخاس البقر، ضرب بعصا صلبة من المطاط، في أثناء الاستجواب الصوتي، ضرب بكعب البندقية، صوب مدفع رشاش إلى رأسه وهدد بالإعدام كمجرم حرب، هدد بقطع جزء من جسمه، ضرب عدة مرات.

الأسير ١٣ : ضرب بالأيدي، وقبضات اليدين وبعصا خشبية، ثُقبت طبلة أذنه، فقد إحدى أسنانه من الضرب، ضرب ضربا مبرحا حتى أنه لم يستطع الوقوف أو المشي بعد ذلك.

الأسير ١٤ : ضرب من ٧٠ ـ ١٠٠ مرة بأنبوب من المطاط، وضرب

على أذنه بقبضة اليد أكثر من عشرين مرة طوال مدة الاستجواب التي استغرقت حوالي ثلاث ساعات، أطلق مسدس غير محشو بالقرب من أذنه.

الأسير ١٥: ضرب على يديه، تعرض للركل، جلد على أردافه وعلى ظهره بسير من الجلد.

الأسير١٦: هددوه بالخصي وقاموا بالبصْق عليه.

الأسير ١٧: أطلق عليه مجرم الحرب عندما رفض الإفصاح عن عنوان بيته، ضرب بالمسدس، نفذ فيه حكم الإعدام الوهمي (وضع أمام الحائط وأطلقت عليه نيران البنادق وهي غير محشوة بالرصاص)، صور بالفيديو في أثناء الاستجواب، ضرب بشدة بأربع عصي من الخيزران، ثقبت طبلة أذنه، ضرب بمنخاس البقر، هدد بالإعدام.

الأسير ١٨: هدد بالإعدام مرتين، ضرب على مؤخرة رأسه بكعب البندقية، تعرض للركل عدة مرات، نخس في معدته، ألقي به على الأرض ووضع المحقق حذاءه فوق رأسه، ثقبت طبلة أذنه، وضع مسدس أتوماتيكي علي رأسه وهدد بالقتل.

الأسير ١٩: ضرب بقسوة بقضيب من المطاط السميك في أثناء استجوابه الذي استمر ١٨ ساعة وتم الاستجواب عن طريق الصوت ونودي عليه بمجرم حرب، تعرض للتعذيب بوساطة الأصوات العالية الصادرة من جهاز الإذاعة.

الأسير ٢٠: تعرض للجلد في أثناء الاستجواب، ضرب على أحد جانبي رأسه بسوط مصنوع من العقد، أطفئت السجائر على ظهر يده.

الأسير ٢١ : تلقى عدة صفعات على وجهه، تعرض لعدة ضربات كاراتيه، ضرب على ساقيه بقسوة بأنبوب من المطاط السميك في أثناء الاستجواب، طلب منه الإدلاء بمعلومات قيمة إذا أراد الحياة.

ومن الانتهاكات الأخرى التي قام بها العراقيون في أثناء احتلالهم للكويت حجب الرعاية الصحية عن المواطنين والمقيمين بالكويت. وتعتبر هذه مسؤولية العراق حيث قام باحتلال الكويت وبالتالي فإن العراق قد انتهكت المواد ١٨، ٢٠، ٥٦، ٥٧ من اتفاقية جنيف، وجمع الكثير من الأدلة والوثائق التي تثبت الانتهاكات الوحشية التي قام بها العراقيون، بالإضافة إلى ذلك فقد أدلى البعض إلى منظمة العفو الدولية بهذه الانتهاكات الوحشية وضمنتها في تقاريرها.

قام العراقيون بعد غزو الكويت بترحيل الأطباء الكويتيين إلى العراق واستبدلوا بأطباء عراقيين حديثي التخرج (م ت ج ح الملفات أرقام ١٧٧/ ٣١٦٩، ٧٧/ ٣٠٨١) وأجبرت الممرضات اللاتي كان معظمهن من الكويتيات والفلبينيات على العمل ساعات طويلة ولم يتناولن أية أجور نظير هذا العمل، والأكثر من ذلك أن بعضهن تعرضن للاغتصاب في أثناء الليل من قبل الجنود العراقيين (م ت ج ح ملف ١٧٧/ ٣٠٢٢).

استولى العراقيون على الأجهزة الطبية من جميع المستشفيات ونقلوها إلى العراق، أما المستشفيات التي خصصت لعلاج الجنود العراقيين فقد بقيت على حالها (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٠٢٢).

وتشمل المنقولات الطبية أسرّة المستشفيات (ملف ١٧٧/ ٣٠٠١) الحاضنات وأجهزة أشعة إكس وأجهزة المختبرات والبيانات الخاصة بأبحاث السرطان (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٥٨٦) أجهزة

الديلزه[1] (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٠٨١) ـ كما أفرغت بنوك الدم من محتوياتها (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣١٦٦، ١٧٧/ ٣٤٩٣) ومن وقت لآخر أذاع العراقيون نداءات للتبرع بالدم (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣١٥٥) وأرغموا المواطنين على التبرع بالدم رغم إرادتهم (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣١٦٩).

بعض المستشفيات المدنية لم تسمح إلا باستقبال العراقيين (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٤٩٣) وأقفلت العيادات القريبة من القوات العسكرية العراقية في وجوه المواطنين ولم تستقبل إلا الشخصيات العسكرية (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٠٢٨) ولم يتبق إلا عدد قليل جدا من المستشفيات لعلاج الكويتيين. وشهد أحد الأفراد أنه بحلول شهر أكتوبر ١٩٩٠ لم يتلق أي كويتي الرعاية الطبية اللازمة لدى أي من المستشفيات (م ت ج ح ملف ٣٢٧٨) ولم يعالج الجرحى الكويتيون بل تركوا خارج المستشفيات عرضة للموت ووجد أفراد المقاومة الكويتية المدنيين خارج المستشفيات مصابين بطلقات نارية في رؤوسهم (م ت ج ح ملف رقم ٣١٥٥).

أحد الأطباء الكويتيين تعرض للقتل لوفاة أحد الجنود العراقيين الذي كان يقوم بعلاجه (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣١٦٦) وتؤكد التقارير أن كثيرا من المواليد انتزعوا من الحاضنات (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣١٢٣) وتركوا ليلاقوا حتفهم (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٠١٠) حتى البالغين تركوا للموت نتيجة استيلاء العراقيين على أجهزة المستشفيات (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣١٠٥) إحدى عربات

(١) هي كلمة معربة وأجهزة الديلزه هي أجهزة تستخدم طبيا لفصل مواد الجسم شبه الغروية عن المواد الأخرى القابلة للذوبان [المترجم].

الإسعاف التي كانت تنقل إحدى النساء الحوامل المريضات إلى المستشفى أوقفها العراقيون وقاموا بإنزال المرأة وسرقوا عربة الإسعاف، وتركت المرأة والسائق على قارعة الطريق، وتوفيت المرأة نتيجة لهذه المعاملة الوحشية (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٥٨٦) وشهدت إحدى السيدات الأمريكيات بأنها رأت إحدى النساء الحوامل وهي معلقة على سور مستشفى ومكتوب عليها باللغة العربية تهديد لكل النساء الحوامل: «كل امرأة تحاول دخول المستشفى ستواجه نفس المصير» (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٠١٠).

وأفاد أحد المبلغين أن المستشفى استقبلت يوميا حوالي ٧ ـ ١٠ حالات من الكويتيين الذين لقوا حتفهم نتيجة للتعذيب الذي تعرضوا له (م ت ج ح ملف رقم ١٧٧/ ٣٥٨٠).

وطوال أيام الاحتلال، لم يكن أمام الكويتيين سبيل لتلقي العلاج الطبي إلا عن طريق أطباء المقاومة (م ت ج ح الملفات أرقام ١٧٧/ ٣١٧١).

وواصل العراقيون انتهاكهم للمواد ٢٧ و٣٢ من اتفاقية جنيف وأخذ العراقيون في تعذيب الكويتيين والتنكيل بهم واحتوت قوائم التعذيب والتنكيل مايلي:

ـ ضرب جميع أجزاء الجسم بأدوات مختلفة.
ـ التعليق في سقف الغرفة بوضع معكوس والضرب.
ـ كسر بعض أجزاء الجسم.
ـ الضرب بالسكاكين والآلات الحادة.
ـ نزع أظافر أصابع القدمين وأصابع اليدين.

ـ إحداث ثقب في الجسم باستعمال آلة الثقب (الشنيور) .

ـ بتر اللسان والأذن .

ـ قطع أجزاء من الجسم بالمنشار .

ـ الخصي (بتر الخصيتين) .

ـ دق المسامير في اليدين .

ـ فقأ العيون .

ـ إطلاق الرصاص .

ـ الاغتصاب .

ـ إدخال عنق زجاجة مكسور في فتحة الشرج .

ـ ضخ الهواء أو الجازولين إلى الجسم ثم إشعال النار مما يؤدي إلى انفجار الجسم .

ـ الصدمات الكهربائية .

ـ إحراق المعتقلين بإطفاء السجاير في جسدهم .

ـ سكب سائل حمضي على الجسد .

ـ إجبار المحتجزين على مراقبة تعذيب أو اغتصاب أقاربهم (تعرضت النساء الكويتيات والآسيويات إلى الاغتصاب المستمر من قبل الجنود العراقيين) .

ـ تعريض المعتقل للعبة الموت ـ اصطفاف المعتقلين أمام فرقة الإعدام وإطلاق النار بصورة وهمية ـ وضع المسدس خاليا على الرأس وسحب الزناد) .

أظهر العراقيون احتقارا كبيرا للشعائر الدينية والقيم الثقافية لإخوانهم

المسلمين، . فقد قاموا باغتصاب النساء الكويتيات بمن فيهن العذارى وهم على وعي كامل بأن الفتاة التي تفقد عذريتها لن تستطيع الزواج، وأفادت التقارير أن بعض الأسر أرغمت على دفع ثمن الطلقات النارية التي استعملت في قتل أبنائها أمام أعين الأسرة ورفض العراقيون السماح للكويتيين بإقامة شعائر صلاة الجنازة.

المادة ٣١ من اتفاقية جنيف

* يمع منعا باتا ممارسة أي ضغط جسدي أو أخلاقي على الأفراد للإدلاء بأي معلومات عنهم أو عن طرف ثالث.

* ومما سبق إيراده في هذا التقرير يتبين أن الكويتيين قد تعرضوا للتعذيب والتنكيل وتم هذا في أثناء الاستجواب للحصول منهم على معلومات عن المقاومة الكويتية والأفراد الذين يشغلون مناصب عسكرية، كما أنه لا يوجد دليل على أن الأمريكيين الذين عوملوا كدروع بشرية قد عذبوا أو استجوبوا.

انتهاكات أخرى قام بها العراقيون في أثناء احتلالهم للكويت

المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف:

* لا يحق معاقبة أي فرد نتيجة لجرم لم يقم بارتكابه ولذلك فإن العقاب الجماعي وما شابهه من الترهيب والترويع الذي يفرض على المدنيين العزل يعتبر في حكم الممنوع.

* يمنع منعا باتا القيام بعمليات السلب والنهب.

* يمنع منعا باتا القيام بأية أعمال انتقامية ضد الأفراد وممتلكاتهم.

ورغم وضوح بنود هذه المادة إلا أن العراقيين قاموا بالانتهاكات التالية :

* قام العراقيون بإعدامات جماعية للكويتيين المدنيين وللجنود الكويتيين الذين استسلموا عقب الغزو ، كما احتجزوا الرهائن والدروع البشرية ، ورحلوا الكويتيين جماعات إلى العراق (٢٠٠٠ كويتي مازالوا في العراق حتى طباعة هذا الكتاب باللغة الإنجليزية) ودمروا مباني بأكملها يعتقد العراقيون أن عناصر المقاومة الكويتية أطلقت منها النار .

وحسب التقديرات المتاحة تبين أنه تم ترحيل ٨٠٠٠ كويتي إلى العراق في أثناء فترة الاحتلال بالإضافة إلى ٢٠٠٠ آخرين احتجزوا في العراق حتى الآن (م ت ج ح الملف ١٧٧/ ٣٠٣٥) .

المادة ٧٨ من اتفاقية جنيف تحكم حقوق السلطات المحتلة في تعاملها واحتجازها للأفراد وتضع الإجراءات التي تتبع في هذه الأحوال . وطبقا لما حدث فإن صدام حسين لم يقم بإعطاء الحقوق التي شرّعتها الاتفاقية للمحتجزين ، ولم تكن الإجراءات التي قام بها لاحتجاز الأفراد لها أية صفة قانونية (اتفاقية جنيف المادة ٢٨) وتقدر الإحصائيات عدد الرهائن من جميع الجنسيات في كل من العراق والكويت في فترة ماقبل حرب التحرير مابين ١٣ إلى ١٩ ألفا ، وبلغ عدد الرهائن الأمريكيين في العراق والكويت ٥٠٠٠ رهينة ، وبلغ عدد الأمريكيين الذين تم وضعهم في المنشآت العسكرية العراقية كدروع بشرية مائة وستة أفراد (م ت ج ح ملف ١٨٩) .

أمثلة محددة عن جرائم الحرب في الكويت المحتلة

مقدمة:

في أثناء انتشار المفرزة ١٩٩ في جنوب غرب آسيا حصل نائب الأحكام على دلائل ثابتة لا تقبل الجدل تؤكد ماقام به العراقيون من أفعال وحشية ضد الكويتيين.

وفي أثناء العمل مع أعضاء المقاومة الكويتية وجمعية الهلال الأحمر الكويت وبعض أطقم المستشفيات الكويتية، وجمعية المحامين الكويتية وأصدقاء وعائلات الضحايا، حصلت المفرزة ١٩٩ على الأدوات التي استعملها العراقيون في تعذيب الضحايا (م ت ج ح ملف ٧٢) وزاروا الأماكن التي استعملها العراقيون مراكز للتعذيب وأجروا عدة مقابلات مع ضحايا الاغتصاب (م ت ج ح ملف ٧٤).

جرائم الحرب العراقية التي ارتكبت في أثناء احتلال الكويت

لدى مركز توثيق وفحص وثائق جرائم الحرب العراقية في الظهران عدد ضخم من الوثائق ومعلومات وفيرة عن جرائم الحرب، وتجسد هذه المادة التي جمعت جرائم العراق ضد الممتلكات الخاصة والعامة الكويتية مثل الأوامر التي صدرت بنسف آبار البترول وتدمير محطات تحلية مياه البحر (م ت ج ح الملفات أرقام ٦٦/ ٠٢٠٠٢، ٦٦/ ٠٢٠٠٠٤، ٦٦/ ٠٢٠٠٦، ٦٦/ ٠٢٠١٠، ٦٦/ ٠٢٠٢٤) وأثبتت بعض الوثائق الأخرى نوايا العراق لاستعمال الأسلحة الكيماوية (م ت ج ح ٦٦/ ٠٢٠٠٧).

وخطط العراق لترحيل جميع المدنيين الكويتيين تحت سن الأربعين مع

بداية الحرب الأرضية (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ك ٢٠١١) وبينت وثائق أخرى أن العراقيين قاموا بإحراق المنازل التي رفض ساكنوها فتح أبوابها للعراقيين طوعا وقاموا بترحيل قاطنيها إلى العراق (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ ٢٠١٨) وإطلاق الرصاص على المواطنين الكويتيين الذين يقيمون الصلاة والدعاء على أسطح منازلهم (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ ٢٠١٥).

لجأ العراقيون في أثناء احتلالهم للكويت إلى كثير من أساليب القمع والاضطهاد. وأثبتت المفرزة ١٩٩ عن طريق الوثائق التي جمعتها أن حكم الإعدام قد نفذ في بعض أعضاء المقاومة الكويتية، وصودرت أملاكهم (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ ٢٠٢٥). وكان تبرير أحكام الإعدام التي صدرت ضد عناصر المقاومة تبريرا مهلهلا غير مستساغ مثل الصور التي التقطها الغزاة العراقيون لبعض الكويتيين الذين رفضوا خدمة الجنود العراقيين في محلات السوبر ماركت، أو رفض بعض الناس تعليق صورة صدام حسين (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ ٢٠٢١) وتعرض بعض الكويتيين الذين قاموا بكتابة الشعارات ضد صدام للإعدام أيضا (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ ٢٠٥٥) وكان محظورا على العائلات الكويتية الحصول على أية معلومات عن أقاربهم المحتجزين (م ت ج ح ملف رقم ٦٦/ ٢٠٢٦).

ومن خلال اتصالها بعناصر المقاومة الكويتية رتبت المفرزة ١٩٩ عملية نقل أحد الضباط العراقيين الذي احتجز من قبل المقاومة إلى السلطات العسكرية للولايات المتحدة وقبل إجراء عملية النقل، أجرت المفرزة ١٩٩ مقابلة مع هذا الضابط العراقي وتم تسجيل شهادته وأدلى بمعلومات وقام بوصف خمس عمليات إعدام وحوالي ١٠ ـ ١٥ عملية تعذيب للكويتيين. كما حدد أسماء ثلاثة أشخاص من الذين اشتركوا في

ارتكاب جرائم التعذيب، ووصف اشتراكه هو نفسه في تدمير إحدى محطات تحلية المياه، والمقابلة مسجلة في الملف رقم ٧٣ ـ الشريطين ١١، ١٢ م ت ج ح.

وقد تم الحصول على عدة مجموعات من الصور الفوتوغرافية التي تثبت بالإضافة إلى الوثائق الأخرى، عمليات التعذيب المخيفة، ووسائل القتل التي استخدمها العراقيون (م ت ج ح الملف ٧٥) وتشمل هذه الأساليب حرق الجسم بالكهرباء وبالسجائر، سمل الأعين، بتر الأذن، واللسان والشفتين والأنف وأجزاء أخرى من الجسم، الضرب، إطلاق الرصاص على الرأس والجسد، استعمال المثقاب الكهربائي لخرق الصدر والبطن والأطراف، إزالة الأظافر، حمامات الحامض المذيب للجسم، وشق الجمجمة.

وحصلت المفرز ١٩٩ أيضا على معلومات تدل على وجود فرقة مخابرات عراقية خاصة SID يتكون أفرادها من ٣٨٤ فردا مقسمة إلى مجموعات كل مجموعة عددها ١٢ إلى ١٥ فردا تم توزيعهم على فرق الحرس الجمهوري الاثنتى عشرة. وقامت هذه المجموعات باختطاف وتعذيب وقتل بعض العرب من ذوي المكانة (م ت ج ح الملف ٢٠٣٣).

استعملت فرق المخابرات العراقية الخاصة SID أساليب متنوعة في التعذيب وتشمل الصدمات الكهربائية، جلد الأفراد بخراطيم المياه المحشوة بالأحجار، التجويع، القرآن الخادع وهو كتاب يشبه القرآن يمسك به الضحية ويحسب أنه مصحف وعند فتحه لتلاوة القرآن تخرج منه شحنة كهربائية تصعق الفرد. كما كان يطلب من الضحايا وضع أيديهم على القرآن (المزيف) وتسلط عليهم شحنة كهربائية تكفي لإلقائهم أرضا.

إحصاءات وأمثلة عن الجرائم

ليست لدينا إحصاءات محددة عن جرائم الحرب العراقية ضد الأفراد في الكويت في أثناء فترة الاحتلال، ومع ذلكْ فبناء على المعلومات التي تم الحصول عليها من سجلات المستشفيات والأطباء، يمكن الاعتماد على الإحصائية التالية ولكنها لا تتضمن كل جرائم الحرب التي ارتكبها العراقيون ضد المدنيين في الكويت المحتلة (حتى ٣٠ أبريل ١٩٩١).

عدد الموتى بسبب التعذيب أو الإعدام في الفترة
من ٢/ ٨/ ١٩٩٠ وحتى ٣/ ٣/ ١٩٩١

ـ الأطفال الذين ولدوا قبل موعدهم وانتزعوا من الحاضنات التي وضعوا بها لاستكمال نموهم	١٢٠
ـ الأطفال من سن ١ ـ ١٣	١٥٣
ـ المعاقون عقليا	٥٧
ـ الأشخاص الذين تجاوزوا سن الـ ١٣	٧٥٢
المجموع	١٠٨٢

١ ـ القتل بلا مبرر

فيما يلي أمثلة من الضحايا الذين قتلوا بلا مبرر بوساطة العراقيين تم الحصول عليها من قبل شهود العيان في مدينة الكويت:

أ ـ م ت ج ح الملف رقم ٦٦/ ١٠٩٨

في أكتوبر ١٩٩٠ شاهد أحد المواطنين الكويتيين إعدام أحد مديري الأسواق المركزية (سوبر ماركت) «مبارك النوت» بوساطة الحرس الجمهوري، وكانت جريمته رفع أسعار المواد الغذائية وأطلق عليه الرصاص مرتين: رصاصة في الرأس ورصاصة في القلب.

ب ـ م ت ج ح الملف رقم ٦٦/ ١٣٣٥

في الثامن من فبراير ١٩٩١، أوقف الجنود العراقيون إحدى السيارات وكان يقودها كويتي وبجانبه زوجته وأسرته، أخرج العراقيون الزوج وأطلقوا الرصاص على رأسه أمام زوجته وأولاده، ثم أطلقوا النار على ابنته البالغة من العمر ١٨ شهرا، وأصابتها الرصاصة تحت الإبط مما سبب لها جرحا في صدرها، وأصيبت الزوجة الحامل في شهرها الثالث برصاصة في ركبتها.

جـ م ت ج ح الملف رقم ٦٦/ ١١٦٥

أحد الشبان الكويتيين البالغ من العمر ١٦ عاما ومعه أربعة شبان آخرين رفعوا العلم الكويتي على أحد مفترق الطرق بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٩٠، وتفرق الشباب عندما شاهدوا ثلاثة جنود عراقيين، وركض الشاب الكويتي (١٦ عاما) مع أحد أصدقائه (واحد من الشبان الأربعة) «علي البعيجان» البالغ من العمر ١٨ عاما نحو منزل علي. وعندما هموا بدخول المنزل أطلق العراقيون النار عليهما فأصابوا الشاب في رقبته وألقي القبض على الشاب علي وأطلقوا عليه النار أمام والدته ـ وبعد فترة شفي الشاب (١٦ عاما) من جراحه.

٢ ـ مراكز التعذيب

أقيمت مراكز التعذيب العراقية في المناطق التالية :

ـ مركز شرطة الروضة، مركز شرطة حولي، مركز شرطة بيان، مركز شرطة الجابرية، مركز شرطة القادسية، مركز شرطة العديلية، مركز شرطة ميدان حولي، النادي العربي، نادي كاظمة، نادي الكويت، نادي النصر، أكاديمية الشرطة، قصر نايف، السفارة العراقية، الهيئة العامة لشؤون الزراعة والثروة السمكية، قصر جابر مبارك الحمد، قصر الشيخ علي، قصر الشيخ نواف الأحمد الصباح في اليرموك، فندق حياة ريجنسي، فندق هوليداي إن، إدارة الأمن العام، معهد الكويت للأبحاث العلمية (م ت ج ح الملفين ٦٦، ٦٨).

وفيما يلي أمثلة عن جرائم الحرب العراقية التي تمت في مركز التعذيب بالكويت المحتلة :

أ ـ م ت ج ح الملف رقم ٦٦/ ١٠١٥

ألقى العراقيون القبض على هذا المواطن الكويتي في منزله يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٩٠ وحتى منتصف ديسمبر. وفي أثناء فترة احتجازه ضرب عدة مرات وتلقى صدمات كهربائية على فمه وأنفه وجهازه التناسلي، وعلق في السقف وتظاهروا بإعدامه مرتين، وأجبر على مشاهدة تعذيب اثنين آخرين من الكويتيين، وذلك بضخ الغاز إلى جسمهم مما يسبب لهما ألما بالغا، إجبار إحدى السيدات على أكل قطعة من اللحم اقتطعت من جسدها، الإعدام بالبلطة، اقتلاع العين، اقتطاع أجزاء من الجسم، الحرق بقضيب محمي من الحديد، الإعدام بالمثقاب الكهربائي، إدخال الشخص في غسالة كبيرة في أثناء دورانها.

ب ـ م ت ج ح الشريط رقم ٧٣

ألقى العراقيون القبض على هذا الشخص في يناير ١٩٩١ واحتجز طوال ١٧ يوما وفي أثناء فترة احتجازه مزق جلده بأمواس الحلاقة، علق متدليا من النافذة، وضع الملح على جروحه، انتزعت أظافر أصابع يديه، ضرب بالكابلات الكهربائية، ربطت الأسلاك الكهربائية حول جهازه التناسلي ومرر فيها التيار الكهربائي، تلقى تهديدا بفقء عينيه وبالإعدام.

جـ م ت ج ح الملف رقم ٦٦/ ١١٦٤

عذّب هذا الشخص مع أحد عشر ضحية أخرى في أثناء احتجازهم لفترة طويلة وتعرضوا إلى الصدمات الكهربائية حتى فقدان الوعي، وعلق في السقف من يديه، وتعرض للحرق بقضيب حديدي، وأطفئت السجاير في جسده، وخلعت أظافر أصابع اليدين، والقدمين، بالضرب المبرح على كعبي قدميه.

د ـ م ت ج ح الملف رقم ٦٦/ ١٣٦١

اقتحم العراقيون منزل هذا الرجل في أثناء جلوسه مع زوجته وطفلته وفتشوا المنزل بحثا عن الأشياء الثمينة وفي أثناء البحث وجدوا صورة أمير الكويت، قذفوا بالزوجة إلى الجدار وركلوا الطفلة بأحذيتهم، وقاموا بعد ذلك باحتجاز الزوجة طوال خمسة أيام حيث قاموا بضربها واغتصابها.

وتوجد لدى مركز تجميع جرائم الحرب (م ت ج ح) قائمة بالضحايا التي قام العراقيون بقتلهم كما هو ثابت في الملف رقم ٦٠٠/ ١٠٠ بالإضافة إلى شهادات وفاة ١٠٧ من الضحايا في الملف رقم ٦/ ١٠١/ ١٨٠٨٠.

إن قصة العدوان العراقي على الكويت ليست مجرد نص في رواية مثيرة أو قرار من قرارات الأمم المتحدة أو بيان من بيانات صدام حسين، إنها جامعة من العنف والرعب والإرهاب يجب عرضها من خلال الصوت والصورة.

فالإرهاب الذي نزل بالكويتيين والمدنيين الأبرياء في كل من السعودية وإسرائيل وأسرى الحرب الأمريكيين والمدنيين الذين أخذوا كدروع بشرية ورهائن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستمع إلى قصصهم فقط أو نشاهد صورهم وشرائط الفيديو التي تم تصويرها لهم، بل لابد أن نذهب إلى أبعد من ذلك!!

ومما لا شك فيه أن الوثائق التي تم الحصول عليها كأدلة على جرائم الحرب سواء كانت صورا أو شرائط فيديو أو اعترافات موقّعا عليها تخدم غرضين:

الأول: أنها تساعد في تسهيل مهمة مركز توثيق جرائم الحرب عند التحقيق في انتهاك قانون الحرب، وتقديمها شهادات إثبات لدى أي محكمة تقام لهذا الغرض ولدى المركز حوالي ٥٠٠٠ صورة مصحوبة بشهادات موثقة متعددة الأشكال.

الثاني: إنشاء مكتبة تعتبر سجلا ومرجعا للأجيال القادمة. فالآثام والأساليب الوحشية والإرهاب الذي ارتكب وتم من قبل العراقيين والانتهاكات التي ارتكبت ضد قانون الحرب والأعراف الدولية جديرة بأن يتم تسجيلها وحفظها للتاريخ.

وهذه الأدلة كلها استطعنا الحصول عليها وجمعها بناء على المجهود الذي بذلته المفرزتان ٢٠٨، ١٩٩ والتنسيق بينهما، وكذلك فريق التصوير من «ماكديل فلوريدا» والذي تم بعد تحرير الكويت مباشرة.

وتحتوي مكتبة مركز توثيق جرائم الحرب المصورة على أفلام متعددة الأشكال كالتالي:

أ ـ أفلام فيديو ثابتة غير متحركة.

ب ـ أفلام فيديو بالصوت والحركة.

جـ ـ صور فوتوغرافية وسلايدات (شرائح).

وقد تأسست هذه المكتبة في مركز توثيق جرائم الحرب الملف ١٥١ الأجزاء (١) و(٢) و(٣) وتحوي أكثر من ألفي شريط فيديو ثابت، و٢٩ فيلما فيديو بالصوت والحركة، ٥٠٠ سلايد (شريحة) ٢٧٠٠ صورة مطبوعة، ويوجد تعليق على كل صورة: التاريخ والمكان والمصور والتفاصيل موجودة بالملف رقم ١٥٤.

شرائط الفيديو

توضح شرائط الفيديو آثار الاحتلال العراقي الضاري الشرس للكويت، ويستعرض أحد الأشرطة المتطوعين وهم يجوبون جبانة الرقة، ومدافن الكويت الأخرى ويقدمون وصفا للأجساد التي دفنت بها حديثا.

وفي شريط آخر يعترف أحد الضباط العراقيين بالمواقع التي كانت مراكز للتعذيب، وشهادته على الإعدامات والتعذيب، ويصف هذا النقيب العراقي القتلة ووسائلهم في القتل وكان شاهد عيان لقتل وتعذيب أكثر من ١٧٠ كويتيا. ووصف باعتباره شاهد عيان ما ارتكبه الجنود العراقيون من سرقات على نطاق واسع سواء من المصالح الحكومية أو من المنازل، وهو شاهد على الأوامر التي صدرت لتلغيم آبار البترول

تمهيدا لتفجيرها .

وتوضح أفلام الفيديو الأخرى المقابلات والمواقع المدمرة في الكويت، وبعض من هذه المقابلات أجريت باللغة الإنجليزية والأخرى باللغة العربية مع ملخص لها بالإنجليزية .

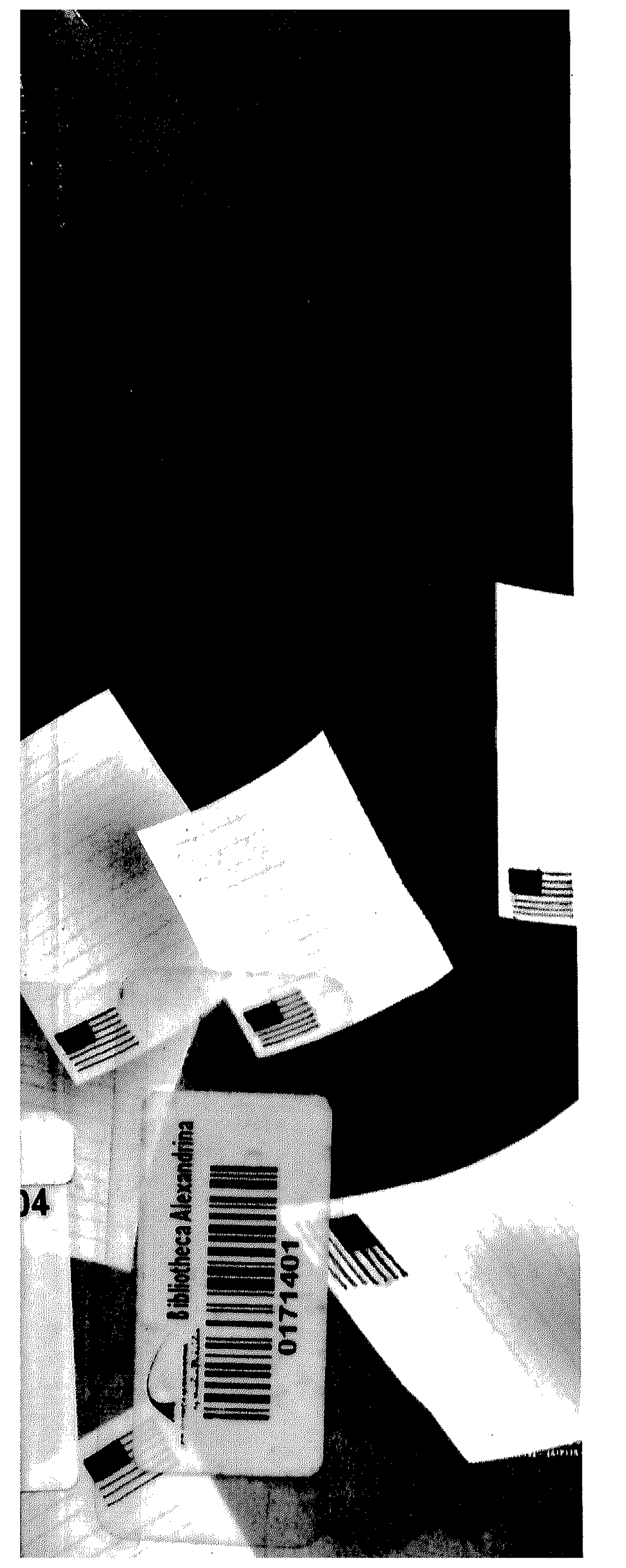
وتحتوي هذه المكتبة المصورة، أيضا، رحلات مصورة ومقابلات وشهادات من أفراد عديدين .

شرائط الفيديو، الشرائح، والصور

تحتوي المكتبة حوالي ٥٠٠٠ صورة وشريحة، وهي تصور الدمار الذي حل بالمباني والمتاحف وحديقة الحيوان والمدارس والمرافق الأخرى . وهذه الصور تعبر عن المعاناة والقسوة التي حلت بهؤلاء البشر وبها صور للموتى، وأفراد آخرين بهم آثار التعذيب، وهناك صور توضح الدمار الذي جلبه إطلاق صواريخ سكود على العربية السعودية، والدمار الذي حل بالبيئة في منطقة الخليج .

المحتوى

مطبعة الفجر الكويتية
تلفون ٤٨٤٣٨١٢ - ٤٨١٣١١٩ - ٤٨١٣١٤٤



مطبعة الفجر الكويتية